وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالاغواط

كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية والحضارة

قسم التاريخ

الموضوع:

الجوسسة ودورها في تغيير موازين القوى خلال الحروب البونية 264 – 146 ق.م

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي في التاريخ القديم

تخصص: تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطالبة:

* نورة سـحيري.

اشراف الأستاذ:

* أ.د: صبيحة أوكيل

السنة الجامعية : 2024/2023


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شـــكر

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات ، اشكر الله العلي القدير واحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الذي أمدني بالقوة والعزيمة لانجاز هذا العمل فلك الحمد و لك الشكر ربي على كل نعمك .

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان العريض إلى أولائك الذين وجدت فيهم السند والمدد والنصح والإرشاد الخالص كي أمضي نحو هدفي دون كلل ولا ملل واثقة الخطى علية الهمة فما خطه القدر على أيديهم كان نعمة مضاعفة ،وفي مقدمتهم المشرفة الدكتورة "أوكيل صبيحة "التي رافقتني طيلة فترة الإنجاز لهذا المشروع بتوجيهاتها القيمة ونصائحها الرشيدة وصبرها علي فكانت بمثابة أمي الثانية فالله أسأل آن يحفظها ويرعاها ويسدد خطاها ويقضي حوائجها ويحقق مناها ويحفظ أهلها وأولادها وزوجها الدكتور "كيدار عبد الوهاب "انه سميع قريب مجيب .

أتقدم إلى كافة أساتذة جامعة عمار ثليجي بالأغواط قسم التاريخ الذي شرفت بالانتساب إليه

إلى أساتذة تخصص حضارات قديمة كل باسمه ومقامه ...إلى أستاذ بن التومي تواتي على ما قدمه لي من توجيهات ونصائح ، إلى كل هؤلاء أتقدم بأصدق الامتنان وجزيل الشكر والعرفان الذي لا ينقصه إلا عجز الكلمات .

إهـــــــداء

اهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى روح جدتي الحاجة "زبيدة زقنيني" واطلب من الله ان يتغمدها برحمته الواسعة والتي كانت تجل العلم والمتعلمين

إلى من وهبوني الحياة والأمل والنشأة على الشغف والاطلاع والمعرفة ومن علموني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر برا و وفاءا لهما والدي العزيزان ووالدتي العزيزة حفظهما الله ورعاهما وأبقاهما تاجا فوق رأسي ، إلى جدتي الحاجة "زهرة شايفة "حفظها الله وأطال عمرها الى من وهبني الله نعمة وجودهم في حياتي إلى العقد المتين وأغلى الغوالي أخواتي :

"فاطمة الزهراء ،سارة ،ايمان ، زبيدة ، الحاجة عائشة ،مريم ،فاطنة "

إلى أخي وسندي الذي لم تنجبه أمي "أسامة تقي الدين "

إلى عمتي العزيزات واعز ما املك "عائشة وفاطمة " وخالتي العزيزة "صليحة" الى أعمامي "الطيب- عبد القادر- بن يوسف شتيح"

إلى من كاتفتني ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح في مسيرتنا العلمية إلى رفيقة الدربي"فطوم شراك"

الى زملاء المشوار الجامعي لتخصص تاريخ حضارات قديمة

" سلمى – خديجة – رحاب "

إلى بنات خالتي "شيماء ومسعودة " وأخيرا إلى كل من ساندني وساعدني وكان له دور من قريب أو بعيد في إتمام هذه الدراسة سائلة المولى أن يجزي الجميع خير الجزاء في الدنيا والآخرة اهدي هذا العمل المتواضع بكل فخر اعتزاز .

مقدمة

1. التعريف بالموضوع:

لعب البحر الأبيض المتوسط دورا هاما وفعالا بحوضيه الشرقي والغربي، وذلك لأهميته الحيوية وموقعه الجغرافي الذي يعتبر منفذا مهما واستراتيجيا لشعوب العالم بفضل خدماته ودوره في حياة شعوب العالم القديم، ومنذ أن اهتم الإنسان القديم بالحياة الاقتصادية والمبادلات التجارية والطرق لتأمينها ومن ثم اشتد التنافس بين دول الحوض في هذا المجال، وما لبث ذلك التنافس حتى تحول إلى صراعات وحروب الهدف منها بسط السيطرة على اكبر عدد ممكن من مناطق النفوذ داخل الحوض البحر الأبيض المتوسط.

و من بين الصراعات التي كانت قائمة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط الصراع القرطاجي –الروماني ويعود الفضل في ذلك إلى الموقع الجغرافي والمجال الحيوي الذي تميزت به كلتا الدولتين و ظهورهما على الحوض المتوسط وبالتالي اشتد التنافس بينهما والتداخل وقادهم ذلك إلى صراع عنيف دام حوالي قرن ونصف من الزمن سمي بالحروب البونية. اصطدمت روما الحضارة الزراعية التي ركبت البحر لظروف وأسباب ما محاولة لتوحيد إيطاليا تحت زعامتها والسيطرة على غربي المتوسط ومن ثم انتهجت سياسة جديدة وهي التوسع بهدف إنشاء إمبراطورية مترامية الأطراف بدولة قرطاجة التي أدت بفضل موقعها الاستراتيجي دورا مهما في تجارة البحر المتوسط والذي منحها سيطرة على غرب المتوسط بفضل مستوطناتها المنتشرة فيه ومن اجل حماية مستوطناتها وضمان خطوط سيرها التجارية ، اصطدمت بروما في صراع عنيف لتنظم نوميديا التي تعد من بين أقوى الكيانات السياسية في شمال إفريقيا وقد أقحمت في الصراع وذلك نتيجة جوارها مع قرطاجة ليصبح الصراع بين ثلاث أطراف كل من قرطاجة، روما، و نوميديا ومر الصراع بعدة جولات تداول الأطراف فيها على الخسارة والنصر طيلة ما يزيد عن القرن و ثمانية عشر ، وانتهى بانتصار روما ، ولعب العمل الجوسسي والتجسس دورا هاما وفعال خلال الحروب البونية في تغيير موازين القوى بين أطراف الصراع.

2 .الإشكالية :

ومن خلال ما سبق ذكره وبناء على موضوع الدراسة نطرح الإشكالية التالية:

-إلى أي مدى ساهمت الجوسسة في تغيير موازين القوى خلال الحروب البونية بين أطراف الصراع؟

وتفضي بنا الإشكالية السابقة إلى طرح التساؤلات الفرعية التي تتعلق بجميع تفاصيل ومجريات الأحداث وتتمثل فيما يلي:

-من هي الأطراف المتورطة في هذا الصراع؟

-كيف ظهر كل من هذه الأطراف على ساحة الأحداث؟

-كيف ساهمت الجوسسة خلال الحرب البونية الأولى؟

-هل كان للسكان المحليين دور في ذلك؟

-ما هي تداعيات الجوسسة خلال الحرب البونية الثانية؟

-ما هو الدور الذي لعبته نوميديا بشقيها الشرقي والغربي خلال هذه الفترة؟

-هل كان للجوسسة دور خلال الحرب البونية الثالثة؟

-كيف حسمت الحرب لطرف من أطراف الصراع؟

-ما هي النتائج التي خلفتها الجوسسة؟

3.أهمية الموضوع :

تكمن أهمية هذه الدراسة في البحث وتسليط الضوء على جزئية هامة جدا في الصراع القرطاجي –الروماني المتمثلة في الجوسسة ودورها في تغيير موازين القوى أثناء الحرب البونية حيث ساهمت الجوسسة في إحداث تغييرات جذرية كان لها الأثر العميق في تغيير مجرى الأمور وبالتالي ساهمت في حسم موازين القوى بين أطراف الصراع ومن هنا جاءت أهمية الموضوع وارتبطت به.

4.أسباب اختيار الموضوع :

ومما لا شك فيه أن لكل عمل هدف وأسباب وتعددت أسباب اختياري لهذا الموضوع منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي فالأسباب الذاتية تعود إلى ميلي لدراسة التاريخ العسكري والصراعات في الحضارات القديمة ما جعلني أخوض في غمار هذا البحث وخصصت بالذكر الجوسسة ودورها في الصراع القرطاجي –الروماني وذلك نتيجة تداعيات هذا الموضوع على المغرب القديم بالإضافة إلى ذلك أن الأستاذة المشرفة كان لها دور في اختياري لهذا الموضوع وذلك من خلال تدريسها لمقياس كانت دائما ما تشير إلى الصراعات وخاصة الصراع القرطاجي الروماني وتنوه للعمل الجوسسي ودوره في تغيير موازين القوى بين أطراف الصراع ما جعلني انجذب واهتم واختاره كعنوان لموضوع دراستي وحاولت أن ابرز في موضوعي الجوسسة ودورها ومدى مساهمتها في الحروب وأخذت الجوسسة خلال الصراع القرطاجي –الروماني نموذج لذلك، إضافة إلى نوع الموضوع وقيمته العلمية وقلة الدراسات حوله ما جعلني أعالج مثل هذا المواضيع،ومن جهة أخرى لاحظت نقص وافتقار مكتبتنا لهذا النوع من الدراسات لذا ارتأيت انه من الواجب المساهمة وتزويدها ولو بعمل بسيط يساهم في إثرائها ، فضلا عن أهمية الموضوع فموضوع الجوسسة قديما مختلف عن النظام ألاستخباراتي الحديث فقديما اقتصر على نقل الأخبار بهدف مساعدة الطرف الآخر أما الآن فقد تعددت وسائله.

5.المنهج المتبع :

ومن أجل أن تكون دراستي لهذا الموضوع وافية فقد اعتمدت على منهجين المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، فالمنهج الوصفي باعتباره المنهج الأنسب لوصف الأحداث ومجريات الصراع، والمنهج التحليلي لكون طبيعة الموضوع تحتاج إلى تحليل للأحداث من جهة ومن جهة أخرى تفسير بعض الأعمال الجوسسية، وبالتالي الوصول إلى إجابات على التساؤلات المطروحة حول الموضوع، ذلك أن الكثير من المصادر والمراجع تناولت الصراع القرطاجي الروماني وأشارت إلى الجوسسة ولكنها لم توفيها حقها، فكان الهدف من الموضوع الوصول للعمل الجوسسي، والى أي مدى ساهم في تغيير كفة ميزان القوى بين أطراف الصراع وبالتالي وجب علي الاستنتاج والتحليل للوصول إلى الهدف المنشود وهذا ما تطلب اعتماد المنهج التحليلي.

6.الخطة :

وللإجابة على الإشكالية المذكورة سابقا اعتمدت على الخطة التالية، التي احتوت ثلاث فصول وفصل تمهيدي، وتطرقت في هذا الأخير إلى أطراف الصراع الثلاثة قرطاجة، روما، نوميديا ارتأيت أن يكون الفصل التمهيدي بعنوان لمحة عن أطراف الصراع عبارة عن تقديم للقوى الثلاث المتصارعة دون الخوض في حيثيات الموضوع تطرقت فيه إلى قرطاجة وكيف تأسست ومن ثم أصبحت سيدة البحر الأبيض المتوسط ودور الذي لعبته في الخوض الغربي وما جعلها منافسة لروما وتدخل في الصراع وتناول روما كقوة في شبه الجزيرة الإيطالية ومن ثم تأسيس حضارة فرضت نفسها في البحر الأبيض المتوسط وبالتالي التدخل في شؤونه وصراعاته، ونوميديا كقوة محلية وطرف من أطراف الصراع وخصوصا أنها برزت خلال الحرب البونية الثانية بشقيها الشرقي والغربي ووجدت نفسها جزءا منه.

وجاء الفصل الأول تحت عنوان الجوسسة خلال الحرب البونية الأولى ومن خلاله قمت بدراسة أحداث الحرب البونية الأولى واستنباط العمل الجوسسي وكيف ساهم في تغيير موازين القوى لكل من أطراف الصراع الثلاثة فكان المبحث الأول بعنوان الجوسسة الرومانية وكيف استغلها الرومان وما هي الأساليب المعتمدة في ذلك، المبحث الثاني بعنوان الجوسسة القرطاجية وكيف استغل القرطاجيون الأوضاع والفنون الحربية المعتمدة واستعانتهم بالمدرسة العسكرية الاسبرطية وتفوقهم بذلك على الرومان، أما المبحث الثالث فجاء بعنوان الجوسسة لصالح السكان المحليين ودورهم كطرف محلي على علم بخبايا المنطقة وجيرانهم من القرطاجيين وبالتالي كانوا عيون روما فيها فكان من السهل على الحليف نقل خبر العدو وهذا ما يصب في العمل الجوسسي.

أما الفصل الثاني فقد عنونته بالجوسسة خلال الحرب البونية الثانية وحاولت أن الم في هذا الفصل بجميع جزئيات وتفاصيل الأحداث وخصوصا مع بروز قادة عسكريين لا زالت أسماؤهم محفورة في التاريخ لا يمكن نسيانها من خلال أعمالها ومن بينهم حنبعل و كورنيليوس سكبيو الإفريقي وتناولت كما هو معتمد في تقسيم الفصول السابقة إلى ثلاث مباحث فكان المبحث الأول بعنوان الجوسسة الرومانية حاولت جاهدة وقدر الإمكان الإلمام بتفاصيل الجوسسة الرومانية وكيف وظفها القادة الرومان والسياسة التي انتهجها هؤلاء لكسب الود وهي التحالف مع الشعوب التي يمكن الاستفادة

منها،والمبحث الثاني المعنون بالجوسسة القرطاجية وبروز القائد حنبعل الذي أرعب روما حيث استعمل الأساليب والمناهج العسكرية والمخططات التي أصبحت اليوم تدرس في اكبر الجامعات والمدارس الحربية، والمبحث الثالث كان بعنوان الجوسسة النوميدية وكيف استغلها النوميد لصالحهم وظهور ماسينيسا على مسرح الأحداث وتحالفه مع روما وبالتالي جرها لشمال إفريقيا وتحول شمال إفريقيا لمسرح للأحداث نهاية الحرب البونية الثانية وبداية الحرب الثالثة.

بينما جاء الفصل الثالث عن الجوسسة خلال الحرب البونية الثالثة وارتأيت أن أدرج في المبحث الأول الجوسسة الرومانية وتناولت ضمنه مختلف الأحداث والأعمال التي قامت بها روما واستغلال القادة والقناصل لحسم الحرب ودراسة مختلف الطرق والمناهج العسكرية التي انتهجها حنبعل خلال الحرب البونية الثانية أو كما يسميها البعض بالحرب الحنبعلية وبالتالي تسهل عملية ضرب قرطاجة في عقر دارها، أما المبحث الثاني المعنون بالجوسسة القرطاجية فلم تسجل الكثير من الأعمال الجوسسية لصالح قرطاجة، وذلك لأنها كانت وكأنها الفصل الأخير من تاريخ هذه الحضارة،أما المبحث الثالث فكان الجوسسة لصالح النوميد وهنا كذلك لم تسجل الكثير من الأعمال لصالح النوميد وذلك كون ماسينيسا كان قد توفي وترك العرش لأبنائه الثلاثة من جهة وأيضا لأن بعد وفاة ماسينيسا قرطاجة لم تدم طويلا حتى قضت عليها روما وأعلنتها مقاطعة رومانية، وفي الأخير خلصتإلى مجموعة من الاستنتاجات أدرجتها في خاتمة على شكل نقاط، كما أرفقت الموضوع بمجموعة من الملاحق جاءت في شكل خرائط دعمت الموضوع والتوضيح وإزالة الغموض.

7.الدراسات السابقة:

وقد تقاطع موضوع بحثي مع الكثير من أطروحات الدكتوراه والماجيستر مثل أطروحة الدكتوراه الخاصة بالأستاذة نور الهدى ورنوغي"الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها "فقد تناولت محطات ومجريات الأحداث الحرب البونية الثانية في كل من إيطاليا –اسبانيا –أفريقيا وتداعياتها على المنطقة شمال إفريقيا، و أطروحة ماجيستر الخاصة بحسن بلعيد بعنوان "حنبعل والحرب البونية الثانية" فقد أرخ للحرب البونية الثانية بصفة عامة ودور حنبعل لهذا حاولت استنباط جزئية من الحرب وهي التجسس والعمل الجوسسي داخل لحرب .

8.نقد المصادر والمراجع:

أما بالنسبة للمصادر والمراجع فقد اعتمدت على المؤرخ بوليب (204-122ق.م) فقد حظيت الحروب البونية بصفة عامة بعناية شاملة عند هذا المؤرخ وسمي بمؤرخ الحروب البونية ويعتبر مصدر أساسي لها وما ميزه انه كان مواكب للأحداث و شاهد نهاية قرطاجة وما يعاب عليه انه اتصف بالذاتية وكان يميل لرومان ومندهش بحضارتهم وهذا ما يجعلنا نتعامل بتحفظ وحذر مع مؤلفاته .

واعتمدت أيضا على الجغرافي سترابون (63ق.م-20م) واعتمدت في هذه الدراسة على (الكتاب 17)وبالتحديد "الجزء الثالث" الذي يتحدث عن جغرافية بلاد المغرب القديم فقد اعتمدت هذا الكتاب لمعرفة موقع قرطاجة غير انه واجهتني صعوبة في استعماله وهو ضبط المصطلحات الجغرافية .كما اعتمدت على مجموعة المراجع أعمال المؤرخ دوكريه فرانسوا مثل كتاب"قرطاجة الحضارة والتاريخ"، "وإمبراطورية البحر" فقد أفادني في كل الفصول تقريبا وذلك كونه تناول الحرب بين روما وقرطاجة،فقد استعنت به وفي تفاصيلها للأحداث التي تشير نوعا ما إلى العمل الجوسسي، بالإضافة إلى اصطيفان اكصيل واعتمدت على مجموعة بعنوان "تاريخ شمال إفريقيا القديم" وبالتحديد الجزء الثالث الذي جاء بعنوان "التاريخ العسكري لقرطاجة" فقد عالج هذا الكتاب الحروب البونية بمراحلها الثلاث وبتفاصيل أحداثها والجزء الخامس الذي جاء بعنوان "الممالك الأهلية ونظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي "وقد أفادني في جزئية التقنيات المستعملة من طرف النوميد في تنظيم الجيوش.

كما استعنت بكتاب الدكتور محمد حسين فنطر "حنبعل بطل قرطاج والمتوسط" وكان له الفضل وخاصة في الحرب البونية الثانية فقد احتوى هذا الكتاب على الكثير منالتفاصيل والجزئيات الخاصة بها، ضف إلى ذلك اعتمدت على كتاب الدكتور أحمد صفر "مدنية المغرب العربي" وقد أفادنيفي كل الفصول وذلك لما يتسم به من منهجية في الترتيب الكرنولوجي للأحداث وبالتالي سهل علي العمل،واعتمدت كذلك على مؤلفات المرحوم محمد الصغير غانم مثل كتاب "آراء ومقالات في تاريخ الجزائر القديم"،وأعمال الدكتور محمد الهادي حارش "التاريخ المغاربي القديم"و"مملكة نوميديا" وقد أفادني في الفصل التمهيدي وبالتحديد عندما عالجت مبحث نوميديا.

بالإضافة إلى مؤلفات المؤرخ محمد البشير شنيتي وقد أفادني في المباحث التي لها علاقة بالنوميد والسكان المحليين ودورهم .

9.الصعوبات :

ومن المعلوم أن أي دراسة لا تخلو من العقبات والعراقيل، وتمثلت عراقيل هذا الموضوع في العديد من النقاط أهمها قلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة في موضوع التجسس في الفترة القديم عموما وفي الحروب البونية بالخصوص، وهذا ما جعلنيأتناول الموضوع بطريقة القراءة فيما بين السطور للوصول إلى إبراز الفكر الجوسسي مما أدى إلى استنزاف الكثير من الوقت خاصة مع قصر المدة الزمنية للبحث، وفي الأخير نسال الله العظيم أن يكون هذا العمل في المستوى المطلوب ويساهم ولو بقليل في إثراء المكتبة مع العلم أني حاولت جاهدة لتقديمه في أحسن الشكل، فإن وفقت فبعون الله وتوفيقه وإن قصرت فمن نفسي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الفصل التمهيدي: لمحة عن أطراف الصراع

I- قرطاجة

II- روما

III- نوميديا

قبل الحديث عن الجوسسة ودورها في الحروب البونية،وكيف غيرت موازين القوى ومجرى الأحداث بالنسبة للقوى المتصارعة، ارتأيت أن أدرج لمحة عن أطراف الصراع وهي روما وغريمتها قرطاجة ونوميديا التي وجدت نفسها جزءا من الأحداث ربما بفعل الإطار الجغرافي،وقبل الحديث عن أسباب الصراع وكيفية نشوبه يتبادر الى ذهننا سؤال مهم هو الذي يُبنى على أساسه هذا الفصل وهو: كيف ظهر كل طرف من هذه الأطراف على ساحة الاحداث،وما مدى فاعليتها في تغيير موازين القوى في البحر الأبيض المتوسط؟

كانت بداية العلاقات القرطاجية–الرومانية علاقة ود وتحالف، وكان كل من الطرفين يسعى لتأمين مصالحه الشخصية، حيث ركزت قرطاجة وانّصّب جل اهتمامها على تحقيق مكاسب الاقتصادية في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتمكنت من فرض نفسها وتطورت من مركز تجاري إلى قوة بحرية تعمل على السيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

أما روما فكانت أهدافها توسعية وقامت بإخضاع شبه جزيرة الإيطالية وتوحيدها تحت رايتها، ومن ثم ظهرت كإحدى القوى الجديدة في العالم القديم،وبدت نية ومطامع روما التوسعية واضحة في الهيمنة على حوضي البحر الأبيض المتوسط، من خلال الاهتمام بشؤونه وخاصة جزيرة صقلية بحكم قربها الجغرافي وثرائها الاقتصادي، كما كانت قرطاجة ومستوطناتها ضمن الأهداف التي كانت سعت روما لها وهي إخضاعها تحت إمرتها والإطاحة بها لتحل محلها.

وباجتياح روما لمضيق مسينا في شمال جزيرة صقلية الغت جميع المعاهدات السلمية التي ربطت بينهما، وباتت العلاقات بينهما تتسم بالحرب وأصبح السلاح هو الحل، وقادهم إلى الاصطدام فنشبت بينهما حروب ضارية دامت مدتها قرابة القرن وثمانية عشر عرفت في تاريخ البحر الأبيض المتوسط بالحروب البونية،وقد انتهت بهزيمة قرطاجة وإزالتها من الوجود وتحويل شمال إفريقيا إلى مقاطعة رومانية.

I.قرطاجة:

قبل الشروع في الحديث عن قرطاجة لابد لنا أن نتعرف على هذا الشعب الذي جاب البحر وتمكن من تأسيس مدينة ارتقت إلى دولة وسيطرت على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ولم تنتهي إلا باصطدامها مع قوة نافستها على موقعها المتميز والاستراتيجي وهي روما، ولذلك نطرح إشكال مهم، وهو كيف ظهرت قرطاجة على مسرح الأحداث؟ وما الذي جعلها منافسة لروما؟

1.تأسيس المدينة:

قرطاجة مدينة أسسها فينيقيون لجئوا من مدينة صور في الساحل الفينيقي، ووفقا لأسطورة التأسيس التي تنسب لمؤسستها الأميرة أليسا[1] وما حل بها والأمر الذي دفعها لإنشاء مستوطنة، فإن قرطاجة قد تأسست على يد ملكة صورية سميت أليسا (Eliasa) وديدون –عليسة –ابنة متان ملك صور.بعد وفاة هذا الأخير بقي الحكم لابنيه بغماليون و أليسا، وكانت هذه الأخيرة في غاية الجمال وتزوجت بخالها "عاشر باص" كبير كهنة ملقارت[2]، وقد عرف بأنه غني جدا وبأنه أخفى ثروته تحت الأرض خوفا من طمع الملك وجشعه[3]، لكن بغماليون قرّر الاستيلاء على أمواله،ولم يتوانَ عن قتل خاله وزوج أخته في نفس الوقت، وهذا ما اجبرها على الفرار والاحتيال على شقيقها وأبحرت بأموال زوجها ومؤيديها متوجهة إلى إفريقيا بعد محطتها الأولى بقبرص[4]وانضمام الكاهن (يونو–جونو) الذي حاز على إشراف ديني في المدينة الجديدة رفقة 80 فتات ليكن أزواجا

1–**أليسا**: أميرة صورية ابنة الملك متان وأخت الملك بغماليون (أواخر القرن 9ق.م).انظر:هنري س.عبودي،**معجم الحضارات السامية**،ط2،جروس بروس ،لبنان ،1991، ص122.

2–محمد الصغير غانم، **التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1979،ص107.

3–فرانسوا دوكريه،**قرطاجة الحضارة والتاريخ**، تر: يوسف شلب الشام، مكتبة الإسكندرية، مصر،1998،ص 42.

4–**قبرص (Chypre)**:جزيرة في الحوض الشرقي للبحر الأبيض،اشتهرت منذ الأزمنة القديمة بنحاسها الذي كان يحول محليا إلى سبائك تصدر إلى مصر وبلاد مابين النهرين.انظر:هنري س.عبودي،المرجع السابق ،ص 671.

لشباب الذين كانوا معها.وعند وصولها لإفريقيا ابتاعت قطعة ارض بمقدار جلد الثور (Byrsa)[1]، واتخذت حيلة تقطيع جلد الثور إلى شرائح رقيقة جدا[2]، ومدت هذه الشرائط وأحاطت بمساحة تكفي لبناء مدينتها[3].

وقد أطلق على هاته المستوطنة الجديدة اسم "قرت حدشت"وتم تحريفها إلى "كارتاجو"و"كارتشادون"،وكلمة قرطاجة في اللغة اللاتينية"كارتاجو" أما في الإغريقية "كارتشادون"، في حين تعني لدى الكنعانيين وهم سكان المدينة الأصلية كيرجا تحدشت أو المدينة الجديدة،نستنتج من خلال هاته التسمية أن هناك مدينة سابقة النشأة،ويرى اغلب المؤرخين إلى أن المدينة هي مدينة عتيقة(أوتيكا)[4] التي تأسست في نفس المنطقة وكان ذلك حوالي عام 1101ق.م[5].

2.الموقع الجغرافي:

تقع قرطاجة على بعد 16 كلم من الشمال الشرقي لمدينة تونس[6]، على شبه جزيرة واسعة يحدها من الجنوب خليج تونس،ومن الشرق البحر ومن الشمال بحيرة سوكرا المالحة الممتدة على شاطئ،ويتصل شبه الجزيرة هذا من الغرب بالقارة الإفريقية[7]،أما من الخلف فإنها محمية بمرتفع بيرصا الذي بني في قمته معبد الإله أشمون[8]،ولا تتصل قرطاجة باليابسة إلا عن طريق برزخ ضيق يبلغ طوله حوالي أربعة كلم ونصف، ويذكر محمد غانم نقلا عن المؤرخ أبيان في وصفه لقرطاجة بأنها تشبه

1-محمد الهادي حارش،**التاريخ المغاربي القديم** السياسي والحضاري منذ بداية فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي،المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر،1992،ص 45،46.

2-فرانسوا دوكريه،المرجع السابق،ص44.

3-محمد الصغير غانم، المرجع السابق،ص107.

4-**أوتيكا(Utique)**: مستوطنة فينيقية تقع حاليا في تونس أسست لأهداف اقتصادية وإستراتيجية،وتعد من أولى المستوطنات الفينيقية حوالي 1101ق.م.انظر:حصة تركي هذال،"المراكز والمستوطنات التجارية الفينيقية في غرب البحر المتوسط قبل تأسيس قرطاجة "،مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 41، جويلية 2016،ص155.

5-مفتاح محمد السعد البركي،**الصراع القرطاجي الإغريقي** من القرن 6ق.م حتى منتصف القرن 3ق.م وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة،مجلس الثقافة العام، ليبيا، 2008، ص 61.

6-مادلين هورس ميادان،**تاريخ قرطاج**،تر:إبراهيم بالش، منشورات عويدات،،لبنان ،1981،ص10.

7-محمد الهادي حارش،المرجع السابق،ص47.

8-**اله أشمون(Ashmoun)**:اله فينيقي كان يعبد بصورة خاصة في بيروت وصيدا.شعاره حية تعضّ ذنبها،وهي رمز للخلود.كان لاشمون معبدا خارج مدينة صيدا جنوبي نهر الأولي ومعبد في قرطاجة على قمة بيرصا.انظر:هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص86،87.

السفينة الراسية، ويضيف محمد الصغير غانم نقلا عن بوليب ويقول بأن قرطاجة تمتد على شاطئ الخليج وسط شبه جزيرة محاطة بالبحر من الجهة وبالبحيرة من جهة أخرى (بحيرة تونس) ولايزيد عرض البرزخ الذي يربطها بليبيا عن 25 استادا "Stades"أو كما تسمى ستاديوم [1]،وعلى مسافة غير بعيدة من قرطاجة عبر الشاطئ[2]. (**انظر الملحق رقم 1ص148**).

ويصف سترابون مدينة قرطاجة في قوله:«شيدت على شبه جزيرة توصف بان لها سورا محيطه 360ستاديون،و60ستاديون من طول هذا المحيط شغلها المضيق (البوغاز) الذي يمتد البحر إلى البحر،وهو مكان واسع فسيح حيث كانت إسطبلات الفيلة الكارخيدونيين (القرطاجيين)وفيوسط المدينة تقريبا تقع الاكربول التي كانوا يسمونها فيرسا (بيرسا –بورسا).[3]

3.زمن التأسيس:

تجمع أو تتفق المصادر على انه زمن تأسيس قرطاجة كان في القرن التاسع قبل الميلاد وهناك من خص تاريخ تأسيس قرطاجة ب814ق.م من طرف مهاجرين فينيقيين من سواحل شرق البحر الأبيض المتوسط كما سلف الذكر، لكن يجب الإشارة إلى بعض المصادر الكلاسيكية التي اختلفت حول زمن التأسيس وسأدرجها فيما يأتي:

أ.الرأي الأول:

يعتمد هذا الرأي على تاريخ سقوط قرطاجة في ربيع 146ق.م، ومن رواد هذا الطرح تبتيوس لويوس،ويفترض أن المدة التي عاشتها قرطاجة هي: 700سنة وترجع ضمنيا إلى 846ق.م، في حين يرى البعض أنها عاشت 667 سنة فيكون بذلك تأسيسها في حدود 813ق.م ونجد ضمن هذا الطرح كلا من: "شيشيرون" (CICERON) و"أبيانوس أسكندري"و"سولينوس" (Julius Solinus)[4].

1-**استاديوم**(**stadium**):وحدة قياس طولية إغريقية تعادل 184 متر .انظر :سترابون،**جغرافية سترابون** (وصف ليبيا وإفريقيا)،تر:محمد المبروك الدويب،كتاب 17،جامعة قاريونس،ليبيا،2003،ص 93.

2-محمد الصغير غانم ،المرجع السابق ،ص107،108.

3-سترابون،المرجع السابق ،ص107.

4- الشاذلي بورونية و محمد الطاهر،**قرطاج البونية تاريخ حضارة**،مركز النشر الجامعي،مصر،1999،ص89.

ب.الرأي الثاني:يرى أصحاب هذا الطرح أن تأسيس قرطاجة اسبق من تأسيس روما وفقا لتقويم (T.VARRON) أي قبل 753ق.م وحسب الشاذلي و بورونية نقلا عن وليوس باركولوس بأن سبق تأسيس قرطاج نشأة روما ب65سنة وبذلك يكون تاريخ تأسيسها 818ق.م،أما يوستيوس فيقر بوجود فارق 72ق.م بين تأسيس المدينتين وهو يعني 825ق.م تاريخ تأسيس قرطاجة.

ج.الرأي الثالث:

يعتمد هذا الرأي على تاريخ الألعاب الأولمبية الأولى الذي يؤرخ لتأسيس قرطاجة بـ 38 سنة قبل الألعاب الأولمبية وهو مايوافق 814ق.م[1]، وبذلك تكون قرطاجة تأسست في القرن التاسع بصفة عامة وذلك يتماشى مع الدليل الأثري الذي يقر بأن قرطاجة قد تأسست في القرن 9ق.م، ولم يعثر الباحثون على دليل يتجاوز ذلك التاريخ[2].

4.قرطاجة سيدة البحر الأبيض المتوسط:

توسطت قرطاجة المستوطنات الفينيقية في شمال إفريقيا ما قوى صلتها بالمناطق المجاورة لها والتي كانت بمثابة الشرايين التي تغذيها وتمدها بما تحتاجه من سلع ... وبالتالي ساعدها على مد السيطرة على تلك المناطق خاصة مع تراجع قوة صور [3] وأدت بفضل موقعا الاستراتيجي دورا هاما وفعالا في تجارة البحر المتوسط ، لعب هذا الأخير دور هاما وفعالا وذلك نظرا لأهميته الحيوية في نشاط الحركة الاقتصادية وما أتاحه من المبادلات والإمكانيات التجارية بين دول الحوض المتوسط بشقيه الشرقي والغربي ، كما انه شكل بموقعه المتميز منفذ استراتيجي يتم من خلاله التحكم في حركة الملاحة التجارية [4] وبالتالي اشتد التنافس بين دول الحوض وسعت كل منها لتأمين تجارتها وحماية طرقها وهذا ما حوله لمنطقة ملتهبة بالصراعات والنفوذ والسيطرة تجلى ذلك في الصراع القرطاجي الإغريقي ويعود إلى توسع القرطاجيين وتأسيسهم لمراكز تجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط

1-نفسه ،ص89،90.

2-مفتاح محمد سعد،"الملكية في قرطاجة "، مجلة عصور جديدة، مج 6،العدد21،22، مخبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران ،ماي 2016،ص11.

3-سعاد نعيمي ووفاء عواد ،**سياسة قرطاج الافريقية (480-146ق.م)**،مذكرة ماستر ،جامعة حمه لخضر الوادي –الجزائر ،2020/2019،ص 7.

4-حليمة لرابي ،**العلاقات بين قرطاجة وروما من خلال المعاهدات (509-146ق.م)** ، مذكرة ماجيستر ،جامعة الجزائر 2-ابوالقاسم سعد الله ،الجزائر ،2016/2015،ص 5.

ونشاطهم التجاري فسعوا إلى حماية مستوطناتهم والدفاع عنها ما قادهم لصراع مع إغريق وما إن انتهى حتى اصدموا بالرومان ، أحس القرطاجيون بخطر الإغريق على مراكزهم التجارية وأصطدم القوتين في صراع عنيف دام من منتصف القرن 6ق.م حتى منتصف القرن 3ق.م[1] ، ومن ثم الصراع القرطاجي الروماني الذي دام قرابة قرن وثمانية عشر سنة من الزمن ومر بعدة جولات بين أطراف الصراع.

هاته المدينة التي ستتربع على عرش البحر الأبيض المتوسط وتنافس دول الحوض على غنائمه وتصطدم بأقوى دول من دول العالم القديم بروما العظمى،وتعتبر من أهم المستوطنات وأكثر أهمية في الحوض الغربي لبحر الأبيض المتوسط نظرا لموقعها الاستراتيجي، وأصبحت مسؤولة على إمبراطورية مترامية الأطراف (تتكون من مستوطنات غنية في غرب صقلية وسردينيا[2] ومالطا وايبيزا اسبانيا الجنوبية وسواحل إفريقيا ويبدوا أن طبيعة العلاقات التي تربط هذه المستوطنات بقرطاجة كانت مكلفة بأمن تلك المستوطنات وممتلكاتها مقابل الاعتراف بسلطة قرطاجة في بعض المجالات السياسية والاقتصادية.(**انظر الملحق رقم 2ص149**).

ويرى محمد حارش نقلا عن محمد فنطر أن الأمر يتعلق بفدرالية (دول مدن) ذات السيادة في المسائل الداخلية لكنها خاضعة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية[3]، وبحكم فيدرالية (دول المدن) فإن قرطاجة تحمي مستوطناتها خاصة تلك التي في صقلية (مسينا)[4]وذلك ما جعلها تصطدم بقوة أثبتت نفسها في شبه الجزيرة الإيطالية وتسعى إلىإثباتها في البحر الأبيض المتوسط وهيروما،لتقرع طبول حرب وصراع دام حوالي قرن وثمانية عشر من الزمن.

1-ليث خليل خلف السلماني،"الصراع الروماني –الفينيقي عبر البحر المتوسط (264-146ق.م)"،مجلة البحوث ،ج1،العدد4، 2016، ص441.

2 -**سردينيا** sardinia:جزيرة في البحر الأبيض المتوسط الغربي، هي ثانية في الأهمية بعد صقلية تقع غرب شبه الجزيرة الإيطالية وجنوب كورسيكا ،عرفت بغناها بمعادن الرصاص والحديد والفضة ما جذب إليها العديد من الغرباء .انظر :هنري .س عبود ،المرجع السابق،ص473.

3-محمد الهادي حارش،المرجع السابق،ص47.

4-**مسينا**(**Messina**):مدينة تقع أقصى الشمال الشرقي بجزيرة صقلية وهي تشرف على المضيق الفاصل بين إيطاليا وصقلية والذي يحمل ذات الاسم.انظر:سعاد نعيمي ووفاء عواد، المرجع السابق،ص21.

II.روما:

1-أسطورة التأسيس:

تقول الأسطورة بعد سقوط طروادة بيد اليونان وتدميرها هاجر المحارب الطروادي اينياس ابن الآلهة فينوس والطروادي انكيسيس وتزوج اينياس ابنة الملك الطرواد يبريام وبعد مغامرات عديدة في مختلف أرجاء البحر المتوسط رسا المغامر بسفينته على شواطئ نهر التيبر في مدخل سهل اللاتيوم في نفس الموقع الذي نزل فيه الإله ساتورنوس بعد أن خلفه ابنه جوبيتر على عرش الآلهة وحل محله وسميت المنطقة باللاتيوم نسبة لسهل ، وقام ساتورنوس اعترافا بفضل سكان المنطقة بزراعة القمح والكرمة .وكان لاتينوس سليل الإله ساتورنوس يحكم لاتيوم حين وصول اينياس إليها زوجه من ابنته لافمينيا وبعد موت الملك خلفه اينياس على العرش وبني مدينة سماها لافينيوم إكراما لزوجته وأصبح شعبه يعرف باسم الشعب اللاتيني نسبة إلى لاتينوس واختفى اينياس في عاصفة هوجاء فأصبح معبودا لدى شعبه باسم "جوبيتر القومي "وبعد موته حكم المدينة أبناؤه وأحفاده ومنهم الملك "نومبتر " الذي رزق بابنة هي رياسيلفيا وابنا ذكرا وثار عليه أخوه الأصغر اميليوس وعزله على العرش وتولى مكانه ونفاه ثم قتل ابنه ونذر ابنة أخيه للآلهة "فيستا " أعجب بالفتاة الإله مارس وتزوجها وأنجبت له توأمان هما روموس و روملوس وعندما علم اميليوس بالأمر ألقى بالطفلين في نهر التيبر لكن الآلهة تدخلت فأنجبتهما من الغرق ودفعت بهما إلى الشاطئ النهر تحت شجرة التين وجاءت الذئبة من الجبال وحمتهم وحنت عليهم وأرضعتهما ، وظل كذلك إلى أن عثر عليهما الراعي قطعان الملك وقام وزوجته بتربيتهما وكبر الطفلان ولما بلغ أشدهما انتقما لجدهم من اميلوس وأعادا جدهما للعرش المملكة و مكافأة لهما على صنيعهما منحهما جدهم أراضي التلال السبعة على ضفاف نهر التيبر وقرر الأخوان بناء مدينة لهما في المنطقة ،لكن بعد مناوشات بين الأخوين قتل روميلوس آخوه ريموس وأرخ لبناء المدينة ب753ق.م [1].

ومرت بمراحل خلال حكمها وكان لكل مرحلة مميزاتها فبعد انتهاء النظام الملكي قام نظام الجمهوري هذا الأخير الذي انتهجت روما خلاله سياسة توسعات داخل شبه الجزيرة الإيطالية وبعد انتهاء من وحدتها لشبه الجزيرة وضمتها تحت رايتها لجأت لسياسة التوسعات خارج شبه الجزيرة الإيطالية ومن ثم البحر الأبيض المتوسط الذي ستشهد خلاله صراعات ومن بينها الصراع القرطاجي الروماني.

1-علي عكاشة وآخرون، **اليونان والرومان**،دار الأمل للنشر والتوزيع،مصر،1998،ص149،150.

2.أصل التسمية:

توجد عدة فرضيات حول أصل تسمية روما سنذكر فيما يأتي حول ما قيل عن تسميتها وهي أن هناك من المؤرخين من يرجعها إلى أسطورة التأسيس وما ورد فيها حول الأخوين ريموس وروملوس هذا الأخير الذي اشتق اسم روما من اسمه[1] .أما عن تسمية شبه الجزيرة الإيطالية فكان الإغريق أول من أطلق على الطرف الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة الإيطالية اسم(ITALIA) وذلك إبان القرن 5ق.م وانتشر استخدام الاسم حتى أصبح يطلق على كل شبه الجزيرة وذلك قبل نهاية القرن 1ق.م[2].

3.الموقع الجغرافي:

تقع روما في شبه الجزيرة الايطالية،تمتد من قسم القارة الأوروبية في حوض البحر الأبيض المتوسط وتقسمه إلى قسمين شرقي وغربي،طولها حوالي 1000كلم،وعرضها يتراوح بين (140-160كلم)،تطل من الشرق على البحر الادرياتيكي الذي تشكل اليونان حدوده الشرقية،بينما ينفتح البحر الأبيض المتوسط إلى الغرب منها:إلى سواحل اسبانيا حيث تتناثر فيه الجزر العديدة مثل كورسيكا،سردينيا،وجزر البليار، أما شواطئها الجنوبية فإنها تطل على جزر صقلية[3]ومالطا،وتقترب بذلك من الشواطئ الشمالية للقارة الإفريقية خاصة تونس وليبيا[4]. (**انظر الملحق رقم 3ص150**).

إضافة إلى ذلك تتمتع شبه الجزيرة الإيطالية بتضاريس متنوعة حيث تمتد سلسلة جبال الابنين على طول شبه الجزيرة من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة الشواطئ الشرقية لشبه الجزيرة، وتبتعد عن الشواطئ الغربية لتفسح المجال لتشكل سهول زراعية وأراضي خصبة تخترقها مجموعة من الأنهار،ومن أهم السهول سهل اللاتيوم الذي تقع عليه مدينة روما ويجري به نهر التيبر،وسهل اتروريا ويجري به نهر الارنو،وتفرض سلسلة جبال الابنين تجزئة شديدة للأرض الإيطالية وتعزل الشواطئ الشرقية عن الشواطئ الغربية، ، وتعزل سهول صقلية وكمبانيا عن سهل اللاتيوم واتروريا وحوض نهر البو (عرفت بسهول لمبارديا في مابعد). أمافي الشمال فتشكل جبال الألب ارتفاعها حاجز يفصل شبه الجزيرة

1-سامي سعيد الأحمد ،**تاريخ الرومان** ، مكتبة المهتدين ،(د.م.ن)،(د،ت)،ص32.

2-محمود إبراهيم السعدني، **حضارة الرومان** منذ نشأتها وحتى نهاية القرن 1ق.م،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،مصر،1998،ص39.

3-**صقلية**: جزيرة في القسم الغربي من البحر الأبيض المتوسط تابعة حاليا لإيطاليا. انظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق،ص550 .

4 -علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق،ص140.

عن بقية أوروبا ولاتصلها بها إلا بعض الممرات الجبلية الضيقة الأمر الذي جعل الاتصال محصورا وضيق إلى حد كبير[1].

كل هذه المقومات الطبيعية لشبه الجزيرة الإيطالية ساهمت بشكل كبير في جذب العنصر البشري واستقراره في هذا الإقليم، ومن ثم تأسيس حضارة فرضت نفسها على البحر الأبيض المتوسط وضفافه على مدى غير بعيد، غير انه تجدر الإشارة أولا إلى هذا العنصر البشري الذي استقر في هذه المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ وعناصر بشرية وفدت بعد ذلك إلى المنطقة شكلت في مجملها التركيبة البشرية لشبه الجزيرة الإيطالية، والتي كان لها الأثر البالغ في مجرى الأحداث كما سيرد لاحقا.

4.اصل السكان:

سكنت إيطاليا العديد من القبائل المحلية وبعض الشعوب غير الإيطالية التي وفدت إلى المنطقة على فترات متفاوتة سأوردها فيما يلي:

أ.اللاتين (Latin):عاش اللاتين على الضفة الجنوبية الشرقية من نهر التيبر في منطقة سهلية بطول 64 كلم وعرض 48 كلم،بين الشاطئ وجبال الابنين دعتها اللاتيوم(Latium)، قاموا بزرع الحبوب ورعوا القطعان فوق الأنجاد والهضاب .

ب-الكمبانيون(Companien)في كمبانيا الرومانية، واللوكانيون في جبال الابروز والغاليون في أقصى الشمال [2]والامبوريون—السابليون وكانوا يسكنون في واد جبال الابنين الوسطى[3].

چ – السامنيون(Sumenties) :وهم إحدى القبائل الجبلية التي تسكن مرتفعات الابنين الجنوبية وتسيطر على مساحة شاسعة من الأرض تمتد من الساحل البحر الأدرياتي مارة بشمال روما وجنوبا حتى خليج تارنتوم ، وكان السامنيون عنصرا سكانيا يتميز بالشراسة وحب القتال ، وأتقن السامنيون حرب الجبال وكان قد طلب هؤلاء السامنيون روما بمنفذ على البحر لكن روما رفضت ذلك خوفا من قوتهم و عندما رفضت هذه الأخيرة بدأت حرب طويلة بين الطرفين دامت 40سنة،وبعد جولات بين الطرفين وحوالي 290ق.م استسلم السامنيون وصاروا حلفاء لروما كجماعة غير مستقلة

1-علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق، ص140،141.

2-إبراهيم رزق الله أيوب ،**التاريخ الروماني** ،الشركة العالمية للكتاب ،لبنان،1996،ص18.

3-عبد الطيف احمد علي ،**التاريخ الروماني** ، دار النهضة العربية ،لبنان ،1996،ص35.

[1].ويظهر من ذلك أن الصراع كان من اجل السيطرة على إيطاليا وبذلك توزعت خيوط روما في شبه الجزيرة الإيطالية .

د.اللغوريون (Ligures): من القبائل غير الإيطالية، قطنت في الركن الشمالي الغربي من إيطاليا الذي يشمل واد البو على امتداده شرقا حتى نهر "تيكينويس"وكذلك الساحل على امتداده شرقا حتى نهر ارنو[2]،وهم سلالة منحدرة من سكان العصر النيوليتي، لم تمتزج بالمهاجرين الجدد واستخدموا لغة هندوأروبية في مطلع العصور التاريخية[3].

هـ.الاتروسكيون:اختلف حول أصلهم فهيرودوت (مؤرخ القرن 5ق.م) يرى أنهم وفدوا من ليديا[4]في أسيا الصغرى، أما المؤرخ الإغريقي ديونيسوس هاليكارناسي (كتب خلال النصف الثاني من القرن 1ق.م) ويرى أن الأتروسكيين أصلهم إيطالي أي سكان محليين،مبرزا في ذلك أوجه الاختلاف بين لغة أتروسكية و الليدية في عصره،ليظهر خلال القرن 19م رأي أخر مفاده أن الاتروسكيين إما مهاجرين أتوا من أواسط أوروبا،أو مزيجا يتألف من المهاجرين والأهالي الذين استوطنوا قبلهم منطقة اتروريا[5]، ومن أهم مدنهم المحصنة "تاركويني"(Tarquini)"فتولونيا" (Vetulunia)، "بروجيا" (Perugia)، وأعظمها وأشهرها"فياي" (Veii)[6].

انطلق السكان من أتروريا في منتصف القرن 7ق.م إلى منطقة كمبانيا واستولوا على سهل اللاتيوم وقاموا بتمدين سكانه، وبنوا فيه عددا من المدن وشقوا القنوات لري الأراضي الزراعية وأقاموا فيها حكومة ملكية وتعاقب عليها عدد من الملوك وتقدموا نحو الجنوب، حيث احتكوا باليونان وانشئوا معهم علاقات سياسية وإدارية وفكرية مختلفة[7]، كما اعتنوا بالأرض جيدا وزرعوها بمختلف

1-سامي سعيد الأحمد ،**تاريخ الرومان** ، مكتبة المهتدين ،(د.م.ن)،(د،ت)،ص43،44.

2-عبد اللطيف احمد علي،المرجع السابق،ص36.

3- إبراهيم نصحي،**تاريخ الرومان** منذ أقدم العصور حتى عام 133ق.م،ج1،ط2، مكتبة أنجلو المصرية، مصر،1978،ص41.

4- **ليديا**: (**Lydia**): وبالصيغة اليونانية (Adsia) هي منطقة تاريخية غرب الأناضول وتتطابق حاليا مع المحافظات التركية أزمير ومانسيا. انظر:إيمان لفته حسين، «مملكة ليديا (287-546ق.م)تاريخها وحضارتها»، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج 4، العدد 3،(د.ت)، ص307.انظر كذلك: هيرودوت،**تاريخ هيرودوت**، تر: عبد الإله ملاح،المجمع الثقافي،أبو ظبي،2001، ص32.

5-إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص46.

6-إبراهيم رزق الله أيوب، المرجع السابق، ص 20.

7-علي عكاشة،المرجع السابق،ص144.

أنواع الأشجار، واهتموا بمستودعات الري وتصريف المياه الزائدة أو أقاموا السدود وقنوات الري، واستصلحوا الأراضي واهتموا بالثروة المعدنية ما ساهم في ازدهار صناعة المعادن خاصة البرونزية[1].

عبر الاتروسكيين البحر وأسسوا مستعمرات في جزيرتي ألبا وكورسيكا المتاخمتين لاتروريا، وعرف البحر باسم التيراني نسبة إليهم لأنهم كانوا يعرفون باسم "التيرنيين" (Tyrrhenoi) وهذه الأخيرة تسمية أطلقها عليهم اليونان، وعرفت بلادهم باسم (Terrhenia) وكانوا يسمون أحيانا باسم "التوسكين" (Tuski)أو "الاتروريين"[2].

و.الكلتيون: يعتقد أن أصولهم تعود إلى أوروبا الوسطى، وهم من الشعوب الهندوأروبية بحيث أنهم استوطنوا بلاد الغال (فرنسا حاليا في فترة مابين القرنين 6 و7ق.م)، احتلوا جزيرة أيبيريا وانتصروا على الاتروسكيين وكان ذلك حوالي القرن 5ق.م، وقاموا بغزو روما وعاثوا فيها فسادا عام 390ق.م، تميزوا بالذكاء والشجاعة وسرعة الغضب،كانت تربطهم علاقات تجارية مع أقوام المجاورة لهم، قاموا بصنع أدواتهم من المعادن وخاصة القصدير،عرفوا بناء السفن وأبحروا بجوار شواطئ المتوسط والأطلسي[3].

ز–الإغريق:

من بين أرقى الحضارات حضارة اليونان في جنوب إيطاليا[4]، هاجر هؤلاء إلى جنوب إيطاليا وجنوبها الغربي واحتلوا المناطق الساحلية، وأسسوا عددا كبيرا من المستعمرات وكان ذلك حوالي منتصف القرن 8ق.م أو بعده بقليل حتى منتصف القرن 6ق.م[5]، وكانت المستعمرات موزعة من خليج نابولي في الغرب إلى خليج أوترانتو في الجنوب، وعلى الجزء الشمالي من جزيرة صقلية ثم على معظم الجزيرة بعد انتصار حاكم مدينة "سراقوسة" (Seracuse) على القرطاجيين عام 480ق.م فأصبحت أعظم المدن الإغريقية في الجزيرة[6]، يرجع لهم الفضل في انتشار زراعة أشجار الزيتون في

1–إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص21.

2–عبد اللطيف احمد علي، المرجع السابق، ص38.

3–علي عكاشة وآخرون، المرجع السابق، ص 143، 144.

4–دونالد ر دودلي،**حضارة روما**، تر: فاروق فويد وجميل يواقيم الذهبي،الإدارة العامة للثقافة والنشر وزارة التعليم العالي،مصر ، (د.ت)، ص14.

5–عبد اللطيف احمد علي، المرجع السابق، ص38.

6–إبراهيم رزق الله أيوب، المرجع السابق ص21.

إيطاليا، وكذلك تقليد الايطاليين في صناعة الأواني الفخارية والبرونزية[1]،وكان الاستيطان الإغريقي في صقلية في جنوب إيطاليا جزءا من حركة استعمارية واسعة، حيث قامت منذ القرن 8ق.م حتى القرن 6ق.م، ومن خلال هذا الاستعمار غرست في سواحل البحر المتوسط من اسبانيا ممتدة إلى روسيا وخلفت نظام الدولة المدينة اليونانية(Polis)، وتعد بلدة "كوماي" (Cumae) من أقدم المدن الدول في إيطاليا وأنشأت في عام 750ق.م[2].

نستنتج مما سبق من توزيع شعوب إيطاليا عند نهاية القرن 6ق.م انه لم تشهد وحدة جنسية أو ثقافية بين أنحائها المختلفة، مما يشكل عائق إلى جانب العوائق الجغرافية التي وضعتها الطبيعة في طريق قيام وحدة سياسية وتكوين وحدة إيطالية[3]، ورغم كل العوائق التي واجهت روما سواء الجغرافية أو البشرية إلا أنها تمكنت من تشكيل إمبراطورية مترامية الأطراف بعد سلسلة من التوسعات والحروب التي خاضتها وتمكنت من إخضاع العديد من الأقاليم تحت حكمها، وأصبحت بذلك من بين اكبر إمبراطوريات العالم القديم.وبعد الانتهاء روما من حروبها وتوسعاتها داخل شبه الجزيرة الإيطالية وتكوين وحدة سياسية وخضوع القبائل التي أضحت تدين بالولاء لروما توجهت أنظارها صوب البحر الأبيض المتوسط لما يتمتع به من نفوذ وغناها بالمواد الأولية لاحظت توسعات قرطاجة وانتشار مستوطناتها في حوض المتوسط وبالتالي سعت روما للحفاظ على ممتلكاتها ما جعلها تصطدم بقرطاجة .

III .**نوميديا**:

تتفق اغلب المراجع على أن نوميديا تشكلت من تكتلات قبلية أشهرها قبائل الماسيل والمازيسيل[4]، لكن قبل الحديث عن نوميديا الشرقية والغربية ربما تراودنا أسئلة يجب الإجابة عنها، ما محل نوميديا من الصراع؟ وكيف وجدت نفسها جزءا منه؟ وماهي تداعيات الصراع عليها؟

1-إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص21.

2- دونالد ر دودلي، المرجع السابق، ص17.

3-عبد اللطيف احمد علي،المرجع السابق، ص39، 40.

4-محمد الصغير غانم،**المملكة النوميدية والحضارة البونية**،دار الهدى،الجزائر،2006، ص38.

1.التسمية:

ورد ذكر النوميد في العديد من المصادر الإغريقية والرومانية فنجد نص هيرودوت عن الليبيين ويعد أقدم النصوص الكتابية التي ورد فيها ذكر قبائل النوميد القديمة دون أن نجد ذكرا صريحا لقبيلة تدعى النوميد في نصه، غير انه ذكر كلمة (Nomade) عند تقسيمه لسكان ليبيا إلى قسمين: مزارعين مستقرين غرب بحيرة تريتانوس[1] (Tritonis)ورعاة متنقلين[2]،وأطلق اليونانيون اسم النوميد على كل الأفارقة الخاضعين لقرطاجة والرابطين في حدودها كحلفاء[3].

وأشار الكاتب كيحل نقلا عن سترابون إلى أن لفظة "نوميد" أطلقت على هذه القبائل باسم امتهانها لحرفة الرعي بعد تخليهم عن الزراعة، وكلمة توافق لفظ نوماد الإغريقي ورد في نص له واصفا بلاد سكان ليبيا:«إلى ما وراء هذه البلاد ذات الامتداد المعتبر تبدأ بلاد "النوماد"(Nomades)الرحل،الأمة التي تحمل أشهر قبائلها أسماء الماسيل و المازيسيل، أما بخصوص الكتاب اللاتين فنذكر ما جاء على لسان سالوست في نصه قائلا :«.....التحم الفرس Persae شيئا فشيئا بالجيتول عن طريق الزواج ،وبما أنهم كانوا يتنقلون باستمرار سعيا للعثور على أراضي ملائمة اخذوا اسم الرحل ،وبعد أن تنامت قوة الفرس وبسرعة .....ما استولى على الأرض المجاورة لقرطاجة ولما كانوا يسمون بالنوميديين سميت تلك البلاد بنوميديا»

وأشار بأنه أخذ هذه المعلومات من الوثائق البونية للملك هيمبصال[4]"Hiempsal".[5]أما عن المؤرخين الإغريق فذكر الكاتب كيحل نقلا عن بوليب الذي يعتبر أكثر الكتاب شهرة ،فقد ربط بين نوميديا بكيان سياسي محدد وشعب معين له خصائصه ونظمه المتميزة ويستند في ذلك ماجاء

1-**بحيرة تريتانوس**:من المرجح أن هذه البحيرة تشمل اليوم منخفض العرق الشرقي الكبير في الجنوب كل من تونس والجزائر ، لكنها جفت تدريجيا ولم يبقى منها سوى بعض الزواغر والشطوط كالجريد وملغيغ.انظر:البشير عطية كيحل ،"قرطاجة والممالك النوميدية دراسة في أصول التاريخية من (القرن 12ق.م- إلى146ق.م)"،مجلة الدراسات التاريخية،مج21،العدد2020،1 ،ص73.

2 -هيرودوت ،تاريخ هيرودوت ، تر حبيب بسترس ، الدار العالمية للكتب والنشر ، مصر ، 2015، ص335.

3-البشير عطية كيحل ، المرجع السابق ، ص54.

4 -سالوست ،**الحرب اليوغرطية** ،تر:محمد المبروك الدويب ،منشورات جامعة بنغازي،ليبيا ،2007،ص31،32.

5-**هيمبصال(Hiempsal)**: ملك مملكة نوميديا ومن المتفق عليه أن اسم هيمبصال اسم محلي ليبي،كان واسع الانتشار في الفترة القديمة لدى النوميديين لكونه في الأصل اسم احد الآلهة المحلية القديمة.انظر: عبد الحق مسعي،"الملك النوميدي هيمبصال **الثاني** (90-60ق.م)من خلال المصادر المادية والأدبية"،المجلة التاريخية الجزائرية،مج 6،العدد1، 2022،ص51.

به من الوثائق الإغريقية التي ظهر فيها اسم نوميديا بداية القرن 3ق.م إضافة إلى العثور على الفخاريات والأثاث الجنائزي في المقابر الليبية القديمة التي تعود إلى فترة فجر التاريخ والممتدة في المنطقة من الشرق نحو الغرب وهذا إن دل يدل حتما على ممارسة طقوس جنائزية واعتقادات دينية خاصة بسكان المنطقة ، وهو الأمر الذي لا يحدث إلا عند الاستقرار.

2.الإطار التاريخي:

تضاربت الآراء حول زمن قيام الممالك النوميدية ولا نعرف بالضبط الفترة التاريخية التي تعود إليها،حيث ورد ذكرها عند المؤرخين الإغريق والرومان وهم بصدد التأريخ لحروبهم وحديثهم عن تاريخ ليبيا، وذكرت المصادر بأنه ظهرت خلال الحرب البونية الثانية (218-201ق.م) ممالك وطنية نوميدية، ولكن لا نعرف قيامها بالضبط هل إذا كانت أقدم من التاريخ المذكور سابقا أم أنها حديثة النشأة والظهور[1]، وهذا ما يجعلنا نطرح التساؤل التالي ماهي جذور المملكة،وما علاقتها بأطراف الصراع؟

لنجيب أولا عن علاقة نوميديا بأطراف الصراع، حيث أوردت المصادر الدور الفعال والهام الذي لعبته هذه الممالك في التأثير على أطراف الصراع في الحرب البونية لكل من قرطاجة أو روما ويظهر جليا من خلال سياسة التحالفات التي انتهجتها روما في بادئ الأمر بسيفاكس[2] ثم ماسينيسا[3].حيث حاولت كسب ود ملوك نوميديا ملوك المحليين في المنطقة ما يفيدها ضد عدوتها قرطاجة حتى تضع قدمها في شمال إفريقيا ، أما قرطاجة فنجدها كذلك حاولت التحالف مع ملوك نوميديا لما رأته من قوة وبحكم الجوار حاولت كسب صداقة جيرانها وذلك لتأمين مصالحها .إضافة لذلك أن نقل الحرب إلى شمال إفريقيا خلال الحرب البونية الثانية هذا ما جعلها طرف صراع حيث كانت من بعيد وأصبحت من قريب مسرحا للصراع . (**انظر الملحق رقم 6ص153**).

1-البشير عطية كيحل ،المرجع السابق ،ص ص 55-57.

2-سيفاكس (Sifax):أقدم ملوك نوميديا الغربية المعروفين في المصادر القديمة توفي 203ق.م واشرف على مؤتمر سيغا الدولي 206ق.م.انظر: محمد البشير شنيتي،**أضواء على تاريخ الجزائر القديم** بحوث ودراسات،دار الحكمة،الجزائر،2003،ص31.

3-ماسينيسا(Massinissa) :هو الملك الشهير الذي حكم نوميديا 202ق.م إلى 148ق.م.انظر: محمد بولخلوخ ،**التنظيم العسكري لمملكة نوميديا من 202ق**.م،مذكرة ماجيستر،جامعة حمه لخضر،الجزائر،2021/2020،ص25.للمزيد انظر:فتيحةفرحاتي،**نوميديا** من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213-46ق.م،منشورات أبيك،الجزائر،2007،ص ص81-83.

يذكر محمد الهادي حارش بأن الممالك المحلية عاشت قبل فترة الحرب البونية ويستشهد برواية جوستنيان لأسطورة تأسيس قرطاجة أن الملك هيرباص[1] الذي طلب الزواج من أليسا فرفضت إخلاصا لزوجها الأول عاشرباص[2]، إضافة إلى ذلك أن قرطاجة ظلت تدفع ضريبة سنوية منذ تأسيسها حتى القرن 5ق.م، وهذا يدل على وجود كيان سياسي في المنطقة، كما يدل على قدم النظام السياسي في المغرب واستمراره وانه نظام محكم[3]. ويجمع محمد الصغير غانم مجموعة من الأدلة عن وجود كيان سياسي في المنطقة ويستهلها بما أورده ديودور الصقلي حول انضمام شخصية محلية تدعى ايلماص إلى الجيوش الإغريقية أثناء حملة أغاثوكليس[4] على بلاد المغرب القديم سنة 310ق.م ويضيف غانم نقلا عن ما أورده المؤرخ الفرنسي غابريال كامبس حول الموضوع ويذكر بان ايلماص كان أحد رؤساء قبائل الماسيل وهو من أجداد ماسينيسا[5].

ومما يدل على الجذور القديمة للملكة المحلية وجود ضريح المدغاسن الذي يعود إلى القرن 4ق.م ويعتبر شاهدا ماديا على ذلك،وهو ما أشار إليه محمد الصغير غانم :وعندما توفرت لها الشروط الملائمة لتكوين دولة انتقلت إلى كيرتا "Cirta" [6] خلال القرن 3ق.م ويلخص إلى أن تأسيس هذه المملكة يعود إلى الأسرة الماسيلية التي ينحدر منها أسلاف الملك ماسينيسا[7]، وتنقسم إلى مملكتين:نوميديا الشرقية ونوميديا الغربية.(**انظر الملحق رقم 4ص151**).

1-هيرباص(Hirpas): من أقدم ملوك نوميديا الذين ذكروا في المصادر الإغريقية،كان قد طلب الزواج من أليسا القرطاجية وهددها بالحرب في حالة رفض.انظر: تواتي بن التومي وصبيحة أوكيل،"ماسينيسا وسياسة التحالفات خلال الحرب البونية 2(218ق.م -201ق.م)"،مجلة دراسات تاريخية،مج 10،العدد 1، 2022،ص15.

2-محمد الهادي حارش،**مملكة نوميديا** دراسة حضارية منذ أواخر القرن 9ق.م إلى منتصف القرن 1ق.م،دار هومه،الجزائر،2013،ص13.

3-محمد الهادي حارش،(التاريخ المغاربي القديم)،المرجع السابق،ص97،98.

4- **اغاثوكليس(Agathoklis)**:ولد سنة 360ق.م بمدينة ثرماي" Thermai"بالمقاطعة البونية،وكان أبوه خزافا بمدينة رهجيون" Rhégion" ، قاد حملة على شمال إفريقيا خلال القرن 3ق.م..انظر:أصطيفان أكصيل،**تاريخ شمال إفريقيا القديم**،تر:محمد التازي سعود ،ج3 ،مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية،المغرب ،2007، ،ص23.

5-محمد الصغير غانم،**مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم**،ج1،دار الهدى،الجزائر،2005،ص37.

6-**سيرتا (Cirta)**:يعتقد أن الاسم سامي الأصل وانه تحريف للاسم الحقيقي "كرتن" ومعناه المدينة أو القلعة،تمتاز بموقع استراتيجي هام إذ تحيط بها منحدرات وعرة.انظر:البشير عطية كيحل ،المرجع السابق،ص76.

7-محمد الصغير غانم ،(المملكة النوميدية والحضارة البونية) ،المرجع السابق،ص52.

3.نوميديا الشرقية "ماسيليا":"Massyles "

نسبة إلى قبائل الماسيل الذين كانوا يتوزعون في الشرق الجزائري،فقد كانت تمتد مابين النهر الكبير غربا وأملاك دولة قرطاجة شرقا.ولم تكن حدودها ثابتة بل كانت تتسع وتضيق أحيانا أخرى[1] اعتبر بعض المؤرخين المعاصرين الملك ايلماص أقدم ملوك الماسيل ينسب إلى هاته القبائل قبر المدغاسن على اعتبار أن الأسرة التي ينتمي إليها غايا[2]وابنه ماسينيسا كانت في السلطة منذ أواخر القرن 4ق.م وأوائل القرن 3ق.م غطت المملكة الشرق الجزائري وغرب تونس،لكن حدودها كانت بين مد وجزر، مرتبطة بالوضع السياسي والعسكري،وعلى العموم فإنها كانت محصورة بين الأراضي القرطاجية في الشرق ومملكة المازيسيل في الغرب[3]، اشتهرت بتربية الماشية والأغنام وتضم مرتفعات أراضيها سهلا صالحا لزراعة الحبوب،حيث تحتل الزراعة مساحات شاسعة في السهول الداخلية العليا،وأيضا في أودية المرتفعات الجنوبية[4]، وكانت عاصمتها"هيبيو ريجيوس"العاصمة الأولى للملكة ثم أصبحت زاما،ثم اتخذ ماسينيسا"سيرتا"عاصمة له وبقيت لأبنائه مدة 157سنة (203ق.م-46ق.م) إضافة إلى "سيرتا" نجد المدن الأخرى أوردتها مصادر تاريخية" ك"دوقة" (Dougga)،"تيديس" (Tiddis) وتبسة[5]،وورد عند فتيحة فرحاتي بأن مملكة الماسيل قد تكونت في المنطقة التي عرفت في العهد الروماني باسم نوميديا،وتقع فيما يعرف حاليا بالشرق الجزائري وفي جزء من غرب تونس ويحدها من الشرق (وهذا في عهد غايا وحتى توحيد نوميديا على يد ماسينيسا) قرطاجة[6]، ويبدوا أنها لعبت دورا هاما وحاسما على المسرح السياسي عشية وغداة إقصاء قرطاجة.

4.نوميديا الغربية:"Massessyle"

1-محمد الصغير غانم، (مقالات وأراء في تاريخ الجزائر)، المرجع السابق،ص40.

2-**غايا (Gaya)**:ثاني ملوك النوميديين الماسيليين اعتلى كرسي العرش بعد زلاسن توفي حوالي 206ق.م وهو والد الملك ماسينيسا .انظر :محمد الصغير غانم ، **سيرتا النوميدية النشأة والتطور** ،دار الهدى ،الجزائر ، 2008،ص 62.

3-محمد الهادي حارش،(مملكة نوميديا)،المرجع السابق،ص18.

4-فتيحة فرحاتي،المرجع السابق،ص54.

5-البشير عطية كيحل،**الحضور الديني البوني في نوميديا (814-74ق.م)**،مذكرة ماجيستر،جامعة الجزائر-بوزريعة،الجزائر، 2010/ 2011،ص22.

6-فتيحة فرحاتي،المرجع السابق،ص47.

حسب رأي بعض المؤرخين فان هذه المملكة كانت تمتد من نهر الملوية غربا حتى النهر الكبير شرقا عاصمتها سيغا[1]الواقعة على نهر التافنة،يذكر غانم نقلا عن بوليب بأن القرطاجيين كانت تربطهم صداقة متينة مع الملك سفاكس قبل هذه الفترة، وان المازيسيليين كانوا يكونون جزءا كبيرا من القرطاجيين في اسبانيا[2]،تنسب هذه المملكة لقبائل المازيسيل وتؤكد فرحاتي ذلك وتدرج أن أصل الكلمة ينسب لقبيلة ليبية استوطنت شمال إفريقيا منذ أقدم العصور،ولفظ "ماسيل" يتطابق مع الأسماء الليبية القديمة يكون الشكل الليبي لتسمية في المفرد مازيسول أو "ماسيل" يتطابق مع الأسماء الليبية القديمة يكون الشكل الليبي لتسمية في المفرد مازيسول أو مازاسيل، وهذا بناء على نقش عثر عليه بموريتانيا يرجع إلى اسم شخص (Masasilen) .

ورد لأول مرة لفظ المازيسيل حوالي عام 220ق.م وورد ذكرهم عند فرحاتي نقلا عن بوليب يقول:"**انه وجد ضمن جيش حنبعل فرسان من المازاسيل**"،[3] ووصفها سترابون قائلا:"**البعض منهم أي المازاسيليون يقطنون أراضي تغل مرتين في العام في الصيف والربيع، وان طول ساق نبات القمح يصل إلى مترين و20سنتيمترا .وسمكه كان يبلغ نحو سمك الإصبع الصغير ،وإنتاج الحبة كان يصل إلى مائتين و40للحبة الواحدة .لا يبذرون في الربيع .....محصول كامل الصيف**"[4] أما حدودها فقد نقلت لنا فرحاتي عن سترابون من أكثر النصوص دقة في وصف حدود المملكة قائلا: " **تبدأ حدود بلاد المازاسيل من نهر الملوية إلى رأس تريتوس**"[5]، ومن أقدم ملوكها سيفاكس، وكانت له شخصية لامعة وتكرر اسمه كثيرا أثناء الحرب البونية الثانية عند المؤرخين القدماء لكن دون أن يقدموا تفاصيل عنه باستثناء ما ذكر عند بوليب بان تزوج بفتاة قرطاجية من عائلة ارستقراطية وهي ابنة القائد القرطاجي اصدر وبعل،وهناك نصوص قديمة أشارت إلى توسعات سيفاكس

1-**سيغا(Siga)**: عاصمة مملكة المازيسيليين،تقع على بعد 4كلم من البحر وبمحاذاة وادي تافنة تقع هذه المدينة في الغرب الجزائري أشار اليها منذ القرن 4ق.م كانت عبارة عن ميناء بوني قبل أن تصبح عاصمة العاهل سيفاكس ولعبت دور هام في الاقتصاد النوميدي كما كانت عاصمة سياسية احتضنت لقاء بين سكبيو الإفريقي وقائد صدربعل بن جيسكون تحت رعاية سيفاكس في 206ق.مبغية وضع حد لنزاع بين قرطاجو وروما للفوز بالسيادة على البحر الأبيض المتوسط .انظر :محمد الصغير غانم ، (سيرتا النوميدية)،المرجع السابق،ص76.

2-محمد الصغير غانم،(مقالات وأراء في تاريخ الجزائر)،المرجع السابق، ص39.

3-فتيحة فرحاتي ،المرجع السابق،ص111.

4 -سترابون ،المرجع السابق،ص104.

5- فتيحة فرحاتي،المرجع السابق ،ص 113

205ق.م،قادته أن يبسط نفوذه على عاصمتين هما "سيرتا" شرقا و"سيغا" غربا وانه يتنقل من واحدة إلى الأخرى،وما يؤكد لنا بذلك انه أقوى ملك وجد ببلاد المغرب القديم قبل أحداث سيرتا 203ق.م، ومن نتائج هذا التوسع جعل الجارتين تصطدم في العديد من الحروب غذتها قرطاجة وروما خدمة لمصالحهما في المنطقة لتنقلب كفة الميزان لصالح ماسينيسا الذي ضم مملكة نوميديا الغربية بعد استرجاع أراضيه خلال عامي(203-202ق.م)،ليوحد ماسينيسا نوميديا[1]وبعد الحرب البونية الثانية تمكن ماسينيسا الذي حمل شعار إفريقيا للأفارقة أن يعيد الوحدة السياسية لنوميديا وأصبحت مملكة نوميديا تمتد من وادي الملوية غربا إلى السرت الكبير شرقا وحكم خلفاؤه مايقارب القرن ونصف من الزمن[2]، وما مكنه من ذلك مساعدة حلفائه الرومان،وفي سنة 203ق.م حصوله على صولجان الملك إلى عام 148ق.م حيث فارق الحياة عن عمر يناهز80سنة[3].(**انظر الملحق رقم 5ص152**).

في الأخير يمكن القول أن قرطاجة تميزت بموقع استراتيجي هام،ولعبت دورا مهما في تجارة البحر المتوسط، الأمر الذي أعطاها السيطرة على غرب المتوسط ومنه استحقت لقب ملكة البحر أوسيدة البحر، وامتد نفوذها وانتشرت مستعمراتها في البحر، ومن اجل حماية مستعمراتها والدفاع عنها اصطدمت بقوى العالم القديم وخاضت عدة معارك مع اليونان وبعدهم الرومان ودامت حربهم قرابة القرن وثمانية عشر من الزمن وانتهت بزوال قرطاجة، وبالمقابل تمتعت روما بمميزات جغرافية ممتازة الأمر الذي انعكس على سياستها ونظامها،بدءاً بسيطرة القبيلة ثم النظام الملكي وصولاً للنظام الجمهوري،الذي انتهجت فيه روما سياسة التوسعات وبسط سيطرتها على المدن الإيطالية وتوحيدها تحت اسم الدولة الرومانية ومن ثم طمعها في البحر الأبيض المتوسط ما أدخلها في حرب ضارية ضد منافستها قرطاجة، دون أن ننسى مكانة نوميديا التي كانت تعتبر من أبرز الكيانات السياسية بالمغرب القديم،بفضل مميزاتها ونظرا للدور الفعال الذي لعبته في ترجيح كفة موازين القوى خلال الحرب البونية بصفة خاصة،والأحداث التي عرفها البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة.

1- البشير عطية كيحل ، (الحضور الديني) ،المرجع السابق، ص24.

2-محمد الهادي حارش، (مملكة نوميديا)، المرجع السابق، ص19.

3-محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص39.

الفصل الأول: الجوسسة خلال الحرب البونية الأولى (264–241 ق.م)

IV- الجوسسة الرومانية

V- الجوسسةالقرطاجية

VI- الجوسسة لصالح السكان المحليين

بدأت تطلعات روما تتجه بالشؤون الايطالية عقب الحروب السمنتية[1]، حيث بعد أن أصبحت قوة عظمى بعد توحيدها إيطاليا تطلعت أنظارها واهتمت بالأحداث الدولية، وكان في تونس الحالية دولة قرطاجة القوية،وفرضت سيطرتها على الكثير من أجزاء الشمال الإفريقي والساحل الشرقي والجنوبي لإسبانيا وسردينيا كونها تمتلك أسطولا قويا وتحكمها حكومة قرطاجية.

اقترنت روما مع قرطاجة بمعاهدات عدة تنازلت فيها عن حقوقها البحرية بالبحر التيراني وغرب المتوسط، وعند احتلال روما لمدينة تارينتوم وعلى الموانئ اليونانية في جنوب إيطاليا وبسيطرتها على هذه المواقع دق نقوس الخطر وصارت قرطاجة تنظر لروما على أنها قوة جديدة تهدد مصالحها في صقلية والبحر، ولم يكن لروما خبرة بحرية أو أسطول وإنما كان لها جيش بري تعتمد عليه عند اللزوم،في حين كان لقرطاجة أسطول قوي تحت قيادة بحارة مدربون وسلاح وقوات مزودة بالفيلة مع قادة مهرة[2]، وأشار المؤرخ تيت ليف إلى تسلسل الأحداث بقوله:«بعد محاربة السمنتين دون نتيجة حاسمة أصبح العدو بيروس(Pyrrhus)،وبعد بيروس يأتي القرطاجيين.»[3] وحدث ما قاله بالضبط فاصطدمت القوتين واتجهت أنظار كلتا الدولتين إلى صقلية روما بهدف التوسع وقرطاجة للدفاع عن ممتلكاتها.

I -الجوسسة الرومانية:

أخذت المخاوف مأخذها من الرومان إذا ماسيطرت قرطاجة على مسينا وبالتالي يمكنها أن تسيطر على إيطاليا،وفي نفس الوقت صممت قرطاج على مقاومة التدخل الروماني[4]. مما أدى في النهاية إلى قيام حرب طويلة كان لابد منها وأن ينتصر أحدهما ويزيل الأخر كليا من الوجود،حيث دامت قرابة القرن وثمانية عشر سنة بدايتها بصقلية 264ق.م وانتهت بتدمير قرطاجة146ق.م، فكانت بين نصر

1-فرانسوا دوكريه، المرجع السابق،ص131.

2-سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق،ص61.

3-Tite -Live-(VII.29).

4-سعاد نعيمي ووفاء عواد،المرجع السابق،ص21.

وهزيمة لكلا الطرفين، وكان للجوسسة دور هام في تغيير موازين القوى بين الطرفين وعامل مهم في حسم الحرب ومن أسباب نشوب الحرب الأولى منها ما هو مباشر ومنها ما هو غير مباشر فهذه الأخيرة تتمثل في تنافس القوتين على السيطرة على صقلية وسردينيا وكورسيكا، بالإضافة إلى قضية مسينا أو السيطرة على المضيق البحري الذي يفصل صقلية عن طريق البر الإيطالي ...والذي دفع روما إلى السيطرة على مدينة ريجيون في جزيرة البوي والى احتلال قرطاجة لمدينة مسينا التي كان يتنافس عليها الرومان ومدينة سراقوسة[1]و القرطاجيين، كما أن استنجاد المامرتيين سكان مدينة مسينا بروما لتخلصهم من سيطرة القرطاجيين على مدينتهم وضغط الطبقات الشعبية الرومانية على مجلس الشيوخ الروماني و دفعه لتدخل في صقلية طمعا في المغانم الكثيرة التي كانت قرطاجة تحرمهم منها[2].

ومن الأسباب المباشرة للصراع أن صقلية كانت جزيرة تمثل امتداد طبيعي لشبه جزيرة إيطاليا، حيث قامت روما بفرض سيطرتها على مدن جنوب إيطاليا وبهذا أصبحت تربطها علاقة مع صقلية[3].

فدقت طبول الحرب بسبب حادث مسينا في شمال جزيرة صقلية وذلك حين قامت جماعة من الجنود المرتزقة الايطاليين من إقليم كمبانيا في جنوب إيطاليا،حيث كانوا يعملون في خدمة الملك هيرو حاكم مدينة سراقوسة، وبعد الانتهاء من خدمتهم وفي طريق عودتهم لكمبانيا مروا بمسينا التي كانت تابعة لسراقوسة وحاولوا الاستيلاء عليها، فطلب منهم مغادرة المدينة فرفضوا وقاموا بطلب المساعدة من روما وقرطاج في آن واحد[4]،فتدخلت قرطاجة لصالح ملك سراقوسة، ما اعتبر لدى الرومان أن قرطاجة قامت بعمل عدائي ضد المصالح الرومانية في الجنوب الإيطالي،فأمر مجلس الشيوخ بإصدار أمرلقوات روما بالتوجه لمسينا[5]، فكان الاحتكاك الأول والمباشر مع قرطاجة في عهد القنصل الروماني العسكري

1-**سراقوسة(Seracusa)**: مدينة أسسها المهاجرون الإغريق (كورنتوس) على الجانب الشرقي من صقلية سنة 727ق.م.انظر: ليث خليل خلف السلماني،المرجع السابق،،ص469.

2-نفسه ، ص449.

3-نفسه ،ص 453.

4-محمد بيومي مهران، المرجع السابق،ص257، 258.

5-عبد المجيد صالح المغربي،«انحسار نفوذ القرطاجيين في غرب البحر الأبيض المتوسط منذ أواخر القرن 6ق.م»،الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية،العدد6،جويلية 2014،ص170.

أبيوس كلوريون[1]، ومر الصراع القرطاجي- الروماني بعدة مراحل وكان للجوسسة دور هام خلال كل مرحلة من مراحله.

1-حصار مسينا 263ق.م:

قام القائدان الحليفان حنون[2] وهيرون بحملة داهمت مسينا ماتسبب في استنجاد أهلها بروما فأرسلت جيشا بقيادة القنصل كوديكس كلوديوس[3]أنقذ هذا الخير فريق استطلاع من جيشه المعسكر في ريجيون واستعجل الذهاب لإقامة رأس الجسر على الضفة الأخرى من المضيق[4]، أكيد أن مهمة فريق الاستطلاع هي مراقبة تحركات العدو وجمع معلومات حوله قبل خوض المعركة، وربما يقصد برأس الجسر تحصين المدينة من العدو وحمايتها، أما حنون قائد حامية[5]مسينا فكان قد أخلى القلعة على جناح السرعة تحت ضغط الممرتيين[6] اثبت انه ينقصه العزم والحكمة [7].

نستنتج أن تخلي قائد على حامية يكون لصالح روما وربما هو سبب في انتصارها على قرطاجة وتكون نقطة قوة لصالحها.

انتصر كلوديوس على القرطاجيين وسرعان ما لاذوا بالفرار وهزم هيرون وتفاوض القنصل مع هيرون بالتخلي على القرطاجيين ولم يجد هيرون ماذا يفعل إلا أن قبل ذلك خوفا من قوة روما وأخلص

1-ليث خليل خلف السلماني،المرجع السابق،ص454.

2-**حنون (Hannon)**:قائد وأمير بحر قرطاجي (القرن 3ق.م) اشترك في الحرب البونية الأولى،حقق بعض الانتصارات،ثم انكسر في معركة برية عام 262ق.م ومن ثم في معركة بحرية عام 256ق.م في اكنوموس على يد ريغولوس ومانيلوس فولسو ....انظر:هنري .س عبودي، المرجع السابق،ص373.

3-احمد صفر،**مدنية المغرب العربي في التاريخ** 20قرنا من تاريخ افريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى أخر عهد البيزنطي،ج1،دار بوسلامة،تونس،(د.ت)،ص 197.

4-فرانسوا دوكريه،المرجع السابق ،ص132.

5-عادة ما تتكون الحامية العسكرية من قوات لحماية مدينة أو قلعة أو حصن أو ما شابه ذلك.

6-فرانسوا دوكريه ، المرجع السابق،ص 132.

7- توفيق الطويل، **قصة الكفاح بين روما وقرطاجة**، دار النشر الحديث، القاهرة، (د.ت)، ص60.

الولاء لها[1]،عرفت روما خلال الحروب البونية بأنها انتهجت سياسة التحالفات حيث كانت تتخذ صديقا حالما تجد مصلحتها وهذا من الإستراتيجيات في الحروب.

أ- **تحالف روما مع هيرون:**

قبل نشوب الحرب البونية الأولى كان هيرون حليفا لقرطاجة ويستعين بها كل ماكان بحاجتهاوأدرى بأوضاعها، ويعلم نقاط قوتها وضعفها، لذلك فإن تحالفه مع روما سيكون نقطة رابحة لها ويصب في مصلحتها، حيث يمدها بمعلومات حول عدوهالكونهخاض عدة حروب مع قرطاجةفهو أدرى باستراتيجياتها وتكتيكاتها الحربية.

وقد اشتد أزر روماجراء تحالفها مع هيرون الحليف القوي الذي ساهم في تزويدها بـ40الف رجل أرسلهم مجلس الشيوخ إلى صقلية بالطعام، هذا ما جعل روما تشعر بأن هذا المشروع كان مليئا بالوعود[2]، أي انه بالإضافة إلى المساعدات المادية التي قدمها لروما استطاع مساعدتها بالمعلومات التي أمدها بها فاستفاد الجهاز الجوسسي لروما من المعلومات التي استقتها من هيرون حول إستراتيجية قرطاجة وتكتيكاتها الحربية وبذلك غير هذا التحالف ورجح كفة موازين القوى لصالح روما، كما كان للجوسسة دور في حصار روما لمدينة اجريجنتوم[3] 262ق.م كما سيأتي.

2-حصار اجريجنتوم262ق.م:

مضى الرومان إلى اجريجنتوم التي كانت قرطاجة قد ركزت جيوشها بها وكانت مؤلفة من مرتزقة ليغوريين وغاليين وبخاصة من الايبيريين في262ق.م[4]، وجعلوا من اجريجنتوم قاعدة أعمالهم الحربية ومستقر ذخائرهم ومكان نزول لهم[5]، وهنا يجدر بنا طرح التساؤل التالي: ما الذي جعل روما تنزل بأجريجنتوم؟ وكيف أدرك الرومان مكان ووقت نزول القرطاجيين حتى قاموا بفرض حصار تسبب في جوع أهلها؟،

1-احمد صفر،المرجع السابق،ص197.

2-فرانسوا دوكريه،المرجع السابق،ص132

3- **اجريجنتوم Agreigentum**) :مدينة إيطالية تقع على الساحل الجنوبي لصقلية،عاصمة مقاطعة اجريجنتوم،تعرف كموقع لمدينة اكراغاس القديمة.انظر :https://www.marefa.org/. (2024/05/6 على الساعة 15:10).

4-فرانسوا دوكريه،المرجع السابق،ص132.

5-احمد صفر،المرجع السابق،ص197.

والإجابة على هذا السؤال تجرنا الى تخمينات حول تلقي روما مجموعة من المعلومات عن العدو، وهذه المعلومات وغيرها حول العدو لها أهمية بالغة في الحرب واحتلت مكان الصدارة في أوامر العمليات الحربية فأصبحت المعلومات عن العدو هي أولى فقراته،فما هي هاته المعلومات وكيف يتمكن القائد من جمعها؟ من المعلوم أن رئاسة هيئة الأركان كانت تقوم في زمن السلم بإعداد العدة لما ينتظر من حروب مقبلة ويعتبر جمع المعلومات عن الأعداء جزءا رئيسيا من هذا الإعداد يطلق عليه "مصطلح المخابرات"[1]، وربما هذا الذي قامت به روما وما ساعدها في الحصار.

وفي ربيع 262ق.م كل هاته الاستعدادات التي جرت حوصرت المدينة الإغريقية حليفة قرطاج على يد فيالق القنصل الروماني ورغم مقوماتها ودام التفاوض لمدة 6اشهر وقامت عدة محاولات من طرف الجيش البوني لفك الحصار من الخارج.إلا أن اجريجنتوم استسلمت بعد أن أصبحت المجاعة فيها لا تطاق[2].

إن طول مدة الحصار لـ6اشهر كان هدفه استسلام مدينة اجريجنتوم وربما يعد الحصار أسلوب من أساليب روما الحربية حيث قطعت إمدادات عليها وهذا ما جعلها تستسلم وترضخ لحكم روما.

3-معركة ميليس البحرية 261ق.م:

لعبت الجوسسة دور كبير خلال معركة ميليس البحرية وحسمت المعركة بين طرفي الصراع،وهي المعركة التي انهزم فيها الجيش القرطاجي في ميناء ميليس القديم[3]دارت بين روما وقرطاجة روما بقيادة جايوس دويليوس و قرطاجة بقيادة حنبعل[4]وانتهت بتحطيم القوة القرطاجية،وحسب رواية ذكرها

1-علي فهمي عبد الستار،**تبسيط الإستراتيجية**،دار الفكر العربي،مصر،1959،ص92،93.

2-فرانسوا دوكريه،المرجع السابق،ص132،133.

3-محمد العربي عقون،«فصول من الحرب البونية 1(264-241ق.م)معركة ميليس البحرية (261ق.م)،وحملة ريغولوس على قرطاج (256ق.م)»،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،العدد3،ديسمبر2009 ،الجزائر ،ص106.

4-محمد السيد محمد عبد الغني،المرجع السابق،ص327.

الكاتب عقون نقلا عن بوليب أن الرومان استولوا على سفينة خماسية قرطاجية واتخذوا منها نموذجا للسفن التي صنعوا منها قطع أسطولهم الذي انتصروا به في هذه المعركة[1].

ويذكر إبراهيم نصحي انه من سخرية القدر أن الرومان اتخذوا من سفينة حربية قرطاجية قديمة هجرها أربابها نموذجا لبناء سفن أسطولهم، ويرجح أن يكون قد ساعدهم على بناء هذا الأسطول حلفاؤهم من سراقوسة،وكانوا يتمتعون بمهارة فائقة في بناء السفن[2]،وهنا تظهر نتائج تحالف روما مع هيرون ومدى استفادة الرومان من هذا التحالف،و لم يكتف الرومان بنموذج قرطاجة فحسب بل أنهم ابتكروا وأضافوا ميزة تمكنه من تعطيل السفن المعادية[3]، واستخدموا وسيلة كانت شائعة في وقت الإغريق وهي تحويل المعارك البحرية إلى اشتباكات على ظهر السفن تماثل الاشتباكات البرية لأنهم كانوا متفوقين في القتال البري[4]، وحولوا المعركة لقتال بري بارعين فيه على مدى قرون وفق تقنية متقنة سميت بـ"الغراب"[5].

(corbeau)[6] كان من شأنها قلب طرائق الحرب البحرية رأسا على عقب[7].نستنتج مما سبق أن الرومان كانوا على دراية بالقرطاجيين وأنهم بحارة بامتياز فحاولوا نقل الحرب من البحر إلى البر في (عرض البحر)، وتعتبر هذه خدعة حربية لجأت إليها روما من اجل الإيقاع بقرطاجة وبالفعل حدث ما خططت له روما، ووفقا لما حدث في مسينا حسب محمد العربي عقون يمكن تسميته بلغة العصر "جوسسة صناعية" وان القرطاجيين ذهبوا ضحية تلك الجوسسة، وأصبحت السفن الرومانية تضاهي السفن القرطاجية ونجحت روما في تقليد الصناعة البونية ثم تفوقت في بضع سنوات في المجال الصناعي الذي تميز به القرطاجيين ،وأضافوا تقنية وهي الأداة التي سمحت للقنصل "دويليوس" (Duiluis)" بتحقيق

1-محمد العربي عقون،المرجع السابق،ص106،107.

1-إبراهيم نصحي،المرجع السابق،ص256،257.

3-توفيق الطويل،المرجع السابق،ص62.

4-إبراهيم نصحي،المرجع السابق،ص257.

[5] - ميزة جديدة ابتكرها الرومان تعمل على تحويل المعارك من البحرية إلى برية على ظهر السفن وكأنها معركة برية لكنها فوق الماء.

6-محمد العربي عقون،المرجع السابق،ص107.

7-فرانسوا دوكريه،المرجع السابق،ص133.

النصر في معركة ميليس[1]، وبذلك يمكن القول أن تحقيق روما لأول فوز بحري في تاريخها العسكري راجع لبناء سفينة ذات تقنية بارعة ووفقا لنموذج قرطاجي .

واحتفل جايوس اثر عودته إلى إيطاليا 259ق.م بأول انتصار بحري تحرزه روما،وخلّدوا انتصاره بإقامة نصب تذكاري كان على شكل عمود تزينه مقدمات "مناقير"السفن القرطاجية التي استولى عليها الرومان (Rostrata Columna) وأقيم في سوق العامة وكتب عليه نقش بالمناسبة[2]، وعاد حنبعل منهزما وخائبا إلى وطنه واستقبل استقبال لا يليق به اثر هزيمته[3]،كان لانتصار روما في ميليس البحرية تأثير معنوي كبير ما شجع الأسطول الروماني على المحاصرة[4]والاستيلاء على"ألاريا"(Aléria)بجزيرة كورسيكا تحت قيادة لوكيوس كورنيليوس سكيبيو[5].

وألبيا وسردينيا ونهب جزر ليباري وربما سواحل مالطا[6](258-259ق.م)[7]. يمكن الاستنتاج مما سبق أن استيلاء روما على هاته المدن والجزر كان له دور في الانتصارات القادمة،لأن روما ستستفيد من هاته المدن والجزر سواء من ناحية المعلومات ضد العدو سبق وأنها كانت خاضعة لقرطاجة،وربما ستجعلها حاميات من اجل مراقبة قرطاجة.

1-محمد العربي عقون،المرجع السابق،ص108.

2-محمد السيد محمد عبد الغني،المرجع السابق،ص327.

3-احمد صفر،المرجع السابق،ص197.

4-محمد الهادي حارش، (التاريخ المغاربي القديم)، المرجع السابق،ص58.

5-**كورنيليوس سكيبيو أو سكيبيو الإفريقي(Scipion african)**:قائد روماني عين عام 111ق.م نائب قنصل على اسبانيا فاحتل قرطاجة وفتح اسبانيا الجنوبية وجمد القرطاجيين في قادس ثم استولى على المدينة .وأحرز نصرا في معركة زاما.انظر :هنري س.عبود ،المرجع السابق ، ص477.

6-**مالطا(Malta)**: جزيرة في البحر الأبيض المتوسط بين صقلية وليبيا استعمرها الفينيقيون نهاية القرن 9ومطلع القرن 8ق.م ومن بعدهم القرطاجيون مدة ، ويبدوا أن اسم مالطا مشتق من جذر فينيقي هو ملط بمعنى هرب ....انظر:هنري س.عبودي،المرجع السابق،ص768.

7-محمد الهادي حارش،(التاريخ المغاربي القديم)،المرجع السابق،ص58.

4-معركة اكنوموس:

انتصرت روما مع مطلع صيف 256ق.م في أكنوموس[1] وقامت بإعداد أسطول قوي مهيأ من330سفينة وحوالي 40الف مقاتل بقصد إرسالهم لقرطاجة[2]، وحسب فرانسوا دوكريه أن الأرقام التي أعطاها بوليب مبالغ فيها عن عدد المقاتلين[3]، بقيادة القنصلين التي أسندت لهما المهمة وهم "لوكيوس منليوس فولسو" و"ماركوس اتيليوس ريغولوس"[4] يقودان أسطولا وحاولت قرطاجة التصدي لهذه الحملة وأرسلت الأسطول إلى ساحل صقلية الجنوبي وجرت المعركة وانتهت بانتصار روما[5]، بعد أن قام ريغولوس بإصلاح سفنه المعطوبة أبحررفقة رجاله نحو إفريقيا، ربما يتساءل البعض كيف استطاع ريغولوس النزول لشمال إفريقيا ؟وكيف تمت عملية الإنزال؟

نزل الرومان بمدينة اسبيس (قليبية)[6] الشاطئ الشمالي الشرقي لقرطاجة (Clupea)[7]التي استقر فيها أغاثوكليس فيما مضى واتخذ منها مكانا لسلاحهما بغية مراقبة المنطقة[8]، ويذكر احمد صفر أنهم تركوا فيها حامية عسكرية[9] بمثابة قلعة عسكرية تحميهم وترقب أخبار المنطقة، ويندرج هذا العمل ضمن الفكر الجوسسي لصالح روما، وكيف أنها تحاول ترقب تحركات العدو كي تتخذ الحيطة والحذر منه.

أدرك الرومان ضرورة القضاء على قرطاجة لأنها حائلا أمام نشاطاتهم العسكرية في حوض البحر الأبيض المتوسط ومن اجل تحقيق ذلك رأوا ضرورة نقل الحرب إلى شمال إفريقيا وبذلك ضرب قرطاجة

1-**اكنوموس** أو **رأس أقنومة**:(**Cap Ecnome**)هو رأس بالساحل الجنوبي من جزيرة صقلية شرقي مدينة اجريجنتوم ويسمى الآن "Monte Serrato".انظر: احمد صفر،المرجع السابق،ص198.

2-نفسه،ص198.

3-فرانسوا دوكريه،المرجع السابق،ص135.

4-**ماركوس اتيليوس ريغولوس** (**Regulus**:) من عائلة كمبانية ،شغل منصب قنصل عام 267ق.م وشارك في الحرب البونية الأولى وأحرز الكثير من الانتصارات ، وقع في الاسر عام 255ق.م، وتم تعذيبه من طرف القرطاجيين إلى الموت .انظر: ماركوس توليوس شيشرون،"كاتو الأكبر عن الشيخوخة"،تر:علي عبد التواب علي وآخرون،أوراق كلاسيكية،العدد19، 2022، ص496.

5-اصطيفان اكصيل،المرجع السابق،ص75.

6-احمد صفر،المرجع السابق،ص198.

7-محمد السيد محمد عبد الغني،المرجع السابق،ص328.

8-فرانسوا دوكريه،المرجع السابق،ص135،136.

9-احمد صفر،المرجع السابق،ص198.

في عقر دارها (بعد ماكان الصراع في ميدان صقلية) ستصبح قرطاجة مسرحا للأحداث[1]، وأستطيع الإجابة على الأسئلة المطروحة من خلال دراستي للأحداث السابقة وحملة ريغولوس على شمال إفريقيا بأنه تمت حملة ريغولوس وفق إستراتيجية أغاثوكليس بنقل الحرب إلى شمال إفريقيا، حيث حاولت روما إحياء محاولة أغاثوكليس بنقل الحرب لشمال إفريقيا وأنجزت من اجل ذلك برنامج واسع في الإنشاءات البحرية، وأستطيع الاستشهاد بالمقولة الشائعة "كل ما هو روماني إغريقي" وتنطبق هاته المقولة في نهج روما العسكري حيث انتهجت سبل أغاثوكليس واقتدت به،وربما ما ساعدهم على النجاح أنهم درسوا إستراتيجية هذا الأخير ونقاط القوة والضعف في حملته واستفادوا من الأخطاء وحولوها إلى قوة حتى تمكنوا من النصر وانفتح أمامهم البحر حتى نزولهم في قليبية اقتدوا بأغاثوكليس التي استقر فيها فيما مضى، مع مجيء فصل الشتاء كان لزاما على قنصل مانيلوس أن يعود إلى إيطاليا ليأتي منها بأكبر قسم من الأسطول في حين ترك زميله في إفريقيا رفقة أربعون مركب وخمسة ألاف من المشاة و500من الفرسان[2]، وهنا أتساءل لماذا ترك القنصل صديقه بإفريقيا؟يمكن الاستنتاج من ترك القنصل صديقه بإفريقيا دلالة على استمرارية ومواصلة الحرب وان روما لم تستسلم بعد بل أنها تستعد لمواجهة حرب بإفريقيا،كما أن بقاء القنصل بإفريقيا سيفيد روما في نقل أخبار المنطقة وقرطاجة كي تستعد روما وتحضر لمواجهة أكبر مما سبق، ضف إلى ذلك أن نجاح ريغولوس في حملته على إفريقيا رغم جهله بالمنطقة يعود إلى الليبيين (النوميديين) حيث يسرد اصطيفان اكصيل: "...بعد نزول ريغولوس بشمال إفريقيا مكثوا فيها بقوات غير كافية وبخيالة مزرية وكانوا على ما يحتمل قد طلب المساعدة من النوميديين الذين كانوا مثلهم أعداء لقرطاجة..."[3].

وبذلك يمكن القول أن ريغولوس استغل تذمر النوميديين من قرطاجة وطلب المساعدة منهم وربما أنه حثهم بأنه سيقضي على قرطاجة فقدموا له المساعدة سواء من الناحية الجغرافية أو حتى العدة

1-عبد المجيد صالح المغربي،المرجع السابق،ص172.

2-فرانسوا دوكريه، المرجع السابق،ص 135،136.

3-اصطيفان اكصيل،المرجع السابق،ص81.

كون أن لهم عدو مشترك، واستمر ريغولوس في أعماله المتمثلة بالسرقة والنهب والهدم إلى أن وصل أمام مدينة وذنة[1].

5-معركة وذنة:

ومع مطلع 255ق.م قام القرطاجيون بتأليف جيش تحت قيادة حنون وبوستار و هاميلكار كان متواجد بصقلية وقدم لقرطاجة بدعوة من حكومتها،وعسكر فوق تل يشرف على جيش عدوهم وارتكبوا خطأ كبير بذلك كانت الفيلة القرطاجية بلا فائدة بسبب التضاريس الأرضية ونتج عن ذلك انهزام القرطاجيين وولوا الأدبار نحو قرطاجة[2]، ويعود ذلك إلى طبيعة الأرض غير مستوية مما أرهق وأعاق سير الفيلة التي لم تؤد دورها كما ينبغي كما أن القرطاجيين مازالوا يجهلون طباع هذه الحيوانات التي لم يتحكموا فيها جيدا[3]،اخطأ القائد هاميلكار حين عسكر فوق تل غير بعيد عن مدينة فخسر قوته وفطن لهذا ريغولوس فتقدم لحصار التل[4]، فكيف علم ريغولوس بشأن هاميلكار وأنه أخطأ حين عسكر فوق التل؟وهذا يندرج ضمن براعة روما في الحرب وكيفية تحري المعلومات عن العدو الذي ستواجهه، يمكن القول بذلك أن الرومان استفادوا من خطأ قرطاجة وهو عسكرة الفيلة فوق تل مما صعب الأمر على القرطاجيين وانتصار روما.

ويذكرأحمد صفر: "بأن ريغولوس تمادى في تخريبه وفساده حتى دخل تونس وأقام معسكره تماما مثلما فعل اغاثوكليس من قبله، ولم يكن لريغولوس ما يكفيه من الجيش والعتاد والسفن حتى يقدم على حصار قرطاجة وكان يريد مثلما فعل أغاثوكليس مع أعدائه وهو طلب الصلح"[5]،حاول ريغولوس إنهاء الحرب وعرض على القرطاجيين طلب الصلح[6]، فهل يا ترى كان ريغولوس قصده الصلح من هذه

1-**وذنة:** مدينة أثرية واقعة على بعد 30كلم جنوب غربي تونس العاصمة حاليا.انظر: https://www.tunisiepatrimoine.tn/ar(2024/04/15 على الساعة 21:37).

2-احمد صفر،المرجع السابق،ص198.

3-سليم سعيدي،«الفيلة ودورها في الحروب البونية (265-202ق.م)»،مجلة الدراسات التاريخية،مج 21،العدد1،2020 ن ،ص85.

4-توفيق الطويل،المرجع السابق،ص69.

5-احمد صفر،المرجع السابق،ص198،199.

6-علي عكاشة وآخرون،المرجع السابق،ص171.

المعاهدة أم أن تطلعاته ابعد من ذلك؟ ربما كان هدفه من طلب الصلح هو إغراء قرطاجة وهدفه الخفي تجهيز واستعداد وأخذ الوقت الكافي لاستعداد للحرب.

6-حصار بانورموس:

احتلت روما مدينة بانوروموس[1]مع أواخر 254ق.م[2]، وسقطت المدينة في قبضة روما[3] بعد انتصار عظيم وتعد باليرمو أهم قاعدة واكبر مدينة بونيقية بالجزيرة ولم يبقَ للقرطاجيين سوى طرابنة" (Trapani)و"ليلبة""ليلوبايوم"[4](Lilybée) ، فكيف استطاعت روما الاستيلاء على أهم قاعدة بونية بالجزيرة؟إن استيلاء روما على المدينة كسر جناح قرطاجة ومحو أثارها من الجزيرة.

تعد بانورموس من أهم المراكز القرطاجية في شمال غرب صقلية وان استولى عليها بيروس لفترة قصيرة عام 276ق.م، ومن ذلك ظلت المدينة قرطاجية حتى عام 254ق.م[5]،وكانت محاصرة بريا وبحريا منذ نهاية 254ق.م وسقطت بيد روما[6]،إن وقوع المدينة تحت سيطرة روما لم يكن بالأمر الهين أو السهل على قرطاجة بل أنها تفقد آخر معقل من معاقل قرطاجة في صقلية وهذا بحد ذاته هزيمة لقرطاجة ونعلم بأن المدينة مكونة من(شعوب+جيش+عتاد+سفن +موانئ)وهذا ما يجعل روما تستفيد كل منهم بطريقتها وتستغلها لصالحها وبهذا تغير موازين القوى لصالحها.

نقل الرومان ميدان المعركة إلى صقلية وهزموا القرطاجيين في عام251ق.م هزيمة نكراء بالقرب من باليرمو وخسروا104من الفيلة أخذها الروم وجعلوها زينة لموكب نصر عظيم اخترق الفوروم"

1-**بانورموس(Panormos)** :مدينة على ساحل صقلية الشمالي،كانت في أول مراحل إنشائها مستعمرة فينيقية وذلك في القرن 8ق.م،انتقلت بانورموس لسيادة الرومانية 254ق. اسمها الحالي باليرمو.انظر:هنري س .عبودي،المرجع السابق،ص213.

2-سامي سعيد الأحمد،المرجع السابق،ص62.

3 -إبراهيم نصحي ،المرجع السابق، ص259.

4-**ليلوبايوم(Lilybaeum)**:مدينة أسسها القرطاجيون في غرب صقلية سنة396ق.م.انظر:محمد العيد تلي ومحمد رشدي،"هاميلكاربرقة:دوره العسكري والسياسي والاقتصادي (247-229ق.م)"،عصور الجديدة،مج10 ،العدد 4،ديسمبر 2020،ص58.

5-محمد السيد محمد عبد الغني،المرجع السابق،ص329.

6-فرانسوا دوكريه،المرجع السابق،ص138.

(Forum) لم تر له روما من قبل نظير[1]،يستنتج أن نجاح روما كان بفضل الحامية التي وضعت في مدينة باليرمو عند حصارها والاستيلاء عليها أول مرة، وكان الميدان خلال هاته المعركة بالقرب من باليرمو، وبهذا قد تكون روما قد وظفت دهاءها العسكري واستفادت في نقل الأخبار عن العدو وتحركاته.

حاول القرطاجيون استرجاع باليرمو في 250ق.م لكن باءت المحاولة بالفشل، ويرجع السبب للفيلة التي عادت على أعقابها وداست على الجنود وألحقت بهم أضرارا وخسائر فادحة، وانتهت بموت "اصدربعل" صلبا[2]، من خلال دراستي لهاته المعركة استنتج أن رجوع الفيلة للوراء على الجيوش القرطاجية ربما يعود بسبب الرومان، وذلك من خلال استفادتهم من نقص تمرين وخبرة قرطاجة في تحكمها في الفيلة الحربية،ربما قاموا بفعل لم تتحمله الفيلة فرجعت على مدربيها وحدث ما لم يكن متوقع وهو هزيمة قرطاجة إضافة إلى ذلك الخسائر المادية والبشرية، واستولى القنصل ميلليوس على عدد كبير من الأفيال الحربية القرطاجية[3]، ربما حصول روما على هاته الأفيال الحربية مدربة تدريبا عسكريا سيغير مجرى حروبها في القادم.

مما حفز الرومان على استئناف نشاطهم في العام التالي بالزحف على ليلوبايوم ومحاصرة المدينة برا وبحرا[4]، وهنا يمكن طرح السؤال كيف تمكن الرومان من فرض حصار بري وبحري على المدينة؟

عرف الرومان بتفوقهم العسكري وبأنهم خاضوا عدة معارك برية وتوسعوا على حساب الأراضي المجاورة حتى تمكنوا من تكوين إمبراطورية مترامية الأطراف،أما بخصوص البحر فمع إنشاء أسطول روماني وفق نموذج بونيقي واختراع آلة الغربان ، نجح الرومان وأصبحوا قوة بحرية تضاهي دولة قرطاجة التي عرفت بأميرة البحر وتعلموا من أعدائهم ودرسوا منهجهم العسكري حتى تفوقوا برا وبحرا، ربما من نتائج فرض الحصار استسلام المدن وتسليم المدينة وربما هذا الذي حدث مع روما عند محاصرتها لليلوبايوم.

1-محمد بيومي مهران،المرجع السابق،ص359.
2-احمد صفر،المرجع السابق،ص200.
3-محمد السيد محمد عبد الغني،المرجع السابق،ص329.
4-إبراهيم نصحي،المرجع السابق،ص259.

سيطر الرومان على قمة جبلية في أقص الطرف الشمالي الغربي من الجزيرة[1]، هي قمة ايريكس[2]وذلك لم يكن عبثا لأن الموقع استراتيجي يعتبر برج لمراقبة قرطاجة،كما أن الرومان معروفين بالدهاء والحنكة السياسية والعسكرية، يعملون على استغلال كل نقطة لصالحهم للفوز والانتصار على قرطاجة، لم تستغل هذه الأخيرة انتصارها وإجبار روما المنهزمة معنويا وماديا على السلم،وإنما انشغلت بالتوسع على حساب الأهالي في إفريقيا وتركوا الحرب في صقلية[3]، وهذا جاء لصالح روما، لأنها خلال تلك الفترة تمكنت من بناء قوتها واستغلت فرصة اهتمام قرطاجة بالتوسع داخل إفريقيا لكي تستعد لمواجهتها مرة أخرى وتحقق النصر.

وخلال سنة 247ق.م كانت هناك سلسلة من الحروب بين روما وقرطاجة وكان النصر متأرجح بين الطرفين خلال هذا الوقت تغلب الرومان على مشكلة عجز الخزينة عن مواجهة نفقات الحرب وبناء أسطول جديد بالالتجاء إلى تبرعات خاصة مامكنهم من إعداد 200سفينة،وقررت حكومة قرطاجة الاقتصاد في النفقات وذلك عن طريق سحب جانب اكبر من أسطولها وتسريح رجاله [4].

ارتكبت قرطاجة خطأ فادحا بأن قامت بتسريح الجنود في وقت غير ملائم نهائيا، ولم تفكر عند اتخاذها هذا القرار في هذه الظروف، لان ذلك سيكلفها الكثير وخاصة أنها أمام قوة تترصد لها مثل هاته الأخطاء لكي تقضي عليها، كما أن قرطاجة قد اعتمدت صيغة التجنيد المؤقت والجند المأجور، وعلى رغم من أن غالبية جيشها كان دائما من العنصر الإفريقي[5]، أكيد انه عند تسريح الجنود من قرطاجة تستغلهم روما لصالحها، وربما تضعهم جواسيس يراقبوا قرطاجة وتتعرف منهم أكثر على طبيعة المنطقة،والعتاد وطرق التدريب.

1-محمد السيد عبد الغني،المرجع السابق،ص330.

2-**ايريكس**(Eryx):جبل جوليانوا المشرف على دربانا حاليا.انظر:محمد العيد تلي ومحمد رشدي،المرجع السابق،ص58.انظر كذلك:فرانسوا دوكريه،**قرطاجة أو إمبراطورية البحر**،تر:عز الدين احمد عز،الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،1996،ص115.

3-محمد الهادي حارش،المرجع السابق،ص60،61.

4-إبراهيم نصحي،المرجع السابق،ص259،260.

5-محمد العربي عقون،المرجع السابق،ص103.

7-الفصل الأخير من الحرب الأولى:

انهزمت قرطاجة في معركة جزر ايغاتس (Aegates) في ربيع 241ق.م[1]،وانهزام قرطاجة يعود لأسطولها الذي كان يعاني من نقص العدة وسوء التدريب،وربما بسبب الإمدادات المحملة عليها عجز بسبب ثقله، لنرجع إلى توقيع معاهدة الاستسلام، ما يجعلنا نطرح التساؤل الآتي : كيف أجبرت قرطاجة على توقيع معاهدة الاستسلام؟وكيف لروما أن تفرض على قرطاجة توقيع المعاهدة وخاصة في مثل هذه الظروف؟

والإجابة كالتالي:أدركت روما بوضع قرطاجة المادي وبأن ليس لها مال كثير أو جيوش كافية فعرضت عليها الصلح فقبلت التصالح وتنازلت عن مدنها في صقلية[2].

وفوض هاميلكار برقة[3]للتفاوض مع روما واجبر مجلس الشيوخ القرطاجي على التنازل ولأول مرة بفضل السلطة العسكرية وكلف القائد القرطاجي بكل صلاحيات للتفاوض مع القنصل الروماني لوتاتيوس كاتولوس،وسميت بمعاهدة لوتاتيوس[4]، ونستنتج من خلال ما سبق سميت المعاهدة باسم القنصل الروماني لأنه الطرف القوي في هذه المعاهدة وقد اجبر قرطاجة على توقيع معاهدة الاستسلام بالشروط التي وضعها مجلس الشيوخ الروماني وربما بتعاون مع القنصل.

مع العلم أن القنصل كان في آخر أيام حكمه فأراد أن يكون إنهاء الحرب على يده فيترك له ذكرا حسنا[5]،وبهذا بذل كل جهده في تسيير أمور معاهدة الصلح،وبالشروط التي تمليها روما ونظرا لبراعتها وجهدها سميت المعاهدة باسمه تكريما لمجهوداته.

1-اصطيفان اكصيل،المرجع السابق،ص88.

2-شارل أندري جوليان،**تاريخ إفريقيا الشمالية** تونس، الجزائر،المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م،تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة،تاوالت الثقافية،(د.م.ن)،2011،ص82.

3-**هاميلكار برقة**:زعيم قرطاجي حوالي 290-229ق.م لقب بهاميلكار برقة، والد حنبعل وصهر صدربعل.يبدو أن اسمه محرف من عبد ملقارت له عدة إنجازات .....انظر:هنري س.عبودي،المرجع السابق،ص886.

4-نور الهدى ورنوغي،"المعاهدات القرطاجية الرومانية مابين الحرب البونيقية1و2(241-218ق.م)"،مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5،العدد10،(جوان 2017)،ص67.

5-احمد صفر،المرجع السابق،ص202.

1-حرب المرتزقة:

انتهت الحرب البونية الأولى بهزيمة قرطاجة وتخليها عن ممتلكاتها في صقلية مع دفع مبلغ مالي كبير للرومان كتعويض لها وهذا ما افرغ خزينتها[1]، وقادها للحرب في شمال إفريقيا أو كما سماها غانم نقلا عن بوليب "بالحرب الغير مغتفرة" والتي ودامت 241-237ق.م وقد عانت منها قرطاجة ويلات الحرب.

خلال هذه الفترة تدخلت روما وأظهرت عطفا اتجاه قرطاجة وسمحت لها بتجنيد فرق من الايطاليين[2] وبدأت تمد قرطاجة بالخيرات بعد أن انتزعت منها كورسيكا وسردينيا لكن من جهة أخرى زودوها بالمؤن ليوهموها بتحسن العلاقات بين الطرفين ولكن هدفها الخفي هو الوقوف إلى جانبها لتقضي على ذلك الجيش الذي قد تستخدمه يوما في حال الصلح معه في حروبها ضدهم[3]، إن تدعيم روما لقرطاجة ليس حبا فيها بل أنها تمد قرطاجة وكأنها تغذي الحرب لأنه إذا تحالفت قرطاجة مع اللبيين سيكون خطرا على روما، ولهذا بذلت قصارى جهدها من اجل أن لا تتحد قرطاجة مع اللبيين وغذت الحرب بين الطرفين خدمة لمصالحها الخفية، وهنا تجدر الإشارة إلى جزئية مهمة ألا وهيكيف أدركت روما أن قرطاجة بحاجة إلى إمدادات؟ربما استغلت روما فرصة تصالحها مع قرطاجة وأرسلت جواسيس للمنطقة إما كمجندين في الجيوش القرطاجية واستغلتهم روما في ذلك، أو أنهم قدموا لمدينة قرطاجة على هيئة زائرين للمنطقة، لكن هدفهم الخفي هو مراقبة أحوال المدينة، أو أنها أرسلت إمدادات بغية مساعدة لكن هدفها من وراء ذلك إرسال بعثة لكي تأتيهم بأخبار عن قرطاجة وأوضاعها الداخلية.

كما تجدر الإشارة إلى سماح روما لقرطاجة بتجنيد فرق من الايطاليين،وهنا نطرح التساؤل لماذا سمحت روما لقرطاجة بتجنيد المرتزقة،وخصوصا فئة من الايطاليين؟من المؤكد أن روما عند اتخاذها لقرار هام مثل هذا وفي الظروف والأحداث الجارية يكون قرار مدروس ونتائجه لفائدة روما، اعتمدت قرطاجة

1-أية يحي احمد حسين،«ثورة المرتزقة في قرطاجة (241-238ق.م)»،مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم،الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، مج 14،العدد 1،يناير 2022،ص1960.

2-إبراهيم نصحي،المرجع السابق،ص261.

3-محمد العربي عقون،«من تداعيات الحرب البونية 1على قرطاج ثورة جندها المأجور (241-237ق.م)"، مجلة العلوم الإنسانية،العدد21،جوان2004،ص 202.

صيغة الجند المرتزقة أوالمأجور[1] أي المؤقت أي أنها تستعملهم خلال الحرب وتقوم على تدريبهم وتنظيمهم للخوض المعارك وعند انتهاء الحرب تقوم بتسريحهم،وهذا ما أوقعها في الخطأ فاستغلته روما لصالحها وخاصة أنها سمحت لها بتجنيد الايطاليين،وعند رجوعهم تستفيد منها روما، وكيف اعتمدوا تنظيم جيوش في قرطاجة خلال حروبهم،وما هي الخطط المعتمدة والبديلة، وبهذا يكون لدى روما نظرة عن كيفية تنظيم الجيوش لدى قرطاجة حتى تستعد لمواجهتها في الحروب القادمة .

ويمكن الاستنتاج من خلال ما سبق ذكره أن مفتاح نجاح روما الحربي يكمن في تدريب الجيوش وتنظيمها، بالإضافة إلى وجود شبكة المواصلات الرومانية البرية والبحرية والاهتمام التفصيلي بوسائل النقل والمؤن اللازمة للقوات، كما أن الفضل في نجاح الجيش الروماني في المواجهات يرجع إلىالاستراتيجيات التي عملت علىتنظيم حملة دعائية أكثر كثافة وأطول زمنا توجه إلى روح الجنود في القوات الرومانية، ومثال ذلك أن القادة الرومان أولوا عناية كبيرة في معسكراتهم المحصنة لاسترخاء وراحة الجنود قبل المعركة بهدف تقليل التوتر العصبي،وكانت تلك المعسكرات عنصرا مهما في الإستراتيجية الرومانية، إضافة إلى ذلك أن الرومان اشتهروا بميزتين وهما:الانضباط والمعنويات العالية وهما عنصرين أساسين فيما يتعلق بأسلوب شحن الرومان للحرب، وقد ذكره احد الكتاب الفرنسيين من القرن 19من القرن الماضي في قوله: "لا يستحق جيش اسمه دون انضباط .....والانضباط لا يمكن صنعه ولا تثبيته في يوم واحد إنه مؤسسة وتقليد من التراث[2]"، وصدق فيما قاله لأنه ينطبق على مؤسسة روما الحربية، كما كان للدين اثر في ذلك :حيث قامت روما بشحن الجنود وتشبعهم بثقافة دينية وأنهم يسترضون آلهتهم بذلك ،واقر الكاتب الإغريقي بوليب حينما كتب يقول:أن الرومان كانوا من الحكمة بحيث اتخذوا سبيل إثارة الشعور الديني لمصلحة عوام الناس وكان اله روما الرئيسي هو مارس" (Mars)[3]اله الحرب. واستخدم الدين استخداما نفعيا بوصفه أداة السيطرة الاجتماعية. ونقل الكاتب

1-محمد العربي عقون ، (فصول من الحرب البونية)، المرجع السابق، ص103.

2-فيليب تايلور،**قصف العقول** الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي،تر: سامي خشبة،سلسلة عالم المعرفة،الكويت،2000،ص61،62.

3-**اله مارس** (MARS):يعد من أقدم الآلهة الرومانية يرمز إلى كوكب المريخ،كان في بداية الأمر اله للزراعة ثم أصبح بعد ذلك اله الحرب الذي سمي شهر مارس باسمه...انظر:بختي أميرة،**كهنوت الآلهة المحلية في مدن الجنوب النوميدي خلال الفترة القديمة**،مذكرة ماستر،جامعة 8ماي 1945قالمة -الجزائر،2022/2021،ص41.

تايلور عن بوليب في قوله :"يتمتع الرومان بفاعلية بالغة في لحظات الأزمة في استرضاء كل من الآلهة والبشر"[1]، ويذكر كذلك نقلا عن بوليب بالنسبة للحرب البرية كان لدى الرومان أفضل الجنود لأنهم كانوا يسخرون كل ما في وسعهم في سبيل تدريبهم في حين كان القرطاجيون يتهاونون في تدريب الجنود المشاة، ولا يبالون كثيرا بخيالتهم وهذا ما يفسر سعي قرطاجة الدائم لاستخدام المرتزقة الأجانب في قوام جيشهم[2].

II-الجوسسة القرطاجية:

تميزت قرطاجة بموقع استراتيجي ،وكان هدفها الأول والأسمى هو السهر على حماية مؤسساتها[3]،وبحكم موقعها وغناها أدى بها إلى التفوق على جيرانها ومال بها إلى الجور على أملاكهم والسعي لاستعمارهم الجغرافي [4].

وتوسطت الطريق الرابط بين صور[5]وقادس[6] الأمر الذي سهل لها مهمة الإشراف على تلك المستوطنات،وظهرت كقوة عسكرية بقدرتها وإمكانها حماية المرافئ والمستوطنات الفينيقية أمام العدو الإغريقي،وقادها إلى صراع طويل وعنيف دام قرابة الثلاثة قرون[7]، ما كادت أن تنتهي قرطاجة من صراع الإغريق حتى دخلت في صراع مع روما بعد فترة من الزمن وشهدت ويلات الحرب وصراع عنيف دام قرابة القرن و18 سنة .

1-فيليب تايلور،المرجع السابق،ص57.

2-ليث خليل السلماني،المرجع السابق،ص440.

3-فرانسوا دوكريه، (قرطاجة الحضارة والتاريخ)،المرجع السابق،ص58.

4-توفيق الطويل،المرجع السابق،ص18.

5-**صور (Tyre-Tyr)**:مدينة فينيقية جرى تأسيسها في ألف 3ق.م فوق جزيرة قريبة من الشاطئ.....انظر:هنري س.عبودي،المرجع السابق،ص552.

666-**قادس**(Gades):تقع جزيرة قادس في غربي اسبانيا قريبة من الساحل ، وتعد مستوطنة في شبه الجزيرة الابيرية من بين المستوطنات الفينيقية القديمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، واشتق اسمها من كلمة فينيقية معناها جدار أو مكان مستور.انظر : حصة تركي هذال ،المرجع السابق ،ص 152.

7- يوسف علية وعبد الحكيم صحراوي،**التجارة في الحضارة القرطاجية (814-146ق.م)**،مذكرة ماستر،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،جامعة الشهيد حمه لخضر –الجزائر،2022/2021،ص15.

وكانت قرطاجة قد أسست جيشا قويا مكون من عدة فرق (نوميد،ليبيين)من طبقات أبناء البلاد ومتطوعين ومجندين من شعوب شبه بربرية بفرق (ليغور،سيلت،سامنيت) أما القيادة فكانت لفرسان قرطاجيين وتضمنت هذه الفرق مجموعة من فيلة الحرب،وبنوا سفنا ضخمة بخمسة صفوف من المجاديف أوسع وأسرع[1]،وهذا ما ساهم في تفوقها في بعض المعارك على روما كما كان للجوسسة دور هام وفعال لقرطاجة وتفوقها في معاركها ضد روما،وهذا هو موضوع دراستنا وسنتطرق إليه فيما يأتي ونذكر أهم النقاط التي كانت لصالح قرطاجة وساهمت في تفوقها.

1-حصار اجريجنتوم262ق.م:

جهزت قرطاجة لحملة جديدة كانت بقيادة كل من حنبعل بن جيسكون وحنون،وجعلوا اجريجنتوم قاعدة أعمالهم الحربية ومستقر ذخائرهم ومكان نزول لهم[2]، وهنا يظهر من تأسيس قاعدة أعمال حربية تكون بمثابة شكل من أشكال الجوسسة وعين من عيون القرطاجيين على روما.

قامت قرطاجة خلال الحرب البونية الأولى بإنشاء حامية عسكرية قرطاجية في مسينا،ورحب الممرتيين بهذه الحامية التي ستكون عونا لهم ضد هيرون، وكان الهدف من إنشاء حامية عسكرية هو الجوسسة ومراقبة تحركات العدو، كما أن وجود حامية قرطاجية في مسينا يضع القوات الرومانية في ريجيوم قبالة هذه الحامية مباشرة على الساحل المقابل ولا يفصل بينهما سوى مضيق مسينا،وهذا يصب في صالح القوات القرطاجية مما يسهل لها عملية المراقبة أو أي تحرك أو مناورات تجعل قرطاجة في حالة استعداد لمواجهة القوات الرومانية، وهو ما شجع القرطاجيين على مهاجمة السواحل الإيطالية الجنوبية مثل ما فعل ديونيسيوس وأغاثوكليس من قبل[3]، وهنا يجب الإشارة إلى اقتداء القرطاجيين بأغاثوكليس في عملياته الحربية ومحاولة إحيائها من جديد، وهذا ضمن الإطار الفني للحرب أو المدرسة القرطاجية واعتمادها على أساليب أغاثوكليس وكيفية نزوله بالمنطقة.

1-ليث خليل السلماني،المرجع السابق،ص456.

2-احمد صفر،المرجع السابق،ص197.

3- محمد السيد محمد عبد الغني،المرجع السابق،ص321،322.

بعد احتلال روما لمسينا ما لبثت أن وجدت نفسها محاصرة من جيوش من سراقوسة وبونية،وهنا يظهر مدى أهمية تحالف قرطاجة وهيرون ضد روما، وما لبث أن انقطع التحالف بسرعة بسبب خوف هيرون من روما ولو افترضنا أن تحالف هيرون وقرطاجة دام لفترة أكثر كان قد غير موازين القوى لصالح قرطاجة،لأنه كان حليفا قويا بحيث يملك جيوش قوية مدربة تدريبا عسكريا إغريقيا وله خبرة طويلة اكتسبها من الحروب التي خاضها.

سار القرطاجيون جراء الأحداث وصمموا على خوض الحرب وقاموا بتركيز جيوشهم المؤلفة من المرتزقة الليغوريين والغاليين وخاصة الايبيريين في أجريجنتوم[1]،وجعلوها قاعدة أعمالهم الحربية[2]، ولكن يتبادر الى الذهن سؤال: لماذا اختار القرطاجيون أجريجنتوم؟

إن تركز الجيوش القرطاجية بمدينة أجريجنتوم ربما كان لهدف،فاختيارها دون غيرها لم يأت من العبث،لأن القرطاجيين كانوا دهاة في الحرب،ولأنهم جابوا البحار فقد كانوا على علم بالمنطقة، واختيارهم لاجريجنتوم اختيار مدروس فاستطلاع المناطق كان مهمة سهلة للبحارة المهرة وهي الصفة التي ورثها القرطاجيون عن أسلافهم.

تمكن الرومان من فرض حصار على القرطاجيين إلى أن قامت هاته الأخيرة بطلب المدد من قرطاجة واستجابت لذلك بإرسال الفيالق[3]ربما يتعجب لأمر قرطاجة،ويتبادر إلى الذهن فكرة يملؤها الغموض:كيف استطاع هؤلاء رغم الحصار أن يستنجدوا بالقرطاجيين واستجابت لهم بإرسال الفيالق؟والجواب أن إمكانية وصول الخبر والاستنجاد بالقرطاجيين وإجابتهم دلالة على أن هناك من يراقب تحركات القرطاجيين وعند وقوعها في فخ روما استنجد بأهلها،وهذا يوضح لنا الفكر الجوسسي ومدى سرعة انتقال الخبر وإجابتهم في الوقت ذاته.

1-فرانسوا دوكريه،(قرطاجة الحضارة والتاريخ)،المرجع السابق،ص132.

2-توفيق الطويل،المرجع السابق،ص61.

3-نفسه،ص61.

2-الجوسسة لصالح حنبعل خلال ربيع 262ق.م:

بعد الاستيلاء على مدينة أجريجنتوم جراء مجاعة لا تطاق تمكن القائد القرطاجي حنبعل بن جيسكون بفضل مناورة عسكرية قام من الانسحاب إلى مكان آمن[1]، ويعد الإنسحاب فن من فنون الحرب والقتال، حيث يتمكن من تراجع القوات في وجه العدو، بانتظام ولأسباب اختيارية كل قوة منسحبة متقهقرة تدمر وراءها وسائل النقل والمخابرة،وموارد التموين والمخازن والمستودعات،وجميع المواد الصالحة للحياة وعمل المصانع والمعامل،وللانسحاب نوعين: الإنسحاب الاستراتيجي[2]والإنسحاب التكتيكي[3].

وهذا ما قام به القائد حنبعل خلال اشتباكه مع القوات الرومانية،واعتمد على أسلوب وقع فيه روما ما مكنه من النجاح في مناورته،ربما نجاح حنبعل يعود لخبرته بالطبيعة الجغرافية.

وتمكن حنبعل من خرق صفوف الأعداء بالليل وذلك يرجع لنقصه للمؤن فأراد أن يتابع التوسع بأجريجنتوم، فكيف تمكن من خرق صفوف الأعداء بالليل؟ربما انه دخل بزي عسكري روماني ما مكنه من الفرار بدون علم الأعداء،بمعنى انه قام بتضليل العدو حتى تمكن من الفرار.

3-جزر ليباري:

عرفت البحرية القرطاجية خلال فترة 261ق.م بأنها قوية جدا، وكانت تجول على شواطئ إيطاليا وتنزل الجيوش بمدن الساحل الصقلي،ما جعل روما تقوم ببناء أسطول يشابه أسطول بوني وكانت تجربته الأولى غير سعيدة[4]، خلال طلعته الأولى حوصر الأسطول المؤلف من 17 قطعة بحرية من طرف

1-فرانسوا دوكريه،(قرطاجة الحضارة والتاريخ)،المرجع السابق،ص133.

2-**الانسحاب الاستراتيجي**:هو التراجع الذي يجري في الساحات الإستراتيجية لدوافع اختيارية، كتطلب اكتساب الوقت لتامين تجميع القوى وراء تغطية دفاعية رجعية عامة،أو لإجبار المهاجم على تمديد خطوط مواصلاته يجري الانسحاب الاستراتيجي قسرا،عندما تتعرض المؤخرات وخطوط المواصلات إلى تهديد العدو،بنتيجة مناورة أو اختراق للجبهة.انظر:العقيد محمد الصفا،**الحرب**،دار النفائس ،لبنان ،1980،ص 23.

3- **الانسحاب التكتيكي**: هو التراجع الذي يجري في ميدان المعركة،لغرض الانفكاك عن الاشتباك أو التماس مع العدو.انظر:نفسه ،ص23.

4-اصطيفان اكصيل،المرجع السابق ،ص 72،73.

البونيين تحت قيادة سكيبيو وبالضبط في مرفأ ليبارا[1]،ففاجأته عمارة صغيرة قدمت من باليرمو وأرغم على الاستسلام لها[2]، ووضع تحت قيادة قرطاجة،فكيف عرفت قرطاجة بطلعة الأولى للأسطول؟وكيف بإمكانها إرغام قنصل شهير مثل سكيبيو على الاستسلام؟إن علم قرطاجة بالطلعة الأولى للأسطول أكيد أن لها فرقة أو جواسيس يراقبون مستجدات روما وما الذي تقوم به،كما أن بناء أسطول روماني وفق نموذج بوني يسهل الكثير على قرطاجة،ضف إلى ذلك أن أسر القنصل كان لصالح قرطاجة،وربما أنها وضعته تحت التعذيب من طرف السلطة القرطاجية هذا ما أدى به إلى الاعتراف على روما ولو بشيء قليل،فتستفيد قرطاجة منه وتستعمله كنقطة ضعف لروما، وتمكن من محاصرة الأسطول الروماني بسهولة من طرف البونيين يرجع لنقص روما مهارة الحرب الحرية،لأنهم برعوا برا بينما عرف القرطاجيون بأنهم من أمهر البحارة وعلى علم بالبحر وأحواله أكثر من الرومان.

4-الجوسسة لصالح هاميلكار:

خلال سنة 259ق.م كان هاميلكار القائد بصقلية وتجنب خوض المعارك المصفوفة وذلك لقلة عدد جيوشه،فكان يقوم وبمهارة بحرب المناوشات والمباغتات التي كان يبرع فيها جنوده الأفارقة و الأبيريين [3]،ونستنتج من تفوق هاميلكار وبمهارة في حرب المناوشات والمباغتات أنه يعود لجنود الابيريين وتفوقهم وذلك نتيجة خبرتهم كمرتزقة في الحروب التي خاضتها روما في حروبها السابقة ضد السمنتيين والإغريق وغيرهم.

5-حملة ريغولوس:

يذكر أحمد صفر أنه خلال نزول روما لشمال إفريقيا بقيادة ريغولوس،شرع هذا الأخير يدمر ويخرب ولم يلق أي نذير من قرطاجة،وتركته يفعل مايحلو له[4]،فهل ياترى سكوت قرطاجة له مبرر؟ خلال هاته الفترة كانت قرطاجة تستجمع قواتها بالمدينة وزادت في تحصينها وعملت على تدعيم أسوارها

1-فرانسوا دوكريه ،(قرطاجة الحضارة والتاريخ)،المرجع السابق ،ص 133.

2-اصطيفان أكصيل،المرجع السابق،ص73.

3- اصطيفان اكصيل ، المرجع السابق ، ص74.

4-احمد صفر، المرجع السابق،ص198.

وأصبحت مدينة منيعة يلجأ إليها وقت الخطر، بعد انتهاء حملة ريغولوس حاول طلب الصلح وعرضه على قرطاجة بشروط قاسية ما حفّز القرطاجيين على رفضه مفضلين استئناف القتال بعد انتهاء فصل الشتاء[1]، لماذا طلبت قرطاجة استئناف القتال إلى غاية نهاية فصل الشتاء؟طلب قرطاجة لهاته المدة من اجل كسب الوقت للتحضير والاستعداد للقتال،والتجهيز لمواجهة العدو على أتم وجه.

6-كسانتيبوس وريغولوس:

خلال ربيع 255ق.م كان احد المنتدبين قد ذهب إلى بلاد الإغريق ليجمع المرتزقة منها فعاد مصحوبا بعدد كبير منهم ومن ضمنهم [2] احد القادة المرتزقة اللاكيدمونيين ومعه رهط من المرتزقة الإغريق[3] يدعى كسانتيب[4] (Xanthippe)[5]وفد إلى قرطاجة من "مدرسة حرب اسبرطة"[6] درس الأوضاع وأدرك انه تقصير من طرف القادة البونيين وقلة خبرتهم في استعمال الفيلة[7] واقنع الآباء البونيين بإعطائه القيادة والخروج ضد ريغولوس[8]لذلك شرع في تدريب الجنود تدريبا حربيا وهيأهم للقتال وإعدادهم جيدا للحرب[9] وقام ورجاله بتدريب الجيش القرطاجي وفقا لأفضل أساليب القتال الإغريقية[10]، واستخدم البديل الأول للحرب البونيقية من قائمة الجيش القرطاجي،واستبدال أفارقة

1-إبراهيم نصحي،المرجع السابق،ص258.

2-اصطيفان اكصيل،المرجع السابق،ص78.

3-فرانسوا دوكريه،(قرطاحة الحضارة والتاريخ)،المرجع السابق،ص136.

4-اصطيفان اكصيل،المرجعالسابق،ص 78.

5-**كسانتيب**(**Xanthippe**):قائد اسبرطي استعانت به قرطاجة 255ق.م لتدريب جنودها والاستفادة من خبرته خلال الحرب البونية الأولى وتمكن من هزم ريغولوس وغادر قرطاجة وترك مخلفا لهم أساليب ونصائح حربية.انظر : محمد العيد تلي ومحمد رشدي ، المرجع السابق ،ص 59.

6-توفيق الطويل، المرجع السابق،ص70.

7-احمد صفر،المرجع السابق،ص199.

8-Allen e .Curtis **,Hannibal** and the PunicsWars, Warhammerhistorcal, United kingdom, 2005, p 82.

9-احمد صفر،المرجع السابق،ص199.

10-إبراهيم نصحي،المرجع السابق،ص259.

مجندين بأفارقة مدربين وهو قائد الجيش[1]، وأجاد توظيف الأفيال والخيول القرطاجية في اختراق الجيش الروماني وتطويقه[2].

وسحق كسانتيب الجيش حتى أن قائده ريغولوس وقع أسيرا في يد القرطاجيين وسجن حوالي 5سنوات[3]وقد استفاد قرطاجيين من تكتيكات كسانتيب الإغريقية الحربية التي كان لها أهمية في"فن الحرب" مثل عملية التطويق باستعمال الفرسان واستعمال الأفيال حسب القواعد الحربية[4]، ويرجع بوليب وغيره من المؤرخين -نقلا عن اصطيفان اكصيل- إلى كسانتيب جميع الفضل في الانتصار الذي ناله القرطاجيون على ريغولوس ونصائحه القيمة التي قدمها وأفادت قرطاجة[5].

نستنتج من نجاح قرطاجة بفضل القائد الإغريقي كونه وافد من بين أقدم المدارس القتالية الحربية وهي المدرسة الإغريقية وأبدع في تنظيم الجيش وفقا لخبرته العسكرية كما انه لقي ترحيبا من القرطاجيين وتنفيذا لوصاياه بما انه نصب قائدا للجيش . وتمكن من سحق روما على ضفاف نهر براجاد 255ق.م[6].ووفقا للمثل الشائع أن كل ما هو روماني إغريقي ربما أن هذا الذي ساعد المرتزق الاسبرطي وسهل عليه عملية تنظيم الجيوش كونه على علم بالخطط الحربية والتقنية لروما كونها مستنبطة من عند الإغريق.

كانت نتيجة الصراع لصالح قرطاجة التي قامت بأسر القائد الروماني ماركوس ريغولوس وسجنه لمدة 5سنوات، ربما يتساءل البعض كيف كان لصالح قرطاجة؟وما فائدة قرطاجة من ذلك؟ والجواب يكون أن اسر القنصل وسجنه لمدة 5 سنوات ليس بفترة قليلة أو سهلة على ريغولوس؛ بحيث كان تحت سلطة القرطاجية وربما مارست معه أشد أنواع التعذيب،وأجبرته على البوح بما يعرفه على روما كونه قنصل سابق له مكانة مرموقة داخل مجلس الشيوخ وبذلك تستفيد منه ولو بالشيء القليل إما

1-Allen e.Curtis, Op.Cite, p82.

2-محمد السيد محمد عبد الغني،المرجع السابق،ص328.

3-توفيق الطويل المرجع السابق،ص71.

4-أحمد صفر،المرجع السابق،ص199.

5-اصطيفان اكصيل،المرجع السابق،ص78،79.

6- Allen e.Curtis, Op.Cite, p82.

من ناحية الجيش أو تكتيكات الحرب،وكيفية تنظيم الجيوش في حملاتها السابقة وما هي أسرار نجاحها،أو الطبيعة الجغرافية لروما وكيف حصنت مدنها ضد العدو.

قامت قرطاجة بإرسال ريغولوس على رأس سفارة ليقنع روما بحقيق السلام[1]فما فائدة قرطاجة من إرسال ريغولوس؟وخصوصا رفقة سفارة،ويفاوض باسمها[2]؟. الأكيد أن قرطاجة كانت تهدف لأبعد من ذلك وهدفها من إرسال ريغولوس رفقة سفارة كان التجسس على روما، ومراقبة أحوال المدينة وهل أن روما تجهزت لحرب جديدة أم لا، وضعت ريغولوس كذريعة أو سبب لزيارة روما وهذا يندرج ضمن الفكر الفني الحربي، وبأن تراقب قرطاجة تحركات روما وتضعها نصب عينيها.ويرجع أصطيفان أكصيل هزيمة روما لثقتهم العالية البالغة في تفوقهم العسكري،وكبريائهم المتولدة عن انتصاراتهم الأولى[3].

7-معركة دريبانا 249ق.م:

ألحق بأسطول روما هزيمتين بقرب شاطئ صقلية واستعادت قرطاجة سيادة البحر مؤقتا[4]،كانت الحامية القرطاجية تحت قيادة هاميلكار وارتفع عددها إلى 10الاف من المرتزقة من بينهم الضباط العصاة الذين تركوا جانب المهاجمين وانضموا للمحاصرين،لم يكن الرومان يتميزون بخبرة وتجربة حيث لم يستطيعوا منع جيشا قدم للنجدة من اختراق الحصار وبقي الحصار لمدة أشهر.نستطيع القول أن بقاء الحصار لأشهر عديدة يرجع لخبرة وكفاءة جيش هاميلكار الذي كان ساهرا على حماية المنطقة، حاول القنصل بولشي مهاجمة أسطول بوني الراسي في دريبانا الذي كان بانتظار تلقي الإمدادات من قرطاجة،ولكنه على جهل بمخطط الأمكنة حيث كان للمرفأمنفذان وهنا وقعوا في شباك القرطاجيين الذين كانوا بانتظارهم[5].حيث نجحوا أخيرا في الإيقاع بالرومان في مصيدتهم، وذلك يرجع لكونهم بحارة بامتياز وعلى علم بالمنافذ البحرية،ذلك لأنه قبل تأسيسهم لقرطاجة كان لهم مستوطنات في مختلف شواطئ البحر الأبيض المتوسط عكس الرومان الذين كانوا يجهلون البحر.

1-محمد السيد محمد عبد الغني،المرجع السابق،ص328.

2-توفيق الطويل،المرجع السابق،ص71.

3-اصطيفان اكصيل،المرجع السابق،ص81.

4-إبراهيم نصحي،المرجع السابق،ص259.

5-فرانسوا دوكريه،(قرطاجة الحضارة والتاريخ)،المرجع السابق،ص139.

تمكن القرطاجيون من أن يوقدوا النار في 3أماكن في المدينة وزحف الدخان الكثيف على الجيش الروماني وحط على بصرهم وكاد أن يمنعهم من القدرة على العمل[1]، وإضرام النار تعبير يشير بصورة عامة إلى رمي الأسلحة المختلفة[2]. ويعتبر إشعال النار خديعة من خدائع حرب، فكيف تسنى للقرطاجيين أن يوقدوا النار على العدو؟ بإمكان إضرام النار وسط الجيوش تعمل على تضليل العدو وتشتيته وبذلك تكون هزيمة لا محال منها وغايتها ضعضعة هجمات العدو.

حاول القنصل جوينوس بولوس الوصول ليلبيايوم على رأس أسطول مع التجهيزات للجيوش المكلفة بالحصار، فرد على أعقابه على يد أمير البحر كارثلون (قرتلون) وغرق بكامله بعد تعرضه لعاصفة هوجاء في عرض البحر أمام كامارينا[3]،ربما يعود غرق الأسطول لتعرضه لهجوم قرطاجيكان يترقب تحركاته، ومن ثم ساهمت عاصفة في إغراقهويعود ذلك لنقص خبرة روما بأحوال وتقلبات البحر وعدم اتخاذها التدابير اللازمة لتفادي ذلك[4].

8-استعادة مدينة ايريكس وهيركتي 247ق.م:

أسندت قرطاجة قيادة قواتها في صقلية لقائدها هاميلكار برقة[5]الذي قام بعمليات تخريبية على سواحل إيطاليا الجنوبية وكان يقوم بمناوشات الجيوش الرومانية و كان من نتائجها [6] الاستيلاء على جبل هيركتي (Herecte) قرب بانورموس[7]، وأقام بعض الاستحكامات التي كانت كافية لتجعل من

1-توفيق الطويل،المرجع السابق،ص81.
2-العقيد محمد الصفا، المرجع السابق، ص37.
3-فرانسوادوكريه،(قرطاجة الحضارة والتاريخ)،المرجع السابق،ص139.
4-للمزيد انظر:العقيد محمد الصفا،المرجع السابق،ص467.
5-إبراهيم نصحي،المرجع السابق،ص259.
6-فرانسوا دوكريه،(قرطاجة الحضارة والتاريخ)،المرجع السابق،ص140.
7-محمد السيد محمد عبد الغني،المرجع السابق،ص331.

هذا الجبل معقلا منيعا[1]ومضى بجيشه وأسطوله ونزل ليلا بجبل ايريكس قرب مدينة طرابنة وأقام لمدة سنتين[2] مواصلا هجماته المباغتة وكمائنه ضد الرومان[3]،واستعاد مدينة ايريكس بعد معارك حامية.

إن استيلاء القائد هاميلكار على جبل هيركتي واستعادته لمدينة ايريكس بحد ذاته فوزا ونصرا لقرطاجة سيفيدها في حربها ضد الرومان كونه استولى على مناطق إستراتيجية،ربما أن عملية الاستيلاء على هاته المناطق كانت جامعة للأخبار، وأن القرطاجيين استغلوا المناطق على شكل أبراج وحاميات لمراقبة العدو، وتقرب المسافة من العدو حتى يكونوا تحت نظرهم وأن تستعد لأي إجراء ومواجهته.

عمل القائد هاميلكار على كسر مركز الحراسة الرومانية[4]بهدف محاولة تخريب حامية من حاميات روما،وبذلك كشف خبايا روما وما عندها من معلومات حتى توظفه قرطاجة لصالحها، كما انه حاول اجتناب الحرب المنظمة واقتصر عمله على المناوشات وكان ماهرا،وضمنت له النجاح بربح الوقت وإقلاق العدو[5]، وبالفعل كان هاميلكار ذو دهاء عسكري ووظف مهارته وإبداعه ضد روما حتى ظهرت على روما ملامح الملل من طول المواجهة وخصوصا فراغ خزائنها.

تعد حرب المناوشات من الاستراتيجيات التي اعتمدها القائد هاميلكار وكان هدفه من ذلك هو مضايقة العدو وإفراغ خزائنه كي لا يترك لروما الوقت للاستعداد والتجهيز لحرب منظمة هو في غنى عنها.

9-حرب المرتزقة (241-237ق.م):

بعد انتهاء الحرب البونية الأولى واجهت قرطاجة ثورة جندها المرتزقة (241-237ق.م)فسارعت للاستنجاد بهاميلكار الذي تمكن من فك الحصار على أوتيكا وحقق بعض

1-اصطيفان اكصيل،المرجع السابق،ص87.

2-احمد صفر،المرجع السابق، ص201.

3-محمد السيد محمد عبد الغني،المرجع السابق،ص331.

4-فرانسوا دوكريه،(قرطاجة الحضارة و التاريخ)،المرجع السابق،ص140.

5-احمد صفر،المرجع السابق،ص201.

الانتصارات على المرتزقة[1]،وكان له حيلة لطيفة واستغل خبرته في الاستيلاء على جسر "بكرادا" ولاحظ أن مصب النهر يمتلئ بالرمال عندما تهب الرياح ويتكون على طول البحر حاجزا يمكن عبوره بالمخاضة وجعل الجيش متأهبا للذهاب، وانتهز الفرصة وغادر قرطاجة ليلا،والتقى فجرا مع رجاله على ضفة أخرى من النهر بدون إثارة الانتباه واخترق السهل في اتجاه الجسر.

وخاض معركة ضد سبانديوس[2] فتعجب من تنظيمه للجيش قام هميلكار وأربك العدو حتى وقع في فخه واحتار الثوار في هذه المناورة غير المنتظرة، وداست عليهم الفيلة والخيول وتقدم هاميلكار واستولى على الجسر.

كما اعتمد في مواجهة ثورة النوميد على الأمير نارافاس الذي كان لأبيه علاقة ودية مع القرطاجيين وكان معجب بهاميلكار،وقال بأنه سيشعر بالعطف على القرطاجيين ويود أن يصبح صديقا له وقبل عرضه من طرف هاميلكار[3]، ووعد هذا الأخير الأمير نارافاس بتزويجه بإحدى بناته في حال وقوفه إلى جانبه في ثورة الجنود المرتزقة[4]، ويرى محمد الصغير غانم أن انضمام الأمير النوميدي نارافاس للجيش القرطاجي صحبة ألفين من أتباعه ليس حبا فيهم وإنما نتيجة للصراعات القبلية واختلافه مع قادة الثورة نظرا لمكانته الإجتماعية،وكان لانضمامه دور في انتصار قرطاجة والقضاء على المرتزقة ولا يستبعد أن يكون قبل ذلك يقاتل في صفوف الثوار[5].

1- نور الهدى ورنوغي ومحمد الهادي حارش ،"سياسة آل برقة مابين الحرب البونيقية1و2(241-219ق.م)"،مجلة العلوم الإسلامية والحضارة،العدد8،جوان 2018،ص590.

2-**سبانديوس(Spandius)**:عبد كمباني روماني يتمتع بقوة جسدية كبيرة وشجاعة فر من الاستبعاد خوفا من الوقوع في يد سيده من جديد وتعرضه للإعدام عملا بالقانون الروماني،عمل على إشعال فتيل الثورة حتى يجد المناخ الملائم للزعامة.انظر: محمد العيد تلي ومحمد رشدي،المرجع السابق،ص58.للمزيد انظر كذلك: محمد الصغير غانم،(مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم)،المرجع السابق،ص106.

3-اصطيفان اكصيل،المرجع السابق،ص ص 101-103.

4-نوال مغاري ،"قراءة في تطور العلاقات السلمية بين قرطاجة والليبين خلال 480-**146ق.م** "،مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ،مج 3،العدد 5،جانفي 2015،ص 247.

5-محمد الصغير غانم، (مقالات وآراء في تاريخ الجزائر)،المرجع السابق،ص109.

والأكيد انه استفاد من مشاركته في صفوف الجيش النوميدي وعلى علم بتنظيمه وبهذا سينقل أخباره لقرطاجة وتجني منه نفعا في تدريب جيشها، واستفادت من نارافاس ونصائحه القيمة واستغلتها وكذا من تموينه لجيوش قرطاجة، وبذلك تم الردع والقضاء وسحق ثورة المرتزقة وكان التحالف السبب الأكبر في قهر الجند المرتزقة والتنكيل بهم[1].

III-الجوسسة لصالح السكان المحليين:

قبل الحديث عن دور السكان المحليين خلال الحرب البونية الأولى وكيف ساهمت الجوسسة في تغيير وترجيح كفة الميزان لصالحهم يجب التطرق إلى العلاقات بين الطرفين (الليبية—القرطاجية)، بدأت العلاقات بين الطرفين القرطاجيين والليبيين تأخذ منعرجا خلال القرن 6ق.م على اثر العمليات العسكرية التي قادها "مالخوس" (Malchus)[2]ضد الليبيين بسبب الالتزام الضريبي المفروض على قرطاجة[3].

ونذكر من التشنجات بين الطرفين ما حدث عام 396ق.م اثر فشل حصار سراقوسة، حيث اضطر خاميلكان لمغادرة صقلية بعد تفشي الوباء في صفوف قواته وعاد لقرطاجة دون الأهالي وكان سببا لتذمرهم على سياسة التمييز[4]، وتواصل ذكر الحملات خلال الربع الأخير من نفس القرن من خلال حملة عزربعل الماجوني[5]، سرعان ما استغل الأهالي الظروف الداخلية الصعبة لقرطاجة في الثورة

1-محمد العربي عقون،(من تداعيات الحرب البونية)،المرجع السابق،ص207.

2-**مالخوس(Malkhus)**:احد زعماء قرطاجة الذين برزوا في غضون القرن 6ق.م حقق عدة انتصارات على إغريق صقلية لكنه هزم أخيرا بسردينيا مما دفع القرطاجيين إلى نفيه غير انه لم يتقبل الحكم وقام بمحاولة اقتحام قرطاجة .انظر:سعاد نعيمي ووفاء عواد،المرجع السابق،ص22.

3-الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر،المرجع السابق،ص194.

4-نوال مغاري،**قرطاجة والليبيون (480-146ق.م)**،مذكرة ماجيستر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة الجزائر 4،الجزائر،2013،ص98.

5-الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر،المرجع السابق،ص194.

عليها من جديد 379ق.م، وتزامنت مع انتفاضة أهل سردينيا وجعل قرطاجة في موقف لا تحسد عليه، رغم فشل الأهالي في الدخول لقرطاجة ثانية وكان للانتفاضة تأثير واضح على الوضع الداخلي في قرطاجة[1].

أما أواخر القرن 4ق.م على اثر حملة اغاثوكليس على قرطاجة وعند نزول قواته في رأس الطيب سنة 310ق.م قام بالاستيلاء على حضرموت ودوقة ، التقى بالكثير من الأهالي وحاول كسب ودهم في قرطاجة وذلك لتحريضهم على سياستها التي أثقلت كاهلهم بالضرائب وربت الحقد والضغائن[2].

وكان الليبيون لا يفوتون فرصة للانقضاض على الإقليم القرطاجي، وهم في ذلك يقتدون بتقليد يتكرر في كل مرة تكون فيها قرطاجة في وضع حرج، غير أنهم كانوا يتلقون اشد العقوبات بعد زوال الخطر[3]، وكانوا يتحينون الفرص للتمرد عليها وخاصة عند ابسط الخسائر في حروبها في البحر المتوسط، وكان وصول تلك الأخبار متيسر ويصل بسرعة البرق، لأن اغلب أفراد الجيش القرطاجي كانوا من الرعايا الليبيين ومن الأفارقة المستقلين[4]، نستنتج من ذلك أن إمكانية وصول الخبر وسرعته دلالة على أن هناك أشخاص بارعين وتميزوا بخفة في نقل الحركة، وربما أن مهمتهم الوحيدة هي المراقبة ونقل الخبر ما يصطلح عليه الآن بالعملاء أو الجواسيس.

1-نوال مغاري،(**قرطاجة والليبيون**)،المرجع السابق،ص99. انظر كذلك :غابريال كامبس،**في أصول بلاد البربر ماسينيسا وبدايات التاريخ** ،تع:العربي عقون،المجلس الأعلى للغة العربية ،الجزائر ،2009، ص50،51.

2-نوال مغاري ، (قرطاجة والليبيون)، المرجع السابق،ص 99.

3-غابريال كامبس،المرجع السابق،ص55.

4-نفسه،ص51.

1-تعاون النوميد مع ريغولوس:

استغل النوميد فرصة نزول القائد الروماني ريغولوس إلى إفريقيا[1]وقدموا له المساعدة على اعتبار أنعدوهم مشترك وهو قرطاجة[2]، وانتهزوا فرصة الغزو لينقضوا على المقاطعة البونية[3]وأملاك الدولة القرطاجية سالكين في ذلك مبدأ العدو كلما كانت تصادفه مشاكل تضعف قواه[4]، وبذلك استغل النوميديون أو السكان المحليين فكرة صراع قرطاجة مع روما ودخول أجنبي للمنطقة بغية تحقيق آمالهم والتوسع على حساب أراضيها والقضاء على الدولة القرطاجية[5]، وكانت ردة فعل قرطاجة عنيفة حيث قام هاميلكار بصلب شيوخ القبائل وفرض عليهم دفع ألف تالنت[6]من الفضة وسلب 20الف رأس[7] من البقر[8].

2-ثورة المرتزقة(241-237ق.م):

بعد هزيمة قرطاجة على يد روما في الحرب البونية الأولى بجزيرة صقلية تم ترحيل جيش المرتزقة لمدينة قرطاجة على دفعات، وذلك لإعطاء فرصة لقرطاجة لتسديد أجورهم الموعودين بها بعد الحرب[9]، تم إرسال مرتزقة في جماعات صغيرة لكن سرعان ما امتلأت المدينة بالمحاربين الغاضبين غير مدفوعي الأجر وطالب المرتزقة بمستحقاتهم المالية[10]، لتهدئة الأوضاع تم دفع قطعة نقدية ذهبية لكل

1-سعاد نعيمي ووفاء عواد، المرجع السابق،ص45.

2-اصطيفان اكصيل،المرجع السابق، ص81.

3-نفسه ،ص84.

4-سعاد نعيمي ووفاء عواد، المرجع السابق، ص45.

5-غابريال كامبس،المرجع السابق، ص51.

6-**تالنتTalentum**:هي وحدة قياس قديمة للوزن تساوي وزن الماء اللازم لملئ أمفورة والطالن الروماني يعادل 32.3كغ....انظر: https://ar.wikipedia.org/ .يوم (2024/5/4على الساعة 21:30).

7-ويؤكد المؤرخ الفرنسي كامبس بان العدد الذي أورده ديودور قد لا يكون مبالغا فيه لان تعداد المغاربة الذين يقطنون مدينة قرطاجة أو بالقرب منها وكذا العبيد الذين هم بداخلها يجعل العدو يفوق ذلك.انظر:محمد الصغير غانم،(مقالات وأراء في تاريخ الجزائر)،ص62. للمزيد انظر:محمد الصغير غانم،(المملكة النوميدية والحضارة البونية)،ص35،36.

8-غابريال كامبس،المرجع السابق،ص55.

9-محمد الصغير غانم،(مقالات وأراء في تاريخ الجزائر)، المرجع السابق، ص104.

10-أية يحي احمد حسين،المرجع السابق،ص1961.

جندي،وطلب من الجميع أن يتوجهوا إلى مدينة سيغا (Sicca) (الكاف حاليا) ومعهم نساؤهم وأطفالهم وانتقل الجميع إلى سيغا، وأقاموا معسكرات بانتظار وعود الطبقة الحاكمة في قرطاجة[1].

حاولت قرطاجة أن ترسل البعض من قادتها المحنكين أمثال جيسكون لمفاوضة المرتزقة وتهدئتهم والتنازل عن بعض مرتباتهم لفائدة خزينة قرطاجة[2]، وكلف حنون أن يقنعهم بقبول تخفيض أجورهم[3]، وما زاد اللوم على قرطاجة لإرسالها قائدا لم يحاربوا تحت قيادته،وهو هانو المعروف بالغلظة في حق الأهالي، لكن فطن هؤلاء إلى نوايا حكومة قرطاجة[4]فعمدوا إلى التجمعات داخل معسكرهموإلقاء الخطب الحماسية، ويحمل بوليب وزر الثورة إلى 3 أشخاص من المرتزقة "ماطوس" (Matos)[5]،"سبانديوس"(Spandius)و"أوطاريتوس" (Autaritus) وهو من أصل غالي وعمل في الجيش القرطاجي[6]، ويضيف البعض "وزارزاس" (Zarzas)[7]، ومن أخطار الجند المأجور والخطأ الذي ارتكبته قرطاجة وهو السماح لنقباء الجند المأجور بإلقاء خطاباتهم بلغتهم على الرجال دون البحث عن حلول من قبل الحكومة القرطاجية في كيفية التعامل مع جيش متعدد اللغات[8].

وربما الذي كلف بإلقاء الخطب كان يلقنهم ما يشاء ليس بالضرورة تحفيز الجنود بل ربما لتحريضهم، كان أوطاريتوس يحسن اللغة البونية الأمر الذي جعله يترجم ويروج للكثير من الدعايات المغلوطة، هادفا من وراء ذلك إلى أذكاء روح التذمر والانتقام من القادة القرطاجيين الذين كان يكن

1-محمد العربي عقون،(من تداعيات الحرب البونية)، المرجع السابق، ص200.

2-محمد الصغير غانم،(مقالات وأراء في تاريخ الجزائر)، المرجع السابق، ص105.

3-محمد العربي عقون،(من تداعيات الحرب البونية)، المرجع السابق، ص200.

4-عادل مصباح نصرات ،"ثورة جند قرطاجة المأجورين :الأسباب والنتائج (241-237ق.م)"،مجلة جامعة الزيتونة،العدد21،مارس 2017،ص303.

5-للمزيد حول ماطوس انظر: محمد الصغير غانم،(مقالات وأراء في تاريخ الجزائر)،المرجع السابق،ص106.

6- نفسه،ص105، 106.

7-حسيبة باحمان،**سكان بلاد المغرب القديم في العهد القطاجي (814-146ق.م)**،مذكرة ماجيستر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية،جامعة العقيد احمد دراية –الجزائر 2016/2015،ص103.

8-محمد العيد تلي ومحمد رشدي جراية،"جند قرطاج المأجور:نظام عسكري لعرقيات مختلفة (550-202ق.م)"،مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج13،العدد1،جانفي 2021،ص457.

لهم كامل العداوة نتيجة تصرفهم المتعالي واحتقارهم للمرتزقة[1]. ومما يعاب على القرطاجيين استخدام الجند المأجور وهو الذي سيؤدي إلى حدوث خيانات ومؤامرات داخل صفوف الجيش القرطاجي[2].

ويسرد بوليب بأن ماطوس الإفريقي الأصل وسبانديوس الروماني كانا قد بعثا برسل تفرقوا في أوساط السكان اللبيين والنوميديين ليتوسلوا إليهم أن يهبوا لمساعدته وألا يفقدوا فرصة الحصول على حريتهم،ونصح أوطاريتوس زعيم الغاليين وسبانديوس بمضايقة العدو[3]، وبأن يطلقوا إشاعة على القرطاجيين بأنهم سوف يحملونهم مثل ما تعودوا وزر ما حدث و يفعلوا ذلك وبالتالي يجيرونهم على دفع التعويضات[4].

واصل ماطوس نداءه للسكان من أجل مساعدته وقد جاءت الفرصة للتحرر من حكم قرطاجة وبهذا فإن قرطاجة حطت نفسها في مأزق كبير،وظهرت مطالب جديدة فالريفيون طالبوا بتعويضات في شكل ملكيات زراعية،أما السكان فطالبوا بتخفيض الضرائب واتسعت موجة التذمر لتشمل المدن والأرياف وكان جند ماطوس يزدادون كل يوم ووصلته نجدات من داخل البلاد من أمراء القبائل النوميدية والليبية، وارتفع عدد جيشه مما ساعده على تعزيز معسكراته واشتبكا القوتين وأثناء المعركة قام ماطوس بسحب جيشه إلى أعلى هضبة مجاورة للتمركز فيها غير أنها لم تكن كافية لتحمل عدد جنده الكبير فتفرقوا في سهول مجاورة اعتقد هانو انه انتصر فتراجع،فأمر ماطوس الذي يراقب خصمه بدقة بالهجوم لمباغتة المعسكر القرطاجي وهجم الثائرون فانهزم الجيش القرطاجي وتم الاستيلاء على الأمتعة والأسلحة وكل الآلات الحربية[5]، ونستنتج من ذلك انه تم خديعة هانو خلال الحرب حيث قام ماطوس بتضليل هانو وأوهمه بالتراجع كي يظن نفسه بأنه انتصر فتراجع ليحل ماطوس وجنوده وانزلوا بهم هزيمة نكراء .

ويؤكد بوليب على دور المغاربة في تمويل ثورة المرتزقة والحماس الذي أبداه المتطوعون في الانضمام إلى الثورة حيث بلغ تعدادهم في وقت قصير حوالي 70الف رجل ويشير بأن النساء الإفريقيات

1-محمد الصغير غانم،(مقالات وأراء في تاريخ الجزائر)، المرجع السابق، ص107.

2-محمد العيد تلي ومحمد رشدي جراية،(جند قرطاج المأجور)،المرجع السابق، ص457.

3-Polybius, **The histories**, W.r.Paton, Harvard.UniversityPress, London, 1922, pp207- 209.

4-محمد الصغير غانم،(مقالات وأراء في تاريخ الجزائر)،المرجع السابق،ص107.

5-مصباح عادل نصرات، المرجع السابق، ص305، 306.

والنوميديات ساهمن في المجهود الحربي بحليهن وأمتعتهن انتقاما من السلطة القرطاجية على فرض الضرائب،وتمكن ماطوس من تسديد أجور المرتزقة بدلا من القرطاجيين وجندهم أكثر في خدمة الثورة التي استمر قادتها يتكلفون بدفع أجورهم[1].

نستنتج من نجاح ثورة المرتزقة في مراحلها الأولى يعود للحقد والضغائن التي يكنها الأهالي للسلطة القرطاجية وذلك نتيجة سوء المعاملة، وفرض الضرائب على السكان التي عجزوا عن دفعها كما يعود نجاحها للقادة الثلاثة ودورهم في تحريض الأهالي وكشف حقيقة السلطة الأوليجارشية القرطاجية، ومعاملة القادة القرطاجيين للمرتزقة واحتقارهم وإعفائهم من ابسط الحقوق هذا ما جعلهم يتحينوا الفرص لينقضوا عليها، كما أنهم ساهموا في نزول ريغولوس لشمال إفريقيا بمساعدته بالمعلومات وتزويده بما يحتاج واستغلوا فرصة انشغال قرطاجة بروما ودخلوا كثير من المدن النوميدية و القرطاجية وتوسعوا على حسابها، وساعدوا ريغولوس كون أن لهم عدو مشترك، ويعود ذلك لسوء سياسة قرطاجة في تعاملها مع السكان المحليين لنفرض أنها قامت بكسب ودهم والتعاون معهم،لما دخلت في حرب "مدة 3سنوات و 4أشهر"[2] وشهدت ويلاتها.

في الأخير يمكن القول أن الجوسسة كان لها دور الفعال في تغيير موازين القوى بين أطراف الصراع واستغلها كل طرف لصالحه لما تهيأت وأتيحت له الفرصة فعلى سبيل المثال نجد روما تفوقت خلال مرحلة من مراحل الحربوذلك لاعتمادها على قدراتها واستغلالها الفرص والأوضاع السائدة آنذاك،وبالنسبة لقرطاجة فقد تفوقت في كثير من الأحيان وعند استعانتها بالمرتزق الإغريقي الذي قدم لهم النصائح وعملوا بها وترك لهم تقنيات حربية استفادوا منها في كثير من مراحل الحرب، وبالمقابل استغل السكان المحليين الفرص وتعاونوا مع القائد الروماني واستغلوا فرصة انشغال قرطاجة بروما وتوسعوا على حساب أراضيها ولم تستطع قرطاجة آنذاك الوقوف في وجههم ربما عاملين بقاعدة عسكرية قديمة وهي تجنب فتح أكثر من جبهة واحدة في القتال العسكري.

1-Polybius,Loc .Cite, p195.

2-محمد الصغير غانم،(مقالات وأراء في تاريخ الجزائر)،المرجع السابق،ص115.

الفصل الثاني: الجوسسة خلال الحرب البونية الثانية (218–201 ق.م)

الجوسسة الرومانية

VII- الجوسسة القرطاجية

VIII- الجوسسة النوميدية

بعد الحرب البونيقية الأولى توجهت انظار القرطاجيين لشبه الجزيرة الايبيرية فقاموا بتأسيس قرطاجنة[1] في 227ق.م وتم عقد معاهدة الايبرو التي تعترف بموجبها روما بالسلطة القرطاجية على كل مناطق جنوب هذا النهر وتولى حنبعل قيادة الجيش القرطاجي في اسبانيا بعد مقتل صهره "صدربعل"221ق.م، وكان استيلاؤه على ساغنتوم[2] (التي تقع شمال بالنسية وفي اقليمها على ساحل البحر الأبيض المتوسط)سببا في قيام الحرب البونية الثانية[3]، وقد مرت هذه الأخيرة بأدوار كان النصر فيها يتأرجح بين روما وقرطاجة، و كان للجوسسة دور هام وفعال في تغيير موازين القوى خلال الحرب بين أطراف الصراع فنجده إما لصالح قرطاجة أو روما أو نوميديا وكل طرف استغل الوضع لما واتته الفرصة وتهيأت له الظروف.

I- الجوسسة الرومانية

1-حصار ساغنتوم:

كانت ساغنتوم في العصور القديمة وثيقة الارتباط بمستوطنة اغريقية عرفت باسم امبوريوم التي كانت لها علاقات ومصالح مع مساليا وكانت ساغنتوم ترنو إلى إغريق مساليا التي كانت هي الأخرى تحرض الرومان على التصدي لقرطاجة وسياستها التوسعية في اسبانيا، كما أنها عقدت معاهدة تضمن لها الحماية وتربك من قد يطمع فيها[4].

وبذلك يمكن القول ان روما لجأت لسياسة التحالفات مع بعض المدن الاسبانية لتعزز مكانتها وتضمن حليفا قويا في شبه الجزيرة من اجل التصدي للقوات القرطاجية إذا استدعى الأمر وتضمن بذلك عين لمراقبة ودراسة قرطاجة وأوضاعها، وتمكن القرطاجيون من ربط الصلة بفريق مضطهد في

1-**قرطاجنة(carthagna)**: مدينة في اسبانيا على ساحل البحر الأبيض المتوسط وأصبحت القاعدة الرئيسية للقرطاجيين في اسبانيا،وأطلق عليها الرومان اسم "قرطاجة نوفا"ومعناه قرطاجة الجديدة ويرد اسمها في اللغة العربية على صورة قرطاجينا.انظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص682.

2-**ساغنتوم(sagantom)**: مستعمرة أسستها أقوام جاءت من الجزر الأيونية الإغريقية وهي توجد في نصف الطريق بين جبال البيروس ونهر الايبرو.انظر: نور الهدى ورنوغي، المرجع السابق، ص76.

3-محمد الهادي حارش، (التاريخ المغاربي القديم)، المرجع السابق، ص62.

4 -محمد حسين فنطر، **حنبعل بطل قرطاج والمتوسط**،كلمة للنشر والتوزيع،تونس، 2022،ص74،75.

ساغونتوم ما جعل المدينة بين شقين أحدهما يؤيد روما ويطلب الحمايةوالآخر يؤيد قرطاجة،وبادرالرومان بإرسال سفارة تحذر حنبعل من الهجوم على ساغنتوم مادامت تنعم بصداقة وحماية روما .و قد أشار السفراء إلى ضرورة احترام المعاهدة التي سبق إمضاؤها مع سلفه اصدروبعل 226ق.م فحواها منع القرطاجيين من اجتياز نهر الايبرو والتوسع شماله[1].ربما إرسال روما لسفارة أخرى في مثل هاته الظروف هدفها رفع تقارير حول المنطقة وموانئها ومراكزها الإستراتيجية من اجل نزول الرومان بشبه الجزيرة استعدادا للحرب واستئنافها من جديد مستغلين في ذلك السكان المحليين لشبه الجزيرة اعتمادا على التحالف الذي اكسبهم بعض الأنصار داخل شبه جزيرة ايبيريا.

ويضيف "هارولد لام" انه عند دخول السفراء الرومان لاسبانيا للمطالبة بإعلان الحماية على ساغنتوم ما احتشدت قوات برية جرارة خلفهم داخل إيطاليا ومائتا مركب مقاتل نزلت إلى البحر من أحواض الشتاء متأهبة للإبحار[2]، نستنتج من خلال ما ذكره أن روما كانت على استعداد للحرب ولم يكن هدفها التفاوض مع حنبعل، وإنما تنتظر الوقت المناسب لإعلان الحرب على قرطاجة، وادعت السفارة بأن هدفها تحقق ولكن الغرض الحقيقي من ذلك كان التجسس على حنبعل وقواته.

وقبل أن تغادر البعثة الميناء جاء نبأ مهاجمة ساجونت ورجعت القضية إلى مجلس الشيوخ الروماني للبحث والتشاور[3]، وحوصرت ساغنتوم لمدة ثمانية أشهر من الربيع إلى الشتاء وسقطت في قبضة القرطاجيين، وكانت ساغنتوم خلال مدة الحصار تستغيث وتستنجد بروما[4]، وهنا يمكننا طرح الإشكال التالي كيف تمكن سكان ساغنتوم من الاستنجاد بروما رغم الحصار؟ أكيد أن لروما جواسيس وعملاء في ساغنتوم يراقبوا أوضاع وتحركات العدو فأحاطوا علما بما يحدث.

اقر مجلس الشيوخ الروماني بشكل نهائي إعلان الحرب ضد قرطاجة وأمر بإعداد جيش يتولى قيادة كل منهما احد قنصلي ذلك العام بقيادة كورنيليوس سكيبيو وأمر بالتوجه إلى اسبانيا، والأخر

1-محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص76.

2-هارولد لام،**هانيبال**، تر: رشدي السيسي، دار الفكر العربي، مصر، 1962،ص56.

3-محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص82.

4-احمد صفر، المرجع السابق، ص211.

بقيادة لونجوس سمبرونيوس إلى إفريقيا،وأبحرسكيبيو بجيشه إلى ماسيليا وهناك علم أنحنبعل قد غادر اسبانيا وهو في طريقه لعبور نهر الرون نحو إيطاليا فأسرع لملاحقته[1]، وهذا إنما يدل على انتشار جواسيس سكيبيو حول حنبعل ومراقبة تحركاته من اجل إيقاعه في الفخ ،ربما توقع الرومان ذلك ودار بخلدهم لذا أرسلوا جيش سكيبيو ليلتقي جيش حنبعل ويحبط تقدمه إما في شمال اسبانيا أو في جنوب بلاد الغال قرب ماسيليا على أقصى تقدير اعتقد الرومان أن اللقاء في احد هذين الموقعين سيجعل مهمة الرومان سهلة نسبيا، وهم يقاتلون بالقرب من حليفتهم ماسيليا[2].

2-انطلاق الحرب البونية الثانية 218ق.م:

خلال سنة 218ق.م وبالتحديد منتصف شهر أغسطس توجه القنصل بوبليوس كورنيليوس سكيبيو بقواته من شمال غرب إيطاليا، ووصل إلى مصب نهر الرون وقام بإرسال سرية استطلاع من الفرسان لمحاولة التعرف على تحركات ونوايا حنبعل. نستنتج من ذلك أن تحركات سكيبيو ومجهوداته كانت مكرسة لمراقبة حنبعل دون غيره ويسير وفق تحركاته ومخططاته.

و **بناءاً** على المعلومات التي استقاها سكيبيو من قوات استطلاعه توجه صوب تلك البقعة من نهر الرون التي أشارت إليها معلومات الاستطلاع فوجدها مهجورة وعلم أن حنبعل وقواته قد عبروا النهر صوب جبال الألب ولم يسلك الطريق الساحلي السهل، وعلى إثر سماع هذا الخبر اتخذ قرارا فوريا بعدم تعقب قوات حنبعل في مسيرتها الوعرة عبر الألب[3].

1- وريدة محمد علي المنقوش، **التاريخ السياسي لقرطاجة** من التاسيس حتى نهاية الحرب البونية الثالثة (814-146ق.م)،دار الوفاء لدنيا الطباعة ،والنشر ،مصر ،2017، ص177.

2-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص361،362.

3-نفسه، ص363،364,

3-معركة تيكينوس[1] (bataille de Ticino) 218ق.م:

كان قد توفر لكل طرف بعض البيانات والمعلومات عن أوضاع الطرف الآخر ومكان وجوده لكن بصورة غير دقيقة، وحدث أن قرر الطرفان في نفس اليوم القيام باستطلاع خيالة وبالتالي تصادم الطرفان (القرطاجي والروماني) ،وأدى ذلك القرار إلى نشوب معركة تيكينوس أو تسينو أو تشينيوس[2]،وكانت روما على علم بزحف حنبعل على إيطاليا وهنا نتساءل فيا ترى كيف وصل خبر زحف حنبعل على إيطاليا؟ حتى أنها قامت باستدعاء سمبرونيوس من صقلية لينظم لسكيبيو وقبل وصول سمبرونيوس هجم الطرفين عند نهر تيكينوس[3]وأصيب سكيبيو وكاد أن يلقى حتفه في تلك الواقعة لولا أن انقده ابنه الشاب الذي يحمل نفس الاسم ويصبح في المستقبل بطل روما قاهر حنبعل.

4-معركة تريبيا(bataille de Trebbia):

بعد معركة تيكينوس حدثت سلسلة من المناورات من الجانبين أدت في النهاية إلى موقعة تريبيا،وانسحب سكيبيو مرة أخرى إلى الضفة الجنوبية من نهر البو وتقدم نحو الغرب، أراد حنبعل ان يلتحم في معركة مباشرة مع الرومان فتراجع سكيبيو بقواته جنوبا إلى تريبيا في انتظار وصول سمبرونيوس لونجوس وقواته بزميله في تريبيا في أواخر نوفمبر 218ق.م بعد إلغاء الحملة الرومانية على اثر سماع أنباء مسيرة حنبعل عبر الألب إلى شمال إيطاليا واستدعاء سمبرونيوس للاتجاه نحو زميله لتعزيز قواته (سكيبيو) وما شجع سمبرونيوس على اصطدام مع حنبعل هو نجاح خيالة الرومان بمناورات ناجحة[4]، ومماسبق ذكره يمكن القول أن سكيبيو قام بتراجع تكتيكي دون أن يهاجم العدو في انتظار وصول تعزيزات من زميله سمبرونيوس وربما علم الرومان حول حنبعل ومساره بالاستعانة بجواسيس محاطة بحنبعل وتترقب تحركاته لهذا وصل الخبر لروما مفاده أن حنبعل عبر الألب إلى شمال إيطاليا.

1-**نهر تيكينوس**: ينبع من بحسرة ماجيورة ويصب في الحوض البو قرب مدينة بافيا بشمال إيطاليا.انظر: وريدة محمد علي المنقوش، المرجع السابق، ص179.

2- محمد أسد الله صفا، **هانيبال**،دار النفائس، بيروت،1987، ص118.

3-إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص276.

4-محمد السيد عبد الغني ،المرجع السابق ، ص365،366.

5-معركة ترازامين في 217ق.م: (انظر الملحق رقم 7ص154).

وتسمى بحيرة بيروزة الآن (lac de pérouse)[1] سلمت روما قيادتها كانتوس فابيوس ماكسيموس[2]الذي خطط وشرع في تنفيذ خططه التي ترتكز على منع المدد عن حنبعل لتعجيزه عن تموين جيشه خصوصا انه قد اتلف كل شيء حوله، وتجنب فابيوس المعارك المنظمة والاصطدام بحنبعل واكتفى باقتفاء أثره في كل مكان وحرص على ملازمته ومرافقته كظله، وذلك لمضايقته قدر الإمكان وعمل على عرقلته بجميع الوسائل وترك الأمور تسير وفقا لذلك[3]، ويعود نجاح فابيوس في ذلك إلى ما يمكن أن نسميه مبادئ أو اعتبارات سار وفقها مامكنه من النجاح، وهي التعلم من أخطاء سابقيه، ومراقبة تحركات حنبعل ومن الممكن انه خصص له مجموعة من العملاء والجواسيس لمراقبة تحركاته وحده دون غيره، واعتمد أسلوب المناوشات بهدف إفراغ خزائن حنبعل شيئا فشيئا، لأنه كان يرى أن قطع المؤن على حنبعل هو أحسن وسيلة لإهلاك القائد القرطاجي الموجود في ارض غريبة لا يعرف عنها شيئا، وكذا صعوبة تعويض خسائره في الجيش نظرا لبعد المسافة عن قرطاجة واسبانيا[4].

6-تحالف سيفاكس مع روما213ق.م:

كانت كل من القوى المتصارعة (روما،قرطاجة) تسعى لدعم سيفاكس العسكري لان سيفاكس بالنسبة لهم مفتاح النصر النهائي في الحرب الدائرة بينهما واستغل الخلافات التي وقعت بين نوميديا

1-احمد صفر، المرجع السابق، ص215.

2-**كانتوس فابيوس ماكسيموس**: محافظ عرف عنه الهدوء وقوة الشخصية كان خصما سياسيا لفلامينوس ومعارضا لسياسة الايميليين والكورنيليين التوسعية وعارض الدخول في معركة ترازامين، ومن هنا تم اختياره دكتاتورا لمدة 6 أشهر مع كامل السلطات وامتاز من ناحية التكتيكية بما انه فهم أن حنبعل لا يهزم تكتيكيا وانه يجب ترك الجيش القرطاجي يستنزف قواه بعيدا عن قواعده عبر المناوشات.انظر: عبد العزيز بلخوجة،**حنبعل التاريخ الحقيقي واكذوبة زاما** ،تر:ضياء الدين بوفحجة،دار ابولونيا للنشر ،2019، ص 74.

3-احمد صفر، المرجع السابق، ص215،216.

4- حسن بلعيد ،**حنبعل والحرب البونية الثانية(218-201ق.م)**،مذكرة ماجيستر ،جامعة الجزائر -الجزائر ،2013/2012، ص 53،54.

الغربية وقرطاجة وتردي العلاقات بينهما لربط اتصال بسيفاكس وحثه على التحالف مع روما[1] وكان الوفد محملا بالهدايا لهذا الأخير وكانت عبارة عن شملة رداء من الأرجوان وكرسي من العاج وكوب ذهبي[2]، ورحب سيفاكس بمبادرة سكبيو شرط أن يستفيد من التجربة الرومانية في المجال العسكري لتطويره جيشه[3]وعلى هذا الأساس بقي ستاتوريوس (statorius)[4] ولايدري لماذا تم اختيارهم من بين الميئين[5] واستغل وقته ليبدأ في تكوين وحدة مشاة نوميدية على الطريقة الرومانية استجابة لطلب الملك النوميدي[6].

يرجح ان فترة بقاء الضابط في نوميديا عمل كجاسوس لروما في مراقبة المنطقة والتعرف أكثر على الجيوش النوميدية بحكم تدريبهم ودخوله لمعسكراتهم،والتعرف على طبيعة الجيوش ومدى تحملها وتفوقها ومن الممكن انه كتب تقريرا وبعث به لروما يخبره عن مشاهد وأحداث مدة بقائه وهذا لفائدة روما بحيث أنها خلال فترة صلح تتعرف أكثر على حلفائها ومع نشوب الحرب تكون الحرب تكون جاهزة لذلك كون أنها على علم بالطرف الخصم المعادي . و نتج عن هذا التحالف انسحاب الجيوش النوميدية من الجيش القرطاجي في اسبانيا والتحاق بالجيوش الرومانية[7].

1-محمد الحبيب بشاري،"صفاقس والصراع القرطاجي الروماني"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية،مج 10،العدد1،2022،ص93.

2-احمد السايح مرزوق،"التحالفات العسكرية لملوك نوميديا خلال المرحلة الأخيرة للحرب الرومانية القرطاجية الثانية (206-201ق.م)"،مجلة الدراسات التاريخية العسكرية،مج 4،العدد1،جانفي2022،ص2.

3-محمد الحبيب بشاري،المرجع السابق،ص93.

4-**كوينتوس ستاتوريوس**:ضابط روماني مئيني من صنف ضباط الصف تولى تدريب جيش الملك النوميدي سيفاكس الذي طلب مساعدة روما في تكوين جيشه وتدريبه.انظر:محمد حسين فنطر،المرجع السابق، ص688.

5-**ميئني**: يطلق على ضابط مسؤول على مرافقة كوكبة تعد 100جندي من صنف المشاة.انظر:محمد حسين فنطر المرجع السابق،ص359،360.

6-محمد الحبيب بشاري،المرجع السابق،ص94.

7 -نور الهدى ورنوغي ،الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها على بلدان جنوب غرب المتوسط (قرطاجة ،نوميديا،موريطانيا)،أطروحة دكتوراه ،جامعة أبو القاسم سعد الله 2،الجزائر ،2019/2018،ص75.

7-استرجاع سراقوسة:

أرسلت روما حوالي سنتي 214ق.م و 213ق.م حملة إلى صقلية لاسترجاع سراقوسة التي صمدت في وجه الاحتلال الروماني[1]، بينما كانت سراقوسة منشغلة باحتفال تمكن الرومان من تسلق الجدار الخارجي الذي تغافل عنه حراسه وتركوه فتسللوا إلى الضاحية ثم إلى المدينة ذاتها،وتم عزل حصن "اوريليوس" (Euryalos) في القمة الغربية للضاحية، ويعد احد أهم المواقع المشرفة على الطريق الرئيسية إلى سراقوسة قبل أن يقع تماما في أيدي الرومان ولكن في الوقت الذي كان سيشهد تحولات سارة للرومان فإن جيوش هيميلكون وهيبوقراط قد سارعا بتنظيم هجومهما بالتزامن مع إنزال أسطول افريقية وخروج المحاصرين[2].

قاوم الرومان الهجوم وحافظوا على مواقعهم وصار على الجيش القرطاجي وسراقوسة الإكتفاء بإقامة معسكريهما وسط مستنقعات "انابوس" (Anapus)الموبوءة والقاتلة لكل من يطيل المكوث بها صيفا أو خريفا وكانت سببا في ضياعها كانت الحمى تفترس المعسكرات القرطاجية والسراقوسية متسببة في موت هيميلكون وهيبوقراط ومعهما كل الرجال تقريبا وتسبب الوباء في تناثر بقايا جثث الجيش في المدن المجاورة، وحاول القرطاجيون فك الحصار عن طريق البحر لكن كثرة الأسطول الروماني جعل الأمير القرطاجي بوملقرط يعدل عن الفكرة ويستجيب للدخول في معركة خاسرة أما جيوش سراقوسة فقد فشلوا للمرة الثانية بسبب مسألة الجنود الفارين وثار الجنود من جديد وسلموا السلطات وإدارة الدفاع إلى قادة الميليشيات الأجنبية بعد ذلك قرر الأهالي فتح أبواب لاكاردينا وتم اغتيال العالم أرخميدس[3]صحبة آخرين[4]، ولم يستول عليها الرومان إلا بفعل الخيانة وقتل أرخميدس ابن المدينة الذي

1-وريدة محمد علي المنقوش، المرجع السابق، ص192.

2-عبد العزيز بلخوجة، المرجع السابق،ص113،114.

3-**أرخميدس** (287-212ق.م): عالم من اكبر علماء في زمانه ولد بسراقوسة وله اكتشافات علمية كثيرة تعرف باسمه.انظر: احمد صفر،المرجع السابق، ص225.

4-عبد العزيز بلخوجة، المرجع السابق، ص114،115.

بفضل استحكاماته وابتكاراته شدد الحصار ولم يستول عليها إلا حين لقي حتفه من قبل جندي روماني وحطه قتيلا وسقطت بيد الرومان[1].

نستنتج من خلال ماسبق ذكره ربما يعود دخول روما للمدينة كان بمساعدة خونة داخل المدينة أو جواسيس لروما فاستغلت روما الاحتفالات الدينية وانشغالهم بالتجهيزات ورغم حصار المدينة بكل الوسائل إلا أنها ظلت صامدة (قرابة 3سنوات) ولم تسقط إلا بقتل أرخميدس وبذلك تمكن الرومان من ضمها إليهم.

8-سيطرة الرومان على كابوا[2]:

وعد حنبعل أهل كابوا بحمايتهم ورعايتهم لكن حاصرهم الرومانيون[3] فاصدر حنبعل أوامره لقائد هانو بإمدادالكمبانيين بدعم من منطقة لوكانيا، فتصدى القنصل فلاكوس لهانو وأحبط عمله ووصول المدد قرب بنيفنتوم كانت المدد في طريقها لكابوا التي شعرت بالخطر إزاء تطويقها ماجعل حنبعل يتوجه إلى كمبانيا لكنه لم ينجز الكثير لقلة الإمدادات من جهة ومن فرض الحصار الروماني على كابوا وإحكامه بثلاثة جيوش وإحاطتها بصف من المتاريس المزدوجة, استمر الحصار إلى غاية 211ق.م قام حنبعل بمحاولة أخيرة من اجل إنقاذ كابوا ونزل عليها فجأة بقوات منتقاة ولكن لم يتمكن من ذلك بفضل الإستحكامات الرومانية[4]، حاول حنبعل مرة أخرى ولكن اتخذ سبيل آخر وهو السير نحو روما لإجبارهم على سحب الجيوش المتبقية حول كابوا و الدفاع عن عاصمتهم وسار إلى أن أقام معسكره على بعد ثلاثة أميال من الشرق من روما وكانت لحظة رعب وفزع للرومانيين لكنهم تمكنوا من الدفاع عن مدينتهم واستعدوا جيدا وحصّنوا أسوارها المنيعة وكان اعتقاد حنبعل أن الرومان سيسحبوا جزءا من قواتهم حول كابوا لكن خاب ظنه وفاجأه الرومان بتطويق (ربما **بناءاً** على أنباء وصلت لروما فاستفادت من

1- حسن بلعيد، **المرجع السابق**، ص67.

2-**كابوا**: إحدى مدن جنوب إيطاليا وكانت مركز صناعي مهم سارعت إلى فتح أبوابها أمام حنبعل بعد انتصار كاناي على أمل أن تحتل مكانة روما ولم يلبث الرومان أن استردوها 212ق.م.انظر: وريدة محمد علي المنقوش، المرجع السابق، ص190.

3-احمد صفر، المرجع السابق، ص226.

4-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص389.

ذلك)كابوا من كافة الاتجاهات وسرعان ما استسلم أهل كابوا بعد حصار طويل أقامه الرومان[1]، وبعد الإستيلاء على كابوا سقطت كامل صقلية في يد الرومان[2].

9-معركة بايكولا 208ق.م:

بعد انتصار سكيبيو واستيلاءه على قرطاجنة بقي فيها لترتيب الأوضاع في اسبانيا وأول ما قام به هو تجريد القرطاجيين حلفائهم وذلك عن طريق سياسة التسامح التي انتهجها مع القبائل الاييبرية،واشرف بنفسه على تدريب الجنود بقرطاجنة إشرافا شخصيا وإلحاقها بقواتها[3] وقد كان لسكيبيو إستراتيجية محكمة في تنظيم الجيوش وذلك نتيجة خبرته ومشاركته في عدة معارك رفقة أبيه وعمه، واستفاد منها ووظفها في تنظيم جيوشه، ولما جهزت الجيوش البرية والبحرية أخذها واتجه بها لمدينة تراكون وأقام معسكره الشتوي، وبدأ بتسريح الرهائن من بينهم خطيبة ألوسيوس بعد ما كانت رهينة عنده وأطلق سراح زوجة وأبناء الملك الاييبري "اديكون" ملك الايديتان ما جعله يقيم حلف مع سكيبيو، ومع حلول ربيع 208ق.م، عاد القائد لايليوس من روما وخرج الرومان من معسكراتهم وساروا نحو المعسكر في بايكولا لاحظ اصدر وبعل تقدم الرومان فغير مكان معسكره إلى بعض المرتفعات لتأمين الحماية من الخلف،فاستغل سكيبيو الفرصة وأمر المشاة بإجتياز المرتفعات والهجوم على المعسكر وهاجم الجناح الأيسر للقرطاجيين ولايليوس الجناح الأيمن، وبذلك طوق القرطاجيين من الجهتين اليسرى واليمنى،ودخل سكيبيو المعسكر وأمر جنوده باعتبار كل ما هو موجود في المعسكر وأسر جنوده حوالي 10الاف من المشاة و2000فارس بونيقي وقام بتسريح الأسرى الإسبان دون غرامة مالية، قصد كسب و توطيد العلاقات مع الإسبان أما الأفارقة فتم بيعهم[4] .

1-محمد السيد عبد الغني ،المرجع السابق ، ص 389،390.

2-محمد الهادي حارش، (التاريخ المغاربي القديم)، المرجع السابق، ص68.

3-نور الهدى ورنوغي، (الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها)،المرجع السابق، ص86.

4 - حسن بلعيد، المرجع السابق، ص82،83.

من طرف الكويستور[1]ومن بين الأسرى الإفريقيين عثر على شاب قال انه من أسرة مالكة في نوميديا الشرقية وصل نبأه لسكيبيو فأرسل في طلبه وسأله من أين؟وسبب تواجده باسبانيا فأجاب انه اسمه ماسيفا (Massiva) جده الملك غايا وانه قدم رفقة خاله ماسينيسا قائد الفرسان النوميديين، وسأل الشاب إن كان يريد العودة فكان جوابه نعم،فقام سكيبيو بإرساله مع مرافقين[2]،فما هدف سكبيو من إرسال المرافقين؟ احتمال إرسال المرافقين كجواسيس لمراقبة قرطاجة، وهدفه الخفي هو إرسال بعثة استطلاعية لتدوين أحوال قرطاجة وأوضاعها.

10-معركة ميتور[3] (Metaure) 208ق.م:

بعد اجتياز اصدروبعل جبال البيريني في 208-207ق.م عسكر في بلاد غالة، واستطاع تجنيد اكبر عدد من الجنود واخذ معسكره وقتا طويلا وخصوصا بعد محاصرته ليبليزانس" Blaisance"[4]، وبعد انتخاب القناصل في 207ق.م أرسل مجلس الشيوخ الروماني القنصل "كلاوديوس نيرون" لمراقبة تحركات حنبعل، بينما أرسل "ليفيوس سليناتور"إلى الشمال لإيقاف تقدم اصدروبعل الذي كان قد تقدم نحو منطقة الامبري" Ombri"وأصبح قريبا من القنصل "سليناتور" لكن الموفدون الذين أرسلهم اصدروبعل لأخيه حنبعل للالتحاق به اعترضهم القنصل الروماني نيرون[5] وإلتحق به بعد أن وقع المبعوث المبعوث القرطاجي بيد جواسيس روما وهذا ما سيغير كفة الموازين ويرجحها لصالح روما.

1-**الكويستور(Quaestor)**: أو مسئول المال،الخازن –القسطور :بدأت هذه الوظيفة في العصر الجمهوري ،يعينون من قبل القناصل والمجالس الشعبية كان عددهم في البداية 2ثم 4 ،مكلفين بتلقي وحفظ أموال الخزينة العامة ووظيفتهم الأساسية تتمثل في حراسة دخول واستعمال العائدات العامة ويسهرون على المحافظة على ممتلكات مستشاري أعضاء مجلس الشيوخ وكان القسطور يختار من طبقة النبلاء .انظر :شهرة خالد ،"**التشريع الروماني في العصر الجمهوري**" ،مذكرة ماجيستر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر، 2015/2014،ص 31،32.

2-نور الهدى ورنوغي ،(الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها)، المرجع السابق، ص 80.

3-**نهر الميتور(Metaure)**: نهر صغير في إيطاليا الوسطى يصب في نهر الادرياتيك يبلغ طوله حوالي 110كلم حدثت فيه معركة ميتور التي قتل فيها اصدروبعل.انظر:نفسه ،ص90.

4- نفسه، ص89.

5-جسن بلعيد ، المرجع السابق، ص 86.

نفذ نيرون أهم خطة في هذه الحرب حيث ترك قسما من جيشه لمراقبة حنبعل وتوجه هو رفقة 7الاف جندي للالتحاق بالقنصل سليناتور الذي كلف بقطع الطريق أمام اصدروبعل والتقى الجيشان[1] في نهر الميتور و أجبر اصدروبعل على خوض المعركة في ارض يجهلها عكس الجيوش الرومانية التي كانت منظمة وعلى دراية بالمنطقة[2]، فكان فرض الرومان على اصدروبعل ساحة الحرب نقطة غلبة لهم وخديعة حرب.

جرت المعركة على ضفاف النهر وكانت عنيفة انتهت بخسارة قرطاجة وتبدد الجيش البوني وموت اصدروبعل، وقد قطع نيرون رأسه وارسله إلى حنبعل مع إفريقيين محررين ليبلغاه بالكارثة التي حلت بالجيش الذي كان في طريقه إليه، وبعد وصول النبأ لحنبعل تراجع إلى أقصى الجنوب وعسكر بالقرب من بريتيوم "Bruttium" وكان التراجع لصالح روما[3].

11-حملة سكيبو على إفريقيا:

عملت روما على استمالة الملوك المحليين مثل سيفاكس وماسينيسا وذلك يدخل في اطار تقديم المساعدات والاخبار عن العدو المشترك وهو قرطاجة، فقد عقد سكيبيو اتفاقه مع ماسينيسا بسهولة تامة وتمكن من إغرائه باستعادة ملكه المغتصب، فخلال فترة تحضير سكيبو للحملة في صقلية أرسل كايوس لايليوس على رأس فرقة عسكرية لإجراء رحلات استكشافية للأراضي الإفريقية كمنطقة هيبو [4]، يظهر من هذا نجاح سكيبيو في استمالة طرف من السكان المحليين لشمال إفريقيا وإغرائه بمساعدته في مشاكله مقابل تقديم المساعدة له عند نزوله لشمال إفريقيا وبذلك ضمان حليف قوي داخل المنطقة يمكن لسكيبيو استغلاله في التعرف أكثر على المنطقة وطبيعتها الجغرافية ومعلومات عن قرطاجة مثل الجيش والعتاد الحربي، وهذا يدخل في مفهوم الجوسسة ونقل الاخبار لروما.

1-حسن بلعيد،المرجع السابق، ص86.

2- نور الهدى ورنوغي،(الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها...)،المرجع السابق،ص91.

3-نفسه ،ص91.

4-احمد سايح مرزوق ،" **شمال إفريقيا الفصل الأخير من الحرب البونية (204-202ق.م)**"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا ،مج7،العدد1،جانفي 2018، ص75.

وعندما نزلت القوات الرومانية الى شمال افريقيا حوالي 204ق.م بجيش قوامه 35الف جندي من المشاة والفرسان في الرأس الطيب[1] وأقام به معسكر في الساحل واستولى على بعض المرتفعات المجاورة واسر فيها 800رجل من الأحرار والعبيد وجمع الغنائم واتجه إلى شمال اوتيكا وبادر ماسينيسا بالتحاق بجيوشه ما عزز وابعث الرضا في الرومان واستولى سكيبيو على سلايكا[2] وترك بها حامية تراقب على الأراضي المجاورة بعد ما قتل سكانها واتجه نحو اوتيكا وكان هدفه احتلال المدينة لإقامة معسكر الشتوي وفرض عليها الحصار[3] وقرر التركيز على اوتيكا لتصبح قاعدة له ينطلق منها لتوسعاته المستقبلية[4]، نستنتج من ذلك أن نجاح سكيبيو في حملته على إفريقيا يعود إلى ماسينيسا وذلك لتعزيز قوات سكيبيو، حيث بادر بالالتحاق به وهذا نتيجة تحالف ماسينيسا مع سكيبيو حيث غير موازين القوى لصالح الرومان.

على الرغم من المفاوضات التي جرت بين سكبيو و سيفاكس الذي لعب دور الوسيط للسلام بين الطرفين، حول إنهاء الحرب بالطرق السلمية غير ان الرومان كانوا يستعدون لتوجيه ضربة قوية للقوات النوميدية والقرطاجية وقاموا بارسال جواسيس متنكرين في هيئة عبيد للتعرف على نقاط القوة والضعف في معسكر سيفاكس[5]ومعسكر اصدروبعل لذلك عمل سكيبيو على تكثيف مبعوثيه للملك وكان يصر على إرسال رجال أذكياء وشديدي الملاحظة وكانوا يمكثون عدة أيام عند سيفاكس دون أن يحدثوا مشاكل و تمكنوا من فحص السبل المؤدية للمعسكرين البونيي والنوميدي معرفة المداخل والمخارج المعسكرين ووضع المعسكرين و الشكل العام لهما وأهم التفاصيل[6].

1-**رأس الطيب**: رأس الإله الجميل أو رأس ابولون كما يسمي ديون كاسيوس المكان الذي رست به السفن هو رأس "سيدي علي المكي" أو رأس الطرفة، وهو من جهة الشمال الغربي يحد خليج تونس الذي يحده رأس الدار أو الرأس الطيب الذي هو مرتفع مركور " Mercure"من جهة الشمال الشرقي.انظر: اصطيفان اكصيل،المرجع السابق، ص187.

2-احدى القواعد العسكرية في قرطاجة.انظر:محمد حسين فنطر،المرجع السابق، ص381.

3-حسن بلعيد، المرجع السابق، ص97.

4-محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص386.

5-محمد الحبيب بشاري،المرجع السابق، ص100.

6-نور الهدى ورنوغي،(الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها...)،المرجع السابق، ص112.

وكانت الوفود الرومانية مرفقة بضباط من خبراء الجوسسة في أزياء عبيد حتى يتمكنوا من معاينة المعسكر دون إثارة الانتباه ماساعد الرومان على معرفة المخازن،المساكن البوابات، وشخصوا حتى المواد المستعملة في بناء المعسكر ولاحظوا أنها مواد هشة[1]، في الوقت الذي كانت فيه الجواسيس تقوم بمهامها كان سكيبيو يحضر للعملية ويجمع المعلومات حول المعسكرين من اجل القيام بهجوم عليهم ولعب خطة مع القائد اصدروبعل عن طريق سيفاكس بحيث هيأهم نفسيا انه لا يريد الحرب ويسعى إلى السلم لكنه كان يفكر في مباغتتهم[2]، ووفقا للمعلومات التي قدمها الجواسيس قرر سكبيو المباغتة بالهجوم وإحراق المعسكرين[3]، فقام بتقسيم جيشه لقسمين أسند جميع الماسيليين وقسما من جيشه إلا القائد لايليوس وماسينيسا وأمرهم بالهجوم على معسكر سيفاقس ثم الهجوم الروماني ليلا، وقام لايليوس بإضرام النار في أكواخ النوميديين وانتشرت النيران داخل المعسكر النوميدي ولقي اغلب الجيش حتفه ومن نجا منهم فتك به ماسينيسا الذي كان قد تمركز وجنوده عند مخارج النجاة وتقلصت قوات سيفاكس و اصدروبعل[4].

12- معركة زاما202ق.م:

على اثر الأحداث السابقة وانهزام قرطاجة في معركة السهول الكبرى في 203ق.م أرغمت هذه الأخيرة على استدعاء قائديها من إيطاليا ماجون توفي قبل وصوله متأثرا بجراحه،وحنبعل نزل في حضر موت في خريف 203ق.م[5]وجعل قاعدته الخلفية غير بعيدة من قصور الصاف (بتونس) ، واتجه حنبعل من حضر موت نحو زاما وأقام بها معسكره والتقى الطرفان في معركة فاصلة يوم 29اكتوبر

1-محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص392.

2-نور الهدى ورنوغي، (الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها...)، المرجع السابق، ص112، 113.

3-اصطيفان اكصيل، المرجع السابق، ص198.

4-ذهبية سي الهادي، "**المماليك النوميدية بين قرطاجة وروما من نهاية القرن 3 ق.م الى القرن 1ق.م (دراسة سياسية وعسكرية)**"، مذكرة ماجيستر،جامعة الجزائر 2011،2012/2،ص72،73.

5-احمد السايح مرزوق وشعباني نور الدين، "معاهدة زاما بداية لنهاية قرطاجة 201-146ق.م"،الحوار المتوسطي، مج10،العدد 2،جوان 2019،ص290،291.

202ق.م[1]، تحرك سكبيو إلى مدينة ماركون لتوفر المنطقة بالمياه ولحق به ماسينيسا على رأس قوات تتكون من 6 ألاف من المشاة و 4 ألاف فارس. أرسل حنبعل 3 جواسيس إلى معسكر سكيبيو لكنهم امسكو بقبضة سكيبيو وأراهم كل تفاصيل المعسكر ثم أرسلهم إلى حنبعل مع مرافقة جيدة[2]، وهنا يظهر لنا بانه حاول سكيبيو أن يري حنبعل تجهيزه واستعداده للحرب قصد تضليل العدو وبمجرد مغادرة هؤلاء الجواسيس يتم تغيير الخطة المعمول بها سابقا وبهذا يفاجئ العدو خلال المعركة .

II-الجوسسة القرطاجية :

بعد انهزام قرطاجة في الحرب البونيقية الاولى قامت بإيجاد منطقة جديدة لتمويل سياستها الخارجية والتخلص من أزمتها الداخلية،فتوجهت أنظارها صوب اسبانيا لتعويض خسائر الحرب،فكان ذلك السبب وراء اندلاع الحرب البونيقية الثانية، وقد اعتمد فيها حنبعل على نظام جوسسي مهم ساهم في كسب عدة جولات منها، ومنذ تعيين حنبعل قائدا خلف اصدروبعل اظهر حنكته العسكرية وقيادته الجيدة لفرق الخيالة ولجيشه المكون من المرتزقة من شعوب مختلفة فقد تمكن من صنع جيش قوي خليط من الأجناس ولم يذكر بأن تمردوا أو قامت ثورة ضده طول مدة قيادته، وابتكر نظام الجوسسةوكان يقوم بالتمويه للوصول إلى الهدف حتى مقربيه لم يكن بإمكانهم التعرف عليه[3].

1-معركة تاجة[4]:

أمضى حنبعل فصل الشتاء في قرطاجنة وبحلول فصل الصيف أطلق حملة نحو قبائل الفاكائيين واستولى على "سالامنكا"(Salamanque)[5]و بصعوبة، علم حنبعل وهو في طريق العودة لقرطاجنة ان قبائل الكربيسيين—وهم الأقوى في ابيريا)قد تزعم حلفا عسكريا يضم كل الشعوب المجاورة وانهم أكثر

1-احمد السايح مرزوق،(التحالفات العسكرية...)، المرجع السابق، ص6.

2-نور الهدى ورنوغي، (الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها...)، المرجع السابق، ص124.

3-احمد السايح مرزوق، "الإستراتيجية العسكرية والحنكة السياسية للقائد حنبعل برقة في مواجهة روما (247-283ق.م)"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية،مج 6، العدد 2، 2022، ص949،950.

4-**تاجة(Taga)**: نسبة إلى نهر التاج في الهضبة الايبيرية طوله 1006كلم يمر على طليطلة ويعبر على البرتغال ويصب في حوض لشبونة.انظر: عبد العزيز بلخوجة، المرجع السابق، ص27.

5-اصطيفان اكصيل، المرجع السابق، ص118.

عددا من القوات القرطاجية، علم حنبعل بهذه الأخبار وبهذه السرعة مفاده أن لحنبعل جواسيس منتشرة في كل المنطقة ويأتونه بكل الأخبار لهذا لا تغفل عينه عن أحوال المنطقة ومستجداتها، ونتيجة لهذه الأخبار قرر حنبعل الانسحاب بطريقة ذكية بحيث يجعل نهر تاجة فاصلا بينه وبين أعدائه لمنعهم من العبور وتجنب خوض حرب نظامية تقليدية[1]،حاول هؤلاء الجنود عبور النهر من عدة نقاط لكن نظرا لخبرته وتخطيطه العسكري كان يطلق في كل مرة يصلون فيها إلى ضفاف النهر لعبوره دفعات من الفيلة متبوعة بالفرسان فتسحقهم بذلك تحت أقدامها أويلقون حتفهم على يد فرسانه الذين يقاتلون بسهولة في الماء وفي نهاية المطاف عبر حنبعل بنفسه النهر واندفع في اتجاه أعدائه تاركا وراءه أكثر من 40 ألف قتيل منهم على ارض المعركة استطاع حنبعل إبراز خصاله في التخطيط العسكري واستعمل ارض المعركة لصالحه واضعا بذلك حاجزا طبيعيا بينه وبين أعدائه مما تقلل بصورة هامة من قوتهم الهجومية دون أن يترك لهم أية فرصة لإعادة تنظيم صفوفهم بعد عبور النهر وبهذا يتردد الأعداء وهم يرون فشل محاولاتهم فينزل حنبعل بكل ثقله إلى الهجوم[2] وبلغ عدد القتلى حوالي 100 الف رجل ولم يجرؤ احد فيما بعد على عبور نهر الايبروعلى النظر إلى حنبعل وجها لوجه باستثناء الساغنتيين[3].

3-حصارساغنتوم:

في بداية صيف 219ق.م خرج حنبعل بجيشه من قرطاجنة واتجه نحو ساغنتوم، وأقام معسكره قبالة المدينة وضرب عليها الحصار في ربيع 219ق.م معتقدا انه لابد من دخول هذه القلعة والسيطرة عليها ليطمئن ويضمن الحضور القرطاجي في شبه الجزيرة الابيرية[4].(**انظر الملحق رقم 8ص155**).

وانتظر سكان ساغنتوم أن يصلهم العون من روما حليفتهم الرسمية ولكن دون جدوى، وبعد 8 أشهر اخترق القرطاجيون أسوار المدينة وانتهت مقاومتهم فأمر حنبعل أن توزع العطايا على أتباعه وان ترسل

1-عبد العزيز بلخوجة، المرجع السابق، ص 39، 40.

2-نفسه، ص27.

3-حسن بلعيد، المرجع السابق، ص27.

4-محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص80،81.

كنوز الفضة ومعها غنائم الحرب إلى قرطاجة[1]،فأرسلت روما سفرائها إلى عجل إلى افريقية وطالبت بتسليم حنبعل وضباطه الذين يساعدونه في معسكره كحد أدنى[2]، وأمام تبادل التهم خرج الاجتماع في الأخير بإعلان روما الحرب على قرطاجة وقد طار نبأ إعلان روما للحرب على حنبعل في الحال بواسطة عدائين راحوا يقطعون ساحل إفريقيا على بساط الريح إلى معبر الماء عند المضايق[3]، ويظهر من ذلك سرعة وصول خبر إعلان روما الحرب على قرطاج لحنبعل في لمح البصر وربما عند سماع حنبعل لزيارة سفارة رومانية لقرطاجة بعث بجواسيسه لمراقبة ما يحدث فأتوه بالخبر كسرعة البرق.

4-حنبعل في طريقه الى ايطاليا:

في ربيع 218ق.م غادرحنبعل قرطاجنة على رأس جيش حوالي 100الف جندي من المشاة وفرسان أغلبهم من الابيريين والأفارقة وعبر نهر الايبرو متصديا لمقاومة عنيفة مغذاة من طرف حلفاء أمبوريوموماليا وكلتا القبيلتين تعمل مع روما[4]ورؤيته في هذه الحرب كانت قائمة على التخطيط الجيد باستعمال جيش غير كبير في تعداده إلا انه قوي وسريع التحرك قادر على ضرب العدو في أي مكان وزمان، ومن أسرار تفوقه وانتصاراته[5]جيشه الذي يضم عددا كبيرا من الجواسيس الذين سبقوه لاستقاء الأخبار منذ زمن طويل، وتحت إمرته طاقم من الفرق العسكرية المختصة إضافة لضباط للهندسة العسكرية وفرقة اتصالات تمكن هيئة الأركان من التعامل الفوري مع مستجدات الوضع باستعمال تقنيات متنوعة ونقل معه كميات كبيرة من الذهب والفضة والقصدير، كما يبدو أن حنبعل كان على علم تام بتنظيم الجيوش الرومانية بواسطة جواسيسه[6].

1- هارولد لام، المرجع السابق، ص57.

2-عبد العزيز بلخوجة، المرجع السابق، ص41.

3-هارولد لام، المرجع السابق، ص60.

4-محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 116،117.

5-احمد سايح مرزوق، "حنبعل وانتصاراته الأربعة في إيطاليا (218-216ق.م)خلال الحرب البونية 2"،مجلة الحكمة للدراسات التاريخية،مج 5،العدد12،ديسمبر 2017،ص87.

6-عبد العزيز بلخوجة، المرجع السابق، ص47،48.

عبر حنبعل جبال البيريني ليتواجد مباشرة وسط القبائل الغالية التي سبق وأرسل لها وفدا لاستطلاع الوضع وتمهيد الطريق له قبل أن يصل، لذلك يمكن القول أن حنبعل كان يقوم بالإستعداد و التجهيز قبل خوض المعارك في منطقة مهمة بل كان يقوم بحملات استطلاعية ويحاول كسب ود الأهالي ليقف معه في وجه روما، لذلك لجأ حنبعل إلى أسلوب التحالف مع كل الشعوب التي قهرتها روما ووجد ذلك في الغاليين الأشداء[1].

وبالمقابل توجه كورنيليوس سكيبيو بقواته من شمال غرب إيطاليا ووصل الى مصب نهر الرون في حوالي منتصف أغسطس وارسل سرية استطلاع من الفرسان للوقوف على تحركات ونوايا حنبعل ولكنه قام بمناورة خداعية كلف بها القائد هانو لكي يوحي لقوات استطلاع الرومانية انه عبر نهر الرون في حين انه سلك طريق آخر وهو التوجه إلى أعالي النهر صوب جبال الالب، وذلك لتفادي اللقاء بسكيبيو وقواته على ساحل الغالة الجنوبي **و بناءاً** على المعلومات المضللة التي استقاها سكيبيو من قوات استطلاعه توجه صوب تلك البقعة من نهر الرون المنطقة التي اشارت اليها فرقة الإستطلاع فوجدها مهجورة، وعلم أن حنبعل وقواته قد اجتازوا النهر صوب الألب ولم يسلك طريق الساحلي السهل وإنما سلك أصعب الطرق[2] ما جعل كورنيليوس سكيبيو يتخذ قرارا فوريا وهو إسناد قيادة الجيش إلى أخيه جنايوس سكبيو وأبحر عائدا إلى روما للمساهمة في مواجهة حنبعل بالأراضي الإيطالية، غير ان حنبعل كان على علم بوصول جيش سكبيو، ويعود ذلك لانتشار عملاء حنبعل في كل مكان لمراقبة تحركات سكبيو وجيوشه[3].

5-اجتياز جبال الألب:

بعد عبور حنبعل نهر الرون سار على ضفافه لمدة 4ايام وبلغ ملتقى نهر "الايزير"(Isére) في مكان يسمى الجزيرة، وهي ارض مسكونة ومنتجة للقمح[4]، أقام حنبعل معسكره بالقرب من موقع اختاره

1- نور الهدى ورنوغي، (الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها)، المرجع السابق، ص43،44.

2-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص363،364.

3-وريدة محمد علي المنقوش،المرجع السابق، ص177، 178.

4-عبد العزيز بلخوجة، المرجع السابق، ص53.

الرومان من بعد إنشاء مدينة فالنس الحالية، كانت تسكنها قبائل الاولوبرج وهم من الشعوب الغالية المعروفة بالثروة والاستقرار[1]، وجد هناك أخوين يتنازعان عن الملك ويعسكران بجيشهما في مواجهة بعضهما البعض[2].

وصلت أخبار تلك الفتنة لحنبعل فتدخل لفض القضية بموافقة الطرفين وقضى أن يبقى العرش لصاحبه الشرعي مستندا إلى رأي مجلس المملكة وكبار القوم[3]فساعد الأخ الأكبر على نيل السلطة وعرفانا منه بالجميل منح الأخ المنتصر الجيش القرطاجي المؤونة والأغطية[4]والتجهيزات المختلفة فضلا عن المساعدات التي تستوجب الإدلاء والمخبرين مع حماية ناجعة تفتح الطريق وتغلقه إلى أن يتوغل الجيش في المسالك الجبلية[5]،وقدم العون لحنبعل بحماية الخطوط الخلفية لجيشه أثناء اجتيازه أرض الالوبورجيين (العدوانيين) وقطع الجيش 144كلم على طول نهر الايزير بدون مضايقات خلال 10ايام غير أن الالوبورجيين اتخذوا مواقع لتأهب للهجوم في انتظار وصول حنبعل الى الممرات صعبة وعودة حليفه المحلي إلى وطنه[6].

لكن جواسيس حنبعل المنتشرين في كل مكان نبهوه بسرعة لما يحدث، فأرسل كشافة لتقدير إمكانيات العدو وعند عودته أحاط الكشافة علما بخبر مفاده أن الالوبورجيين يتمركزون نهارا في نقاط الحراسة، ويعودون ليلا لبيوتهم، حينئذ دفع حنبعل جيشه للتقدم بشكل مفتوح وعسكر أمام الممرات الصعبة مباشرة، ومع حلول الليل تقدم حنبعل في المسالك الضيقة بواسطة الفرق الخاصة الخفيفة التسليح التي احتلت نقاط إستراتيجية تركها الغاليون،وعندما لاحظ الغاليون أن مواقعهم قد احتلت عمدوا إلى مهاجمة صفوف الجيش القرطاجي من عدة جهات وفي وقت واحد ما أجبرهم على التفرق في طرق

1-محمد حسين فنطر، المرجع السابق،ص177،178

2-عبدالعزيزبلخوجة،المرجعالسابق،ص53

3-محمدحسين فنطر،المرجعالسابق،ص126،127

4- عبدالعزيز بلخوجة،المرجعالسابق،ص53.

5- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص127.

6-محمد عبد العزيز بلخوجة ، المرجع السابق، ص53،54.

صخرية ضيقة ووعرة، ومن نتائج هذا الهجوم خسائر عدة في الخيول والدواب ومعها المؤن والعتاد،وعند رؤية حنبعل لما جرى قام بشن هجوم مضاد بواسطة قواته الخاصة وأباد العدو[1].

وتمكن حنبعل من اجتياز جبال الألب عن طريق فج سان برنار الأصغر حاليا بإجماع غالبية المؤرخين بينما يذكر البعض انه سلك عبر جبل فونيفر كما نجد جبل فيسوس عند الآخرين[2]، لم يكن عبور حنبعل جبال الألب سهلا نظرا للصعوبات والمخاطر التي واجهته[3]. وبهذا وصل حنبعل الأراضي الرومانية بعد مسيرة 5اشهر بأقل من نصف القوات التي انطلق بها من قرطاجنة[4]، وصل حنبعل الى سهل البو سالما في حين كان الرومان على الجهة المقابلة لجبال الألب يجهزون جيوشهم للدفاع عن سهل البو وعند سماعهم خبر تخطي حنبعل جبال الألب شكل صدمة لهم وخاصة للقائد بوبليوس الذي فاجأه الخبر واحدث طوارئ في المنطقة التي نزل بها وعلى هذا الأساس ألغيت القوات المتوجهة لإفريقيا، وعادت لتجتمع في ليلبي وأعيد التنظيم في مدينة أريمنيوم وبهذا قد حقق حنبعل تقدما استراتيجيا على روما وفرض عليهم تراجع قواتهم المتوجهة لإفريقيا وأعيد اتجاهها للدفاع عن إيطاليا المهددة وهذا يعود لعبقريته العسكرية التي مكنته من قلب خطة العدو من الهجوم للدفاع [5].

6-معركة كاناي 2اوت 216ق.م:

بعد هزائم روما المتتالية أمام القرطاجيين وبعد فشل القنصل فابيوس في مواجهة حنبعل، اضطر مجلس الشيوخ إلى استبدال القناصل وتعيين لوكيوس امليوس باولوس (عائلة ارستقراطية)"اتبع سياسة فابيوس"،و"كايوس ترنتيوس فارون" ترك سياسة فابيوس والهجوم بالمعارك الكبرى والمباشرة"[6]،أما عن حنبعل فانه كان يفكر وبعناية في خطوته الآتية،كان الجيش الروماني يتجمع للزحف عليه عندما بدأ صيف،وسيكون من الحماقة حتى بالنسبة لجنرال بموهبته أن يعتقد بإمكانه هزيمته بسهولة في معركة

1- محمد عبد العزيز بلخوجة ، المرجع السابق ، ص54.

2-احمد السايح مرزوق، (حنبعل وانتصاراته الأربعة)، المرجع السابق، ص88.

3-للمزيد انظر: نور الهدى ورنوغي،(الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها)،المرجع السابق، ص46،47.

4-احمد السايح مرزوق، (حنبعل وانتصاراته الأربعة)، المرجع السابق،ص88،89.

5- نور الهدى ورنوغي،(الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها)،المرجع السابق،ص47،48.

6-احمد السايح مرزوق، (حنبعل وانتصاراته الأربعة)، المرجع السابق، ص94.

مفتوحة ومع ذلك كانت المعركة مفتوحة واستخدام سلاح الفرسان التي كانت أمله المتبقي في إبعاد روما وكسب المزيد من الحلفاء الايطاليين للمرحلة التالية من مراحل الحرب وكان باذلا قصارى جهده في استخدام كل ميزة تمكنه من إثارة الرومان في صراع في المكان والزمان الذي يختاره. ربما قام حنبعل بدراسات تقارير روما في حروبها السابقة مع الإغريق وغيرها من الشعوب والغاليون ليستفيد من إعداد الجيوش والتنظيمات وهذا ما راينا انه اعتمد على ذلك واستفاد من التقارير ووظفها في مواجهاته لروما . لقد درس حنبعل التقارير الاستخبارية واستجوب جواسيسه بعناية ليتعلم كل ما في وسعه عن الخدمات اللوجيستية الرومانية إلى جانب ذلك مزاج قادة العدو الجدد وتصرفاتهم، وبحلول الصيف كان حنبعل جاهزا ويعرف ما سيفعله[1]،وكان الجيش القرطاجي مكون من 40الف من المشاة و10الاف من الفرسان،أما عن روما 80الف من المشاة و6 ألاف جندي من الفرسان وبقي حوالي 10الاف منهم لحماية المعسكر[2]،بدأت المعركة جنوب نهر الاوفيدوس أو الاوفانت حاليا على الضفة اليمنى، وكانت الرياح قوية ما سهل مهمة جنود قرطاج، ولنجاح خطة حنبعل القائمة على تطويق القوات الرومانية والقضاء عليها[3]، أصبحت جيوش الطرفين متقابلة، فقد وضع الرومان خيالتهم من جهة اليسار تحت قيادة بول ايميل (باولوس) والتمركز في الوسط كتلة المشاة تحت قيادة مينوسيوس و سرفيليوس ومن الجهة اليمنى فرقة خيالة الرومانية بقيادة القنصل "فارون" و وزع القرطاجيين بقيادة حنبعل من فرق الخيالة في يسار التشكيل العسكري بقيادة "اصدر بعل" وضم الوسط 22الف جندي غالبيته من الأسبان والسلتيين تحت قيادة حنبعل خط المواجهة،وأخوه ماجون وفرق الخيالة ثانية من الجهة اليمنى بقيادة حنون، وتمثلت خطة حنبعل في جعل جيشه الامامي مكون من المشاة في شكل قوس محدب في اتجاه الرومان وذلك قصد وهمهم بضعف خطه الأمامي، وبالتالي جعل روما تركز هجومها عليه وعند ضغطهم على هذه النقطة يبدأ التشكيل القرطاجي في التراجع ويصبح القوس مع مرور الوقت مقعرا ثم تبدأ فرق

1-Philip freeman, **Hannibal**Rome'sGreatestenemy, Pegasus Books, New York and London, 2022. P94

2-نور الهدى ورنوغي،(الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها)،المرجع السابق، ص59،60.

3-احمد السايح مرزوق، (حنبعل وانتصاراته الأربعة)، المرجع السابق، ص96.

الخيالة القرطاجية من الجهتين بمحاصرة الجيش الروماني الذي اصحب مطوقا داخل حلقة[1]،اظهر حنبعل براعته في تطويق مؤخرة الجيش الروماني، ولعب الفرسان البونيين دورا حاسما في انتصار حنبعل[2]،وقد بينت المعركة الدهاء التكتيكي والعسكري الذي اجتاز به حنبعل وعرفت لدى المختصين باسم معركة التطويق[3].بعد الانتهاء من معركة كاناي وفي اليوم الموالي عمل ضباط حنبعل وعلى رأسهم ماهربال[4]بفكرة الانقضاض على روما والزحف نحوها،إلا أن حنبعل قابل الفكرة بالرفض[5].

قام حنبعل بإرسال أخوه ماغون لقرطاجة يناشدها مده بالرجال والعتاد...فاتخذ مجلس الشيوخ قرار مفاده تمكين ماغون من 4 ألاف فارس نوميدي و40فيلا ومساعدة مالية قدرت بـ 1500تالنت من الفضة ما يساوي 30ألف كلغ،وضف على ذلك تم تكليف قرتلون وخيملك من قبل مجلس الشيوخ بالتوجه لاسبانيا لتجنيد 20الف رجل من صنف المشاة و49الف فارس دعما للجيش القرطاجي في كل من إيطاليا واسبانيا، وربما يتساءل القارئ:من هو قرتلون و خيملك؟يذكر فنطر اناغلب الظن انه من ضباط الخيالة في جيش حنبعل وكلف بمراقبة وفد الأسرى إلى روما، أما خيملك يحمل اسما شائعا في قرطاج فليس من الغريب أن يكون ضابط من أنصار الكتلة المناهضة لحنون وجماعته لكنه كلف بمرافقة قرتلون في مهمته[6].ويذكر هارولد لام احتمالية أن يكون قرتلون رئيس شبكة الجوسسة والمخابرات بالجيش القرطاجي، حيث كان بعض ذوي الخبرة من الغاليين يطلعونه في أثناء مراقبته على التفاصيل

1-محمد بن عبد المومن،"حنبعل ومعركة كاناي 2اوت 216ق.م"،مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، المجلد 2،العدد1، 2015،ص76،77.

2- احمد السايح مرزوق، (حنبعل وانتصاراته الأربعة)،المرجع السابق،ص97.

3-محمد بن عبد المومن، المرجع السابق، ص77.

4-**ماهربال "Mahrbaal"**: قائد خيالة حنبعل أدى دور بارز في معركة كاناي وعقب الانتصار فيها اقترح أن يتقدموا إلى روما لكن حنبعل رفض ذلك.انظر: وريدة محمد علي المنقوش، المرجع السابق، ص186.

5-احمد السايح مرزوق، (حنبعل وانتصارته الأربعة)، المرجع السابق، ص97.

6-محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص184.

ويفسرون له الأوامر الصادرة بالبوق والنفير[1]،وكان هؤلاء الجواسيس من شبكة قرتلون جاءوا إلى حنبعل يسعونه سلعهم النادرة علانية ويهمسون في أذنه بالأنباء باللغة الفينيقية[2].

7-حصار كابوا:

سعى حنبعل لفتح نافذة تطل على البحر وتمكنه من ربط الصلة بقرطاج وسعى للسيطرة على بعض الموانئ الإيطالية قصد تأمين خطوط ربطه بالمتوسط شرقا وجنوبا فقام بمحاولة أولى مع مدينة نابولي لكنها باءت بالفشل، وذلك نتيجة لأسوارها المنيعة التي تستوجب عتادا نوعيا مختصا ووقتا طويلا، لذلك اتجه نحو الشمال قاصدا مدينة كابوا[3]اهم المدن الإيطالية بعد روما والمركز الصناعي الرئيسي بشبه الجزيرة الإيطالية[4]واكثر تعرضا للاضطهاد والنهب الروماني، وأقام حنبعل علاقات وشبكة جوسسة بهدف فصل الكمبانيين عن الفيدرالية الرومانية[5]والتي رحبت بحنبعل بدافع التخلص من ضغوط روما عليها ومنافساتها لها، وكان رد حنبعل بأنه سمح لكابوا بالاحتفاظ بنظام حكمها الخاص وعدم إجبار مواطنيها على الخدمة في جيشه[6]، وكأنه يحرض كابوا على روما قصد الالتفاف حوله.

أرسل حنبعل حامية تقيم في مدينة كابوا ثم دخلها في موكب مشهود، وما إن تم التحالف مع كابوا حتى شرع حنبعل في تدعيم حضوره في الأقاليم الجنوبية، وكانت مشاريعه تقوم على ازدواجية بين الدبلوماسية أحيانا واللجوء للقوة العسكرية أحيانا أخرى[7]، واتبع مصير كابوا معظم الجهات بالوسط والجنوب وانضم سكانها لحزب حنبعل ودخلوا تحت لوائه[8]، لذلك يمكن القول أن سياسة حنبعل التوسعية في شبه الجزيرة الإيطالية وعقب الإنتصار في معركة كاناي كانت خير معين في تفكيك وتهديم

1-هارولد لام، المرجع السابق، ص93.
2-نفسه، ص109.
3- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص187،186.
4-وريدة محمد علي المنقوش، المرجع السابق، ص190.
5-عبد العزيز بلخوجة، المرجع السابق، ص78.
6-وريدة محمد علي المنقوش، المرجع السابق، ص190،191.
7-محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص188،189.
8-احمد صفر، المرجع السابق، ص219.

الوحدة الإيطالية، وربما كان نجاحه حصارها يعود لتذمر الأهالي من السياسة الرومانية فضلا عن ذلك شبكة الجوسسة التي أقامها حنبعل منذ دخوله للمدينة ما ساعده على التحالف مع أهلها وضمها لولائه.

8-معركة موندا[1] 214ق.م:

اخذ الأخوين سكيبيو بالتقدم في اسبانيا ما فرض على "صدر بعل" الدفاع عن مكاسب القرطاجيين في شبه الجزيرة الابيرية عوض قيادة الجيوش القرطاجية إلى إيطاليا وبالتالي منع وصول الاحتياط الذي كان يعتمد عليه حنبعل أكثر في اسبانيا، في نفس الوقت أرسلت حكومة قرطاجة النجدات التي كان حنبعل قد طلبها[2]،فكيف تمكن حنبعل من إرسال طلب النجدة؟ أكيد عن طريق عملائه وجواسيسه في قرطاجة فسارعوا لإجابته، وراسل ماجون إلى اسبانيا وأحسن التفاعل مع تلك الأوضاع المتردية وتمكن من ترميم الجيش القرطاجي عن طريق استقطاب القبائل الابيرية التي شجعت شبابها على الإنخراط في صفوف ماغون، وكان الجيش القرطاجي معزز بفيالق من الغاليين يقوده أميران ميناسبتوس وفيسماروس[3]، وهنا تظهر نتائج تحالف قرطاجة والغاليين والعداوة التي يكنها هؤلاء لروما،أكيدأن انضمام غاليين مع خيرة القادة سيكون لصالح قرطاجة فضلا عن تعزيز الجيوش.

9-تحالف قرطاجة مع الملوك النوميد:

أظهرت أحداث الحرب البونية الثانية اهمية الدور الذي أدته المملكة النوميدية بشقيها الشرقي والغربي في الصراع القرطاجي الروماني،وأدرك الطرفان ضرورة حصولهما على دعم خارجي من أجل كسب الحرب، ووجه كل من هما أنظاره لكسب ود القوى القائمة في الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط ويقصد بها مملكة نوميدية الشرقية والغربية[4]، لذلك سعى أطراف الصراع للتحالف مع الملوك

1-**موندا** (**Monda**):في ضواحي قرطبة.انظر:محمد حسين فنطر،المرجع السابق، ص263.وهي بلدية تقع في مقاطعة مالقة التابعة لاندلوسيا جنوب اسبانيا .انظر :https://ar.wikipedia.org/wiki/(2024/26/23 على الساعة 12:36).

2-حسن بلعيد،المرجع السابق،ص76.

3-محمد حسين فنطر،المرجع السابق،ص263.

4-محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص91.

المحليين باعتبارهم جيران قرطاجة من جهة واشداء عسكريا من جهة أخرى، ووردت أقدم إشارة عن العلاقات بين الطرفين خلال الحرب البونية الثانية،بالتحديد منذ أن تحولت سياسة قرطاجة إلى الغرب المتوسطي في أطار إستراتيجيتها الجديدة عقب الحرب البونية الأولى، فقد أبدت قرطاجة ميلا إلى سيفاكس بحكم موقع مملكته من شبه الجزيرة الايبيرية التي كانت الجيوش القرطاجية تعسكر فيها استعدادا للحرب البونية الثانية[1]، ونستشهد بذلك فقد ذكر اصطيفان اكصيل قد زود الماسيسليون 219-218ق.م ببعض الجيوش[2]،وكان هذا الميل من مستلزمات الإستراتيجية القرطاجية[3]التي تهدف للحفاظ على استمرار الاتصال بجيوشها في اسبانيا عن طريق هذا الجار القوي وتأمين خط الرجعة أمام جيوشها وحماية ظهرها، بالإضافة إلى إمدادها من اقرب الطرق حيث أن هذه العملية لا تتم إلا عبر مملكة سيفاكس الممتدة من سيرتا الى واد ملوية،غير أن هذه الصداقة لم تدم طويلا فقد أشارت مصادر إلى حصول خلاف بين قرطاجة وسيفاكس مما أدى إلى وقوع شرخ بينهما وبذلك تحالف سيفاكس مع روما في 213ق.م.

جعلت قرطاجة تدعو قسما من جيوشها باسبانيا وربما حتى القائد صدربعل وسبب الخلاف هو انحياز قرطاجة إلى جانب الملك غايا ملك نوميديا الشرقية[4]،الذي أعلن الحرب فجأة على قرطاجة 220ق.م، وهي حرب لا تزال أسبابها مجهولة وكانت هجوماته على الأراضي القرطاجية ساحقة، وتمكن من احتياج مساحات واسعة من الأراضي الخصبة في منطقة "باجة" (vaga) وماجاورها من حوض مجردة الأعلى واصحب الوضع العسكري غير ملائم بالنسبة لقرطاجة لأنها مقبلة على خوض حرب كبرى ضد الرومان وليس في صالحها أن تتسع جبهة القتال لتشمل ضفتي الحوض الغربي للبحر المتوسط شمالا وجنوبا وخاصة أن الأوضاع لا تسمح بذلك، و ذلك تفاديا لمصاعب خطيرة قد تنتج

1-محمد البشير شنيتي،**الاحتلال الروماني لبلاد المغرب** (سياسة الرومنة 146ق.م-40م)، ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985، ص20،21.

2-اصطيفان اكصيل،المرجع السابق، ص163.

3-محمد البشير شنيتي،(الاحتلال الروماني لبلاد المغرب)،المرجع السابق، ص22.

4-حفيظة لعياضي،"قراءة في مؤتمر سيغا الدولي 206ق.م وانعكاساته على صراع حنبعل وروما"،مجلة البحوث التاريخية، مج5،العدد2،ديسمبر 2021،ص13.

عن مواصلة الهجومات النوميدية على أراضي قرطاجة أذعنت هذه الأخيرة لمطالب الملك غايا الإقليمية وأخذت تعمل على استمالته والتحالف معه[1]، وبقي غايا على وفائه لقرطاجة وزودها بالجيوش التي ذهبت لاسبانيا و قادها ابنه ماسينيسا[2].

وكرد فعل من سيفاكس على التصرف القرطاجي لأن قبائل الماسيل و المازيسيل كانت كثيرا ما تقع بينهم خلافات الجيران حول الحدود لذلك أعلن سيفاكس الحرب على قرطاجة وتحالف مع روما وطلب انظمام لها 213ق.م[3]، نستنتج من ذلك بأنه سعت قرطاجة لاستمالة الملك غايا وحاولت تصفية المشاكل الحدودية معه وذلك تجنبا لفتح عدة جبهات قتال في وقت واحد كونها كانت في حرب مع روما لذلك تحالفت مع غايا وأمنت منطقتها وحدودها داخل شمال إفريقيا فضلا عن ذلك أن غايا زود قرطاجة بالجيوش تحت قيادة ماسينيسا.

وتأرجحت العلاقات بين قرطاجة والملوك المحليين مرة أخرى وعملت قرطاجة على التقرب من سيفاكس ملك المازيسيل وعقدت تحالف مع سيفاكس،بعدما أدركت خطأها وعملت على استمالته عن طريق إطلاق يده لاحتلال نوميديا الشرقية فضلا عن عقد مصاهرة سياسية بتزويجه أميرة القرطاجية صفونيزبة[4] ابنة صدر بعل بن جيسكون[5]، وبذلك حاول سيفاكس حل النزاع بينها وبين روما عن طريق السلام وعقد المؤتمر لاجل السلام وسمي بمؤتمر سيغا 206ق.م[6]، وعلى الرغم من عدم نجاح مساعي المؤتمر الا انه اظهر أخيرا موقف سيفاكس من روما التي رفضت وضع حد للحرب وقررت النزول الى

1-محمد البشير شنيتي،(الاحتلال الروماني في بلاد المغرب)،المرجع السابق، ص22.انظر كذلك:حفيظة لعياضي،المرجع السابق، ص13.

2-اصطيفان اكصيل، المرجع السابق،ص167.انظر كذلك:حفيظة لعياضي، المرجع السابق، ص13.

3-حفيظة لعياضي،المرجع السابق، ص13،14.

4-**صفونيزبة**:ابنة القائد القرطاجي هصدروبعلجيسكون وهي تنتمي الى طبقة ارستقراطية بقرطاجة وقد كافأ القرطاجيونسيفاكس حاكم نوميديا الغربية على خدماته لهم بتزويجه من هذه الأميرة.انظر:وريدة محمد علي المنقوش، المرجع السابق، ص199.

5-نفسه،ص199.

6-احمد السايح مرزوق، (التحالفات العسكرية)،المرجع السابق،ص3.

شمال افريقيا فما كان من سيفاكس الا ان قرر الدفاع عن المنطقة والانظمام للقرطاجيين، في الوقت الذي اظهر فيه ماسينيسا العداء لها بسبب تدخلها في مسألة وراثة العرش.

10-معركة أليبيا 206ق.م:

بالعودة إلى اسبانيا لم يكن الوضع في أحسن حال فماجون شقيق حنبعل بمساعدة "اصدر بعل بن جيسكون" أعاد تنظيم القوات القرطاجية بعد المعركة بايكولا وأقام "اصدر بعل" حاميات في المواقع الحصينة ببينكا،أكيد أن الهدف من وضع الحاميات هو التجسس ومراقبة تحركات معسكرات العدو، قام ماغون بطلب مساعدات من قرطاجة فأرسل مجلس الشيوخ القرطاجي تعزيزات مع حنون الذي ذهب مع ماجون إلى ارض –الكلت-الابيريين لتجنيد المرتزقة[1]، ونطرح التساؤل بهذا الشأن لماذا طلب القائد القرطاجي تجنيد المرتزقة من الايبيريين دون غيرهم؟ لأنه على علم بالجيوش الايبيرية كونها محلية وبهذا ستحدث الفارق خلال الحرب.

11-قرطاجة بعد السهول الكبرى:

درست قرطاجة الوضع الجديد حيث نزلت قوات سكيبيو الى شمال افريقيا وخلصت الى ارسال وفد الى معسكر سكيبيو[2]، وعليه ممكن طرح مجموعة من التساؤلات حول هذا الموضوع: إلى ما تهدف قرطاجة من وراء إرسال هذا الوفد لمخيم سكبيو؟وان أرسلته للتفاوض مع سكبيو لماذا اختارت هذا الوقت بالضبط دون غيره؟ مع العلم أن الوفد كان هيئة الثلاثين التي تتمتع في مجلس الشيوخ بنفوذ واسع تؤهلها للقيام بمهام خطيرة، فربما إرسال قرطاجة لهذا الوفد يدخل ضمن العمل الجوسسي حول معسكر سكيبيو وما هي الأعمال التي يقوم بها خصوصا بعد وصولها نبأ بناء قاعدة رومانية في ضواحي قرطاجة فكانت بذلك للهيئة مهام استطلاعية واستكشافية لنقل أخبار أكثر عن سكبيو فاستقبل سكبيو أعضاء الوفد في خيمته وقيل أنهم بادروا بالتحية ساجدين يقبلون الأرض طبقا للتقاليد المشرقية وكان في خطاباتهم نبرة فيها الخشية وفيها الخضوع واظهروا بأنهم خاطئين وأنهم ارتكبوا هفوة عند هجوم

1-نوراهدى ورنوغي، (الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها)،المرجع السابق، ص92.

2-محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص412.

أسطول القرطاجي على الروماني وفي مرافعتهم حملوا حنبعل ومن يساندونه مسؤولية الحرب القائمة بين الدولتين مع السعي إلى التماس الأعذار لقرطاجة وطلب الغفران كما نوهوا بسخاء روما التي تفرض سلطانها على أعدائها دون سعي لإبادتهم وختموا خطابهم بأنهم مستعدين للعمل بأوامره، وبعد الانتهاء من المرافعة التي جمعت بين الاعتذار والتضرع أجابهمسكبيو، بأنه جاء الى إفريقيا وهو يأمل أن يعود محملا بأكاليل النصر لا راية السلم[1]، وبالرغم من ان الوفد حمّل حنبعل مسؤولية الحرب وحمل في خطابه مشاعر الاعتذار والخوف من روما الا أن هذه الأخيرة ادركت الهدف الحقيقي وراء ارسال هذا الوفد، فقد اعتبر مرقوس فاليريوس لايفينوس[2] من القناصل القدماء أن أعضاء الوفد القرطاجي جواسيس، بينما من الساسة الرومان من اعتبر حضور الوفد القرطاجي لإيطاليا هدفه المماطلة لتمكين حنبعل من ترتيب عودته لإفريقيا[3].

12-معركة زاما 202ق.م:

نزل حنبعل من إيطاليا في أواخر صيف 202ق.م، وتحصّن بالقرب من حضر موت وجعل قاعدته الخلفية غير بعيدة من قصور الصاف، لم يكن اختيار حنبعل لهذا الموقع عبثا فبعد ان تحركت جواسيسه لمعرفة المنطقة ومكان معسكر العدو كان اختيار ذلك المكان بغرض تسهيل تلقي المدد العسكري والمؤونة ونظرا لتأكد المواجهة سارع الطرفان لاستمالة الملوك وتحالف حنبعل مع ابن سيفاكس فرمينا (vermina)، واعتمد حنبعل إستراتيجية عسكرية جديدة تقوم على عنصر المفاجئة،كان مع حنبعل 50الف رجل وفرسان فرمينا إضافة إلى عدد كبير من الفيلة، نستنتج من ذلك رغم فقدان قرطاجة لحليفها سيفاكس إلا ان قواتها قد تعزّزت بابنه فرمينا وهو حفيد القرطاجيين الذي لم يكف عن دعمهم، وبدأت المعركة بهجوم فيلة حنبعل غير ان سكبيو كان قد تحظر جيدا للتخلص من خطر الفيلة

1-محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 413.

2-**مرقوس فاليريوس لايفينوس(Marcus Laveinus):**من رجال السياسة الذين شاركوا في الحياة السياسية والادراية في روما بين 215ق.م و203ق.م وشغل منصب القضاء ، وعين قنصلا 210ق.م وفي 205ق.م كلف بمهمة دبلوماسية لدى ملك برجاما ، انظر : نفسه ، ص695.

3-نفسه،ص417.

التي وقعت في فخ سكبيو، وعادت ادراجها على أصحابها وظلت المعركة سجال حتى عاد الخيالة بقيادة لاليلوس وماسينيسا وحسموها لصالح روما، وانتهت المعركة بخسارة قرطاجة وإبادة عدد كبير من الجنود[1].

III-الجوسسة النوميدية :

كانت نوميديا خلال الحرب البونية الثانية مقسمة إلى قسمين مملكتي الماسيل والمازاسيل وكان للملكتين مكانة هامة في شمال إفريقيا ما جعلها محط أنضار القوى المتصارعة[2]، ووردت أخبار عن المملكتين خلال الحرب البونية الثانية وذلك نتيجة الدور الفعال الذي لعبته في ترجيح كفة موازين القوى بين أطراف المتصارعة سواء من ناحية التحالفات العسكرية غايا مع القرطاجيين، سيفاكس مع روما وما لبث أن انقلبت الأطراف سيفاكس حليف قرطاجة وماسينيسا مع روما[3]، أو من ناحية الدعم الذي قدمته نوميديا لقرطاجة خلال حروبها في اسبانيا والجيوش المشاركة في الحرب تحالف بحكم الجوار، ما جعلها طرف في الصراع حتى وان كان من بعيد وما لبثت أن أصبحت متورطة في الحرب، ومسرحا للأحداث وذلك للتنظيم العسكري وقوة جيشها، خاصة وان هذا الأخير كان مزودا بفرق للجوسسة وتقصي الاخبار ونقلها، كما أن للحليف دورا هاما للملوك النوميد في الحرب الذي يقتضي توفير المعلومات عن العدو والدعم المادي والمعنوي، لذلك سأحاول ان اظهر دور الجوسسة النوميدية في هذه الحرب.

1-الجيش النوميدي:

ينقسم الجيش النوميدي الى جيش بحري وجيش بري أما الأول فقد تطور من قوارب للصيد الى سفن مزودة بالأشرعة وتجاوزت استعمالاتها أمور الصيد والنقل إلى الاستعمالات العسكرية وتستعمل السفن الحربية خصيصا لتحطيم سفن الأعداء او قلبها في الماء، وتكون مجهزة بكتلة حديدية على شكل سكة المحراث يطلق عليها رأس الكبش، وتقوم بمراقبة المياه الإقليمية للملكة وحماية سواحلها كما أدى

1-احمد السايح مرزوق، (التحالفات العسكرية)، المرجع السابق،ص6،7.

2-نفسه، ص1.

3- محمد بولخلوخ ، المرجع السابق،ص 3.

الجيش النوميدي دورا كبيرا في حماية السفن التجارية من خطر القراصنة، وجاء في المصادر الأدبية أن الملك ماسنيسا قد أولى عناية كبيرة بالجيش البحري على الجيش البري منذ استرجاع العديد من المدن الساحلية من قرطاجة: هيبو،روسيكادا، صلداي، شولو...ومن ثم استخدام موانئها التي تمتد من نهر الملوية غربا حتى طبرقة شرقا،أما الجيش البري فيمثل القوة الأساسية التي تعتمد عليها المملكة، وقد نال اهتمام الملوك فعملوا على تقويته وتدريبه وتسليحه وتولوا قيادته، وقد أشارت معظم المصادر القديمة الى ذلك نظرا للمعارك العديدة التي خاضها والأحداث التي ساهم في تحديد مسارها ومآثره في الدفاع العسكري عن المملكة من جهة والدعم الذي تفرضه التحالفات العسكرية من جهة أخرى، ونجده مع احد أطراف الصراع خلال الصراعات الدولية التي عرفها العالم القديم على سبيل المثال الحروب البونية[1]، ويتشكل الجيش البري الذي يعتبر عصب المؤسسة العسكرية أثناء خوض المعارك والمواجهات المباشرة من التشكيلات التالية:

أ.المشاة:

ذكرت المصادر الأدبية بان القرطاجيين جندوا 1800جندي من المشاة النوميديين الماسيل والمازيسيل،والملك سيفاكس كلف قائده بوكار بمطاردة ماسينيسا بجيش قوامه 4الاف من المشاة والفي فارس، وفي معركة السهول الكبرى كان حوالي 50الفا من المشاة،ويصنف المشاة إلى خفيفة وثقيلة، تمتاز الأولى منها بالاحترافية في استخدام أسلحة الرمي الخفيفة كالرماح والنبال والمقاليع وبالسرعة والحيوية والتنسيق الحربي مع الفرسان في المناورات العسكرية، ويختلط المشاة النوميديين بالفرسان الذين يتقدمون بالهجوم ثم يتراجعوا كعادتهم مع أسلوبي الكر والفر أما المشاة الثقيلة فتستعمل أنواعا متعددة من الأسلحة (سيوف،رماح،تروس) ويبدوا أن هذا النوع لم يكن مألوفا في الجيش النوميدي ورد عن سيفاكس انه طلب مساعدة رومانية من اجل تكوين فرق من هذا التنظيم لتدعيم جيشه على الطراز الروماني[2].

1-محمد بلخلوخ،المرجع السابق، ص45،46.

2-نفسه ،ص51،52.

ب-**الفرسان:**

يتضح دور الخيالة النوميدية في المجال العسكري من خلال كتابات المؤرخين، والمؤكدأن النوميديين استطاعوا أن يجمعوا عدد كبير من فرق الخيالة خلال الحروب، ويذكر تيت ليف نقلا عن بلعيبود أن سيفاكس التحق بالقرطاجيين سنة 204ق.م على رأس 50الف من المشاة و10الاف من الفرسان،وقد احتل الحصان مكانة كبيرة في الحياة العامة للنوميديين واستخدامه في السلم والحرب واعترف لهم بأنهم من أحسن الفرسان...[1]، ويرجع مونتسكيو تفوق القائد حنبعل في الحرب البونية الثانية في قوله:"حقق حنبعل اكبر انتصاراته بواسطة حلفائه فرسان نوميديا"، فانتزع سكبيو الورقة الرابحة من حنبعل واستولى على جل اسبانيا وتحالف مع ماسينيسا وكان الفوز في معركة زاما التي أنهت الحرب بفضل فرسان الملك[2].

ج-السواس (مدرب الفيلة):

استخدم النوميد الفيلة في العديد من المعارك وهذا ما دلت عليه الآثار المادية من المسكوكات النوميدية خاصة في عهد ماسينيسا[3]،يوغرطة[4]،يوبا الأول[5]، وذكر اصطيفان اكصيل بأنهم استخدموا الفيلة في معارك السهول على غرار القرطاجيين،ومن المعتاد أن هذه الفيلة لا تحمل سوى موجه واحد

1-بدر الدين بلعيبود، "الفارس النوميدي من خلال المصادر الاثرية "، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،مج 8،العدد2،جوان 2022،ص662،663.

2-مونتسكيو،**تأملات في تاريخ الرومان**أسباب النهوض والانحطاط،تر:عبد الله العروي،المركز الثقافي العربي،المغرب،2011 ، ص47.

3-محمد بولخلوخ،المرجع السابق،ص59

4-**يوغرطة** (**Gugutha**) :يعني اسمه القوة وهو ابن مصطنبعل عندما توفي والده كلفه عمه ميكيبسا وكان يتمتع بذكاء كبير حارب الرومان **وانتصر في معركة سيتول المشهورة تاريخيا في الفترة الممتدة مابين 110-109ق.م** ، ولقي حتفه شنقا في الساحة العامة لمدينة روما .انظر: محمد الصغير غانم ،(سيرتا النوميدية)، المرجع السابق، ص66.

5-.**يوبا الأول**(**Guba 1**):هو اخر الملوك النوميديين الإقليميين ، انضم الى الرومان في معركة تابسوس 46ق.م وبعد هزيمة حلفائه من قبل القيصريين ، انسحب وعاد الى زاما واغلق سكان في وجهه الأبواب ما دفعه الى الانتحار امام اسوارها .انظر:نفسه ،ص68.

وكانت مكلفة بمهمة إيقاع أكثر ما يمكن من الضرر بالعدو،أما عادة تحميلها بروجا فيها محاربون فهي أكثر استعمالا عند ملوك الأهالي[1].

وكان للجيش النوميدي مهمات تكلف حسب التخصصات، ومن بينها نذكر: الحرس الملكي، حراسة المدن، إدارة المعارك،الجواسيس والاستعلامات والتي سأفصل فيها كالأتي:يؤدي الجواسيس دورا بارزا في المنظومة العسكرية وغالبا ماترجح كفة الانتصار لطرف على حساب طرف آخر بفضل المعلومات الهامة التي يقدمونها للقادة العسكريين التي تسمح لهؤلاء القادة بوضع الخطط والاستراتجيات الحربية وتنفيذ مناوراتهم العسكرية، لذا يمكن القول أن الجواسيس هم الذين يديرون الحروب الخفية والمعارك السرية[2]. ويقول سون تزوا (551-496ق.م): "أن الحاكم المتنور والقائد الحكيم هما من يستخدمان أفضل المعلومات الاستخبارية العسكرية لأغراض التجسس،وبذلك يحققان النتائج العظيمة والجواسيس هم أكثر العناصر أهمية لأن لهم قدرة الجيش على رؤية العدو وفهمه ومن ثم الاستعداد له ، كما أن الإفراط في الاعتماد على الجواسيس قد يؤدي لأثر عكسي لذا يجب الموازنة بين جميع العناصر الاستخبارية والمعلوماتية[3].

بفضل الجواسيس تمكن القائد سكبيو الإفريقي وماسينيسا من دحر الجيش القرطاجي النوميدي بقيادة "اصدر بعل" والملك سيفاكس، هؤلاء الجواسيس الذين تم إرسالهم لإجراء محادثات التفاوض خلال شتاء 204ق.م واخبروهم بان معسكرات الأعداء مبنية من الخشب واستغلا الفرصة و قام بإضرم النار فيها[4]، وبذلك يمكن القول ان النوميد كانوا مؤسسة عسكرية في غاية التنظيم والتطور استعملوا أساليب القتل وفنون الحرب لذلك برعوا في ذلك، وربما يعود الفضل لاحتكاكهم بالقرطاجيين

1-اصطيفان اكصيل،**تاريخ شمال إفريقيا القديم** الممالك الأهلية نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي،تر:محمد التازي سعود، ج5،مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية،المغرب،2007،ص132،133.

2-محمد بولخلوخ،المرجع السابق،ص68،69.

3-سون اتزو،**فن الحرب**،تر: أحمد ناصيف، دار الكتاب العربي،دمشق،2010،ص166.

4-محمد بلخلوخ،المرجع السابق، ص72،73.

ومشاركتهم في الحروب البونية، هذا ما جعلهم قوة عسكرية تضاهي دول العالم القديم، وبالتالي ذاع صيتهم ما جعلهم طرف من أطراف الحرب.

2-مساهمة النوميدالعسكرية في الحرب البونية الثانية:

تعود أولى مشاركات النوميد في الحرب البونية الثانية استعان بهم حنبعل خلال حروبه ضد روما في الجبهة الأوروبية، وكان له هيئة أركان جيش تتكون من "هانو بن هاميلكار"و"ماهربال" البربري قائد سلاح الفرسان النوميديين، وقد سار حنبعل على رأس جيش يتكون من 90الف ليبي وايبيري و12الف فارس وعددا من الفيلة وشق طريقه بالسيف والترغيب والترهيب...[1].

أ-معركة تسكينيوس:

كانت معركة تسينو اول معركة خاضها حنبعل في الجبهة الأوروبية ولعب فيها الفرسان النوميديين دورا حاسما، خاصة عندما طوّقوا من الخلف كتائب الرومان الثقيلة، بحيث لم تصمد رماحهم الطويلة امام حراب النوميديين القصيرة والخفيفة والنافذة، وسقط القنصل بايوس قائد الجيش تحت اقدام خيل هؤلاء الفرسان حيث وصفوا بسرعة الكر والفر[2]، وذلك يعتبر من أنواع الفنون العسكرية،وقد مارس الجنود النوميد هذا الأسلوب واعتمدوا على طريقة فريدة من نوعها وهي اختلاط المشاة بالفرسان في نسق عجيب قصد التعاون فيما بينهم[3].

ب-معركة تريبيا 218ق.م:

وجهت روما جيشا ثاني لمسح هزيمة تسينو فاختار حنبعل سهل يغمره الفيضان و اوحلت تربته وامر حنبعل 500من خيرة فرسانه النوميديين بالتوجه ليلا لمعسكر العدو لإلتحام مع العدو في المعركة ثم يولوا هاربين باتجاه السهل الضحل اين الكمين، ووقع القائد الروماني في الفخ المنصوب وهزم شر

1-زكرياء جودي،"النوميديون والحرب البونية (264-146ق.م)"،مجلة الدراسات التاريخية العسكرية،المركز الوطني للدراسات التاريخية العسكرية ، مج 2، العدد 1،جانفي 2020،ص13.

2-نفسه ،ص13.

3-محمد بوخلوخ،المرجع السابق، ص145.

هزيمة وذكر بوليب نقلا عن جودي دور النوميد في ربح المعركة وترجيح جانب القرطاجيين الذين التفوا حول الرومان ما أدى بسقوط القائد الروماني قتيلا في ميدان المعركة مع القنصلين، ومتابعة النوميد للخيالة الرومان التي انسحبت من ميدان المعركة[1]، وبفضل النوميديين في هذه المعركة تحالف حنبعل مع شعب الغال، وانضم له في الشهرين التاليين 14الف من مقاتليهم الأقوياء[2].

ج-معركة ترازامين217ق.م:

كان لفرسان نوميديا دوراً مهما في معركة ترازامين وذكر بأن حنبعل قرر أن يقود القنصل لضفاف بحيرة ترازمين التي لاحظ فرسان ماهربال أنها تشكل المكان الملائم لاقامة كمين مماثل نصبوه في تريبيا وأمر حنبعل الفرسان بالتمركز على ضفاف البحيرة، ونظرا لضباب الكثيف الذي يغطيها سد المدخل شاطئ البحيرة لايقاع فلامينوس في فخ حنبعل،وفي 11من شهر يوليو 217ق.م تقدم فلامينوس نحو بحيرة ترازامين تحت رقابة الفرسان النوميديين الذين كانوا يسيطروا على المرتفعات التي تشرف على المكان الذي يمر فيه الرومان ومن خلال الضباب هاجم جزء من الفرسان النوميديون كالصاعقة جيش فلامينوس وأطبقت الجيوش على كتائب الرومان من كل جهة ولم يعد هناك مجال للهروب[3].

هـ-معركة كاناي216ق.م:

يكمن دور النوميد خلال معركة كاناي في انهم شغلوا جناح الفرسان المتحالفة بطريقتهم المعتادة في الكر والفر وهم يلقون المزاريق من جديد بكلتا اليدين ويركضون على خيولهم السريعة أو العدو بأرجلهم[4]،ومن اجل خداع القنصلان وجلبهم للسهل أرسل حنبعل الفرسان النوميديين خفيفي العدة في شن غارة خاطفة على قوات روما والتي تمكنت من صدها بنجاح، وتراجع الفرسان النوميديين

1-زكرياء جودي،المرجع السابق،ص13.

2- مولود نفاري ومحمد كاكي،"الفرسان النوميديون ودورهم العسكري في حملة حنبعل على إيطاليا"،مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج5 ،العدد2، جويلية 2021 ،ص32.

3-نفسه ، ص33.

4-هارولدلام، المرجع السابق، ص143.

متظاهرين بالهزيمة وقرر القنصلان مطاردتهم ، بعد ذلك انسحب القائد النوميدي ماهربال عبر نهر الاوفيدوس هاربا وجيشا القنصلين يتعقبانه و أدرجهم إلى سهل كاناي المكشوف وبهذا تمكن حنبعل بفضل الخيالة النوميد بجلب الجيش الروماني الى سهل كاناي لخوض المعركة الحاسمة مع روما منفذا وصية أبيه"دع الأرض تقاتل عنك"[1].

3-التحالفات النوميدية:

تعد سياسة التحالفات واحدة من شروط الانتصار في الحروب والصراعات والتي بإمكانها ترجيح كفة طرف من أطراف الصراع وهذا ماحدث في شمال إفريقيا نظرا لوجود الممالك النوميدية المحلية التي سعت كل من روما وقرطاجة لاستمالتها وسعى الطرفين لاستدراجها فكانت الماسيل بقيادة ماسينيسا والمازيسيل بقيادة سيفاكس في حين عمل ملوك نوميديا على استغلال التوازن بين قرطاجة وروما للحفاظ على استقلال بلادهم وطلب الملك سيفاكس من سكبيو التفاوض وأراد استرجاع دوره كمصلح بين قرطاجة وروما[2] .

وهو ما تمثل في مؤتمر سيغا الدولي 206ق.م وكان النوميد بمثابة الورقة الرابحة للطرفين وذلك بحكم انهم السكان المحليين في المنطقة واعلم بخفاياها لذلك سعى كل من اطراف الصراع (روما – قرطاجة)لاستغلال هذا الطرف للضغط على الطرف الاخر و التحالف معه، وبالتالي يكون من نتائج التحالف تقديم المساعدات المادية فضلا عن ذلك تزويدهم بالمعدات وحتى الجواسيس .

أ-مؤتمر سيغا الدولي 206ق.م:

يعد مؤتمر سيغا أول مؤتمر دولي شهده أواخر القرن 3ق.م حول تقرير مصير الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في سيغا عاصمة مملكة المازيسيل ويرجع الفضل لسيفاكس بفضل حنكته السياسية ومكانته أن يجمع بين دولتين مثل روما وقرطاجة، حيث حاول أن يصل إلى حقن للدماء وانهاء الحرب بأقل الخسائر، وكان لابد له أن يكون ملما بما يجري في الحوض الغربي للبحر الأبيض ثم

1-مولود نفاري ومحمد كاكي،المرجع السابق، ص34.

2-زكرياء جودي، المرجع السابق، ص14.

يتصرف بعد ذلك وفقا للمنظور المبني على معطيات سياسية وعسكرية متوفرة في المنطقة سواء بالنسبة للحاضر أو المستقبل معتبرا نشوب الحرب في إفريقيا بمثابة الكارثة التي ستضرب مستقبلها،ربما انه تنبأ بخطر نزول روما بالمنطقة وهذا يدل على جوسسة ربما وصله خبر أن روما بصدد التحضير لحملة على إفريقيا عن طريق جواسيسه، وبهذا أصبح في نظره أن امن شمال إفريقيا مهددا وان الممالك النوميدية ستدفع ثمن الاصطدام العسكري بين قرطاجة وروما على ارض إفريقيا عاجلا أم آجلا[1].

حاول سيفاكس القيام بمساعي الوساطة بين روما وقرطاجة لإيقاف الحرب وتسوية النزاع بالطرق السلمية وتذكر المصادر انه تمكن من عقد لقاء في عاصمته الغربية سيغا (على وادي التافنة—غربي وهران)بين قيادة الجيوش الطرفين المتحاربين في اسبانيا (سكبيو-صدربعل) وأظهرت المصادر الدور الدبلوماسي البارز الذي قام به سيفاكس بين الطرفين من ذلك معاملة ضيوفه على المساواة كما دعاهم لتناول الطعام على مائدته وحاول إجلاس القائدين إلى جانب بعضهما البعض لإزالة الحرج بينهما وصرح القائد الروماني انه لا يكن عداوة شخصية لصدر بعل ولكنه خول من مجلس الشيوخ الروماني في هذا الشأن وضمن سيفاكس سلامة الوفد الروماني وعودته لاسبانيا آمنا[2]، وكان لنتائج المؤتمر على ساحة الصراع في شمال إفريقيا بعد نقل الرومان الحرب إليها، وتلى المؤتمر لقاء ثاني بين اصدر بعل جيسكون وسيفاكس حول دراستهما لنتائج المؤتمر حول تقرير مصير الصراع التقليدي بين الطرفين، وكذا بداية تحركات ماسينيسا بعد وفاة والده غايا محاولا الوصول للعرش ماجعله يتحالف مع روما وأدت كل تلك المعطيات إلى إمضاء اتفاقية بين سيفاكس وقرطاجة التزم فيها سيفاكس بأنه سيحارب إلى جانب القرطاجيين في حالة مهاجمة الرومان لشمال إفريقيا[3]، وبهذا تخلت قرطاجة عن ماسينيسا،ماجعله يجتاح إقليم قرطاجة بعد نزول القوات الرومانية الى شمال إفريقيا ويتحالف مع روما ضد سيفاكس وقرطاجة.

1-حفيظة لعياضي،المرجع السابق، ص16.

2-محمد البشير شنيتي،**دراسات في التاريخ والآثار القديمة** بالجزائر وبلاد المغرب،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع،الجزائر،2017،صص158-160.

3-حفيظة لعياضي،المرجع السابق،ص17.

ب-تحالف ماسينيسا مع روما:

يرى الدكتور محمد البشير شنيتيأن تقدير ماسينيسا للموقف العسكري في اسبانيا كان صائبا بحكم مشاركته الميدانية في القتال،وتأكد له أن القرطاجيين خاسرون الحرب لا محالة ولما وصلته أخبار وفاة والده وما آل إليه أمر المملكة قرر إجراء اتصالات سرية بالقائد الروماني سكبيو بمقر قيادة القنصل بـ"تراغونا" بعد عودته من لقاء سيغا، واتفق معه على الدور المنتظر وان يبقى الأمر في طي الكتمان[1]، فماسينيسا حالف سكبيو بسبب العرش فبوفاة غايا لم يخلفه ماسينيسا وإنما آل العرش إلى عم ماسينيسا "اوزلاكان"وذلك وفقا للعرف النوميدي لكن هذا الاخير توفي بعد فترة قصيرة وخلفه ابنه كابوسا الذي أطاح به المازيسيل واستولى على العرش وأسنده إلى شاب لكومازن محتفظا لنفسه بالوصاية وكان الأخير اصغر سنا من ماسينيسا، كان من المفترض أن يؤول العرش لماسينيسا الذي كان يحارب إلى جانب قرطاجة في اسبانيا على رأس فرقة عسكرية،وعندما علم ماسينيسا بذلك واتضح ان للقرطاجيين وسيفاكس يدا في الأمر انقلب ضد قرطاجة وسعى للتحالف مع روما[2]، وكان للظروف المحلية والدولية دور في تحالف ماسينيسا مع روما فكلتا الدولتين دخيلتين عن المنطقة، ويهدفان للتوسع بها، وكان هدف ارتباطه من روما هو التخلص من قرطاجة واسترجاع أراضي أجداده[3].

4-دور النوميد في جبهة إفريقيا:

نزل سكبيو في ضواحي اوتيكا 204ق.م في حين كان حنبعل يحقق انتصارات ميدانية على روما، حاول سكبيو في استراتيجية نقل الحرب إلى الأراضي القرطاجية بهدف تخفيف الضغط على روما المفروض من طرف حنبعل وقاد سكبيو حملة على افريقيا وكان لماسينيسا دور محوري في فكرة نقل الحرب تعود لماسينيسا عند لقائه بسكبيو في اسبانيا حيث اقترح ماسينيسا نقل الحرب لافريقيا بهدف مغادرة واضطر حنبعل للأراضي الإيطالية، كما أن نزول القوات الرومانية في اوتيكا مع مقاتلين وكأنها شعرت

1-محمد البشير شنيتي،(دراسات في التاريخ والآثار القديمة)،المرجع السابق،ص160.

2-زكرياء جودي، المرجع السابق،ص15.

3-تفسه ، 15،14.

بالغربة إلى لحظة وصول ماسينيسا على رأس فرقة ، وكان لهم اثر فعال في رفع معنويات الرومان، (يعتبر حليف قوي وعلى علم بالمنطقة كونه من المحليين ما يجعل روما تسعد لذلك).

في أول مواجهة رومانية ضد الجيش القرطاجي بقيادة سيفاكس و"صدر بعل" استعمل سكيبيو حيلة إضرام النار في معسكر قرطاجة وكلف ماسينيسا بهذه المهمة،أكمل سكيبيو وماسينيسا طريقهم بعد انتصار محقق على القرطاجيين في سبيل تعقب سيفاكس وكان النصر حليف ماسينيسا الذي أكمل طريقه نحو سيرتا على أعقاب سيفاكس. وكانت نهاية سيفاكس حليف قرطاجة واخذ أسيرا بعد سقوطه من جواده إلى ماسينيسا ثم إلى لايليوس 202ق.م وبهذا تمكن ماسينيسا من الجلوس على عرش نوميديا بشقيه الشرقي والغربي، وبالمقابل حاول سكيبيو استدراج حنبعل من خلال حملته على افريقيا بهدف تخفيف الضغط على روما المحاصرة من قبل حنبعل فقدم حنبعل لإفريقيا بعد الهزائم التي تكبدها القرطاجيون وعدم قدرتهم على وقف الزحف الروماني في إفريقيا أول ماقام به هو استمالة القبائل البربرية وقام فرمينا بجلب كتيبة من السكان وضمهم لحنبعل وقرروا الحضور لزاما.

فقام بإرسال جواسيس للتجسس على المعسكر الروماني غير ان الرومان ألقوا القبض عليهم وعاملوهم معاملة حسنة وتركوهم يشاهدون في المعسكر قوة الجيش الروماني،أما ماسينيسا فقد حضر في نفس اليوم بستة الاف رجل من الخيالة وحوالي 4 الاف حصان[1].

أ-معركة زاما:

انهزم القائد القرطاجي حنبعل نتيجة تفوق سكيبيو ويعود الفضل للمساعدات التي قدمها ماسينيسا،حيث سارع سكيبيو للاستنجاد به وكان حريصا على إبلاغه بكل خططه قبل تنفيذها وبوصول ماسينيسا وتحرك سكيبيو وعسكر قرب نارافارا القريبة من معسكر حنبعل،التحق ماسينيسا بسكيبيو وخلفه جماعة ضخمة من الفرسان النوميد وبلغ عددها 6الاف فارس، وهكذا شاءت الأقدار انه بهؤلاء الفرسان النوميد كسب حنبعل الكثير من المعارك في إيطاليا لدرجة انه عندما طلب النجدة من قرطاجة طلب إرسال هؤلاء الفرسان، وعندما شاءت الظروف تسبب في هزيمته هؤلاء الفرسان بعد

1-زكرياء جودي،المرجع السابق، ص15،16.

الهزيمة في المعركة اضطرت قرطاجة لعقد معاهدة مع روما وفرضت على إثرها شروط قاسية ومن الشروط المفروضة التي كانت في صالح النوميد البند الذي يقضي بحق ماسينيسا في استرداد ممتلكات أسلافه، وبأنه لا يحق لقرطاجة إعلان الحرب في إفريقيا أو خارجها إلا بإذن روما[1].

نستنتج مما سبق ذكره أن للنوميد دور هام في الصراع من خلال ترجيح كفة الميزان بين القوى المتصارعة وكان للتحالفات اثر في العلاقات بين الطرفين وحاولت كل من القوى المتصارعة (قرطاجة،روما) استمالة الملوك المحليين وذلك للاستفادة منهم ومن خبراتهم العسكرية وخصوصا بعد مشاركتهم في الجبهة الأوروبية في اسبانيا بجانب قرطاجة، حيث اظهروا براعتهم وقتالهم ومدى خفتهم مما جعلهم محط أنضار كل من قرطاجة وروما لكسب ودهم نتيجة لما تميزوا به، وفي الأخير يمكن القول ان الحروب البونية أظهرت شخصيات تميزت بعبقريتها وحنكتها السياسية، وهذا ما أرعب روما فعلى سبيل المثال حنبعل الذي استطاع التغلب على المصاعب باستراتيجية حربية.

لعب ماسينيسا وسيفاكس دورا هاما خلال الحرب البونية الثانية وذلك لتحالفهم مع أطراف الصراع ما رجّح كفة موازين القوى لصالح قرطاجة تارة ولصالح روما تارة اخرى،فقد تحالف ماسينيسا مع روما التي استغلته لصالحها، وما لبثت حتى وطأت أقدامها شمال إفريقيا،وكان لسيفاكس دور هام وذلك من خلال محاولاته لجمع أطراف النزاع وإيجاد حل سلمي للحرب عن طريق إقامته للمؤتمر الشهير وهو مؤتمر سيغا.

كان للفرسان النوميديين دور كبير في تمكين جيش حنبعل من الإجتياز البطولي للألب وجبال البيرني ومكنوا من هزيمة سكبيو وكان لهم دور عظيم خلال الحرب البونية الثانية على الجبهتين القرطاجية والرومانية، كما استفاد الجيش النوميدي من الصراعات الدولية وخصوصا حوض البحر الأبيض المتوسط ومشاركتهم في الحروب البونية، وكان للفيلة دور هام في الجيش القرطاجي فبفضلها حققوا انتصارات عديدة على الرومان إلى أن أدرك الرومان دورهم فعملوا على إحباطهم حتى تمكنوا من هزيمة قرطاجة.

1-زكرياء جودي ، المرجع السابق ، ص17.

الفصل الثالث:الجوسسة خلال الحرب البونية الثالثة (149-146 ق.م)

I- الجوسسة الرومانية

II- الجوسسةالقرطاجية

III- الجوسسةالنوميدية

انتهت الحرب البونية الثانية بمعاهدة وكان لزاما على قرطاجة أن تقف على بنود المعاهدة ولا تمس بأي بند من بنودها وإلا ستكون معتدية ومخالفة[1]،إضافة إلى ذلك أن قرطاجة خرجت منهكة القوى وذلك جراء الحرب العنيفة وأجبرت على التخلي على اسبانيا بلاد معادن الفضة وتركها لروما، وبذلك لم يبق لها حينئذ إلا ما تملكه بإفريقيا من البحر الأبيض المتوسط إلى حدود مملكة ماسينيسا التي أصبحت تمتد إلى واد الملوية[2].

استغلت روما ذلك وفرضت سيادتها الكاملة على اسبانيا وراحت في نفس الوقت لبسط سيطرتها وسلطانها على بلاد الإغريق المضطربة وغزت آسيا الصغرى وهزمت انطوخيوس الثالث[3]الملك السلوقي في ميجنسيا 190ق.م في ليديا،ثم جاء دور برجام ومعظم الولايات في آسيا الصغرى فحولتها روما إلى حلفائها أو دول تحت حمايتها. استغل ماسينيسا حليف روما بنود المعاهدة والشرط الجائر الذي يقضي بتقييد حرية قرطاجة العسكرية[4]،وكان هذا البند من أقسى بنود المعاهدة وهو ما يعد نوعا من الوصاية على قرطاجة وفقدانا لاستقلالها في واقع الأمر[5]، وبألا تشن حربا داخل أو خارج إفريقيا إلا بإذن روما وسار في توسيع رقعة بلاده على حساب جارته المهزومة قرطاجة وكثيرا ما هاجم الأراضي القرطاجية بهذه الدعوى[6].

I-الجوسسة الرومانية :

عاد انتعاش قرطاجة من جديد وتحسنت أحوالها الاقتصادية بعد 10سنوات فقط من إبرام معاهدة زاما حتى أنها عرضت على روما قبل اشتباكها في حرب ضد انطوخيوس الثالث 191ق.م أن

1-إبراهيم نصحي،المرجع السابق، ص336.

2-احمد صفر،المرجع السابق،ص235.

3-**انطوخيوس الثالث**:(**Antlochos**) (223-187ق.م)ملك سورية من السلالة السلوقية شقيق سلوقس الثالث وخليفته.وطد ملكه في آسيا الغربية بتصديه للتمردات الحاصلة في سوس واسيا الصغرى ...انظر:هنري س.عبود،المرجع السابق ،ص 140،141.

4-محمد بيومي مهران،المرجع السابق،ص280.

5-محمدالسيد عبد الغني،المرجع السابق،ص472.

6-محمد بيومي مهران،المرجع السابق،ص280.

تدفع لها مسبقا وعلى دفعة واحدة بقية الغرامة الحربية[1]، لكن روما رفضت حتى تظل قرطاجة مدينة للرومان وهو ما يدل بجلاء على رخاء ويسر قرطاجة، في حين أن روما رفضت عام 199ق.م أن تستلم من قرطاجة قسط التعويضات عن ذلك العام لأن العملة المقدمة من القرطاجيين كانت مغشوشة ومقدار الفضة فيها ضئيل[2]، وعرضت على روما أن تعينها بأسطول بحري لكن روما رفضت ذلك حتى لا تفتح لقرطاجة باب صنع السفن من جديد، ويتعسر مراقبتها على روما فرفضت خوفا من العواقب التي سيجرها لهم[3].

1.سبب الحرب البونية الثالثة:

كان لروما دور كبير خلال الحرب البونية الثالثة وتمكنت من حسم الصراع وخاصة بتوقيعها لمعاهدة زاما التي كانت بداية لنهاية قرطاجة حيث أنها أفتكت من أيدي القرطاجيين أسلحتهم وأفيالهم وكبلتهم المعاهدة ببنود فرضت عليهم عدم الدخول في حروب خارج إفريقيا حتى وان كان من باب الدفاع،أما الحروب داخل إفريقيا فلا يجوز لهم إلا بعد الحصول على موافقة السلطات الرومانية،فضلا عن ذلك خسرت قرطاجة ممتلكاتها في اسبانيا فأصبحت قرطاجنة ملكا لروما التي باتت تستأثر بمناجم الفضة ومختلف المعادن الأخرى التي كانت تستأثر بها قرطاجة، وبالإضافة إلى تلك الخسائر يرى المؤرخون أن قرطاج أصبحت لا تستطيع الوصول إلى مناجم القصدير وأقصيت عن مناجم الذهب التي تعرف عليها الأميرال حنون بل انعدم وجود قرطاجة في مناجم وأسواق تلك المعادن الثمينة[4].

نستنتج من خلال ماذكر حول الشروط المفروضة أن روما حاولت جاهدة تجريد قرطاجة من كل حقوقها وكأنها حاولت منعها من أي شيء ممكن أن يكون مستقبلا ضد مصلحة روما وقص جناحيها وفرضت عليها الشروط تعجيزية وجردتها من حقوقها،يشير الكاتب إلى أن هذه الشروط زرعت

1-احمد صفر،المرجع السابق، ص237.

2-محمد السيد عبد الغني،المرجع السابق،ص473.

3-احمد صفر،المرجع السابق، ص237.

4-محمد حسين فنطر،المرجع السابق،ص505.

بذور الحقد الذي ينذر بقيام حرب أخرى بين الطرفين، فبالرغم من أن إفريقيا بقيت في أيدي القرطاجيين إلا أن وسائل الدفاع انتزعت منها بإحراق روما ل500 من سفنها.

ويتضح من استعراض بنود المعاهدة مدى الحقد الذي تكنه روما لغريمتها قرطاجة والعمل على إضعافها اقتصاديا وعسكريا بحرمانها من مصادر قوتها العسكرية خاصة تحطيم سفنها البحرية، وبالتالي إضعاف تجارتها في المتوسط التي طالما كانت مصدرا للهيمنة والقوة كما أن البندين اللذين يقضي بمنعها من إعلان الحرب دون إذن من روما وفتح المجال لماسينيسا بالتوسع على حسابها دليل على خبث روما الذي يرمي بإقحامها في الحرب، وذلك بهدف إضعاف الجانبين ثم الإغارة على قرطاجة بدافع إخلالها وخرقها لبنود المعاهدة،وكأن الرومان خططوا لأحداث النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد نظرا لأحداث ومجريات الحرب التي كانت لصالح روما وبالظروف المواتية وبامتياز[1].

2-السفارة الرومانية في قرطاجة:

حاول بعول قرطاج التآمر وحياكة الدسائس حتى قرر مجلس الشيوخ الروماني التدخل في شؤون قرطاجة مع نية الإطاحة بحنبعل وتصفيته إن لزم الأمر معتبرين أن ما يحدث في قرطاجة خطر ويهدد السلم،وبحلول صيف 195ق.م أرسلت روما وفدا لقرطاجة مدعية انه مكلف بتوفير أسباب المصالحة بين قرطاجة والملك النوميدي ماسينيسا ومساعدة الجهتين على ضبط النفس والاهتداء إلى حلول سلمية تراعي حقوق الجانبين وكان الوفد الروماني مكون من ثلاث شخصيات مرموقة وهم: قنيوس سرفيليو سقيبيو (قنصل 203ق.م)[2]، ومرقوس كلاوديوس مرقلوس (قنصل 195ق.م)، وأخيرا مرقوس

1-احمد سايح مرزوق ونور الدين شعباني،المرجعالسابق،ص 292،293.

2-**قنيوس سرفيليو سقيبيو(ServiliusCaepio)**:من رجال السياسة في روما خلال العقد الأخير من القرن 3ق.م انتخب رئيسا للكهنوت سنة 213ق.م وتولى خطة مأمور بلدي 207ق،م وانتخب عضوا في سلك القضاء لسنة 205ق.م ثم قنصلا في 203ق.م .انظر: محمد حسين فنطر،المرجع السابق،ص685.

تيرنسيوس قوليو[1]، وهذا يعرف مداخل قرطاج ومخارجها وبقي في السجون مدة طويلة ولم يغادرها إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها وتم إمضاء المعاهدة (يقصد بها زاما)[2].

تزامن حضور الوفد الروماني في قرطاجة مع انتهاء مهمة حنبعل من منصب الشفطية وانتهاء مفعول الحصانة التي يتمتع بها[3]، ومع تآمر السياسيين الفاسدين في العاصمة القرطاجية والطرف الروماني بتزامن انتهاء فترة الشفط لحنبعل[4] وهو ما قد ييسر إلقاء القبض عليه بل كل المتآمرون لا يستبعدون اغتياله[5].

ربما يتساءل البعض هل كان هدف الوفد الروماني هو البحث في إيجاد الصلح بين العاهل النوميدي والطرف القرطاجي؟،أم أنهم ترقبوا فترة انتهاء خدمته وبذلك الإنهاء من الحصانة السياسية الموكل بها وإيقاع به والزج به في سجون روما أو قتله لتنتهي روما من شبح حنبعل المرعب الذي أربكها طيلة السنوات الماضية؟ والإجابةأن الوفد الروماني ادعى ذلك ولكنه خطط للتخلص من حنبعل، وعندما لم ينجح الرومان فيما خططوا له، فدبروا له مكيدة أخرى وهي انه يريد إشعال الحرب مرة أخرى بالتضامن مع ملوك الشرق.

3-السفارة الرومانية في الشرق :

وبعد فرار حنبعل من قرطاجة ووصوله إلى أنطاكيا[6] التقى بابن الملك انطوخيوس الثالث وعرف أن الملك في مدينة أفسوس لذلك أبحر إليه بعيد ذلك في سفينة خاصة واستقبله الملك ضيفا مبجلا

1-**مرقوس تيرنسيوس قوليو TérentiusCulleo**: عضو في مجلس الشيوخ سقط أسيرا عند القرطاجيين وحرره سكبيو بعد انتصاره في زاما 201ق.م .انظر :محمد حسين فنطر،المرجع السابق،ص686،687.

2- احمد سايح مرزوق ونور الدين شعباني،المرجع السابق،ص 292،293.

3-محمد حسين فنطر ،المرجع السابق ، ص531.

4-سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز،المرجع السابق،ص277.

5-محمد حسين فنطر،المرجع السابق،ص531.

6-**أنطاكيا (Antioche)**:مدينة على النهر العاصي،في مجراه الأسفل تبعد قرابة 35كم عن البحر الأبيض المتوسط أنشأت المدينة حوالي 300ق.م من قبل سلوقس الأول نيكاتور احد قادة إسكندر المقدوني الكبير وأول ملوك السلالة السلوقية أطلق عليها اسم والده انطوخيوس ...انظر:هنري س.عبودي،المرجع السابق،ص137،138.

وطامعا في الاستفادة من عبقريته العسكرية وجاعلا منه سندا في الحرب القادمة أمام تدخلات الرومان في الشرق استفاد انطوخيوس الثالث من حنبعل وعرضه لمشروع عسكري متكامل عليه وهو الإعداد للحرب وأشار عليه بنقل الحرب ومعاركها إلى قلب إيطاليا[1].

وبهذا كان حنبعل يرافق انطوخيوس في اجتماعاته وخلال هذه الفترة عانى وجود القائد القرطاجي حنبعل ضمن المجلس المستشاري الملك انطوخيوس الثالث من الوشاية وتشويه السمعة بسبب التنافس بين القادة في التقرب من الملك السلوقي وقاد مهمة زعيم كتلة المدن الايولية المسمى "ثوواس" (Thouaos)[2]الذي استغل كل انفراد منه بالملك لتشويه صورة حنبعل، واصفا إياه بالمتعصب لرأيه وهو الأمرالذي وجد له مستمعا في أذن الملك المعروف بكبريائهواعتزازه بنفسه ما جعل الملك يتوجس من حنبعل ويتحاشى حضوره في الاجتماعات نزولا عند كلام الزعيم الايتوليأمام تحركات الملك السلوقي الذي كان متأهبا لمهاجمة المدن والأقاليم اليونانية ، بادرت روما بإرسال وفد مكلف من مجلس الشيوخ إلى المملكة السلوقية لمناقشة قضية المدن الإغريقية في اليونان واسيا الصغرى وإيقاف توسعات انطوخيوس الثالث، وانتهى الأمر بالطرفين إلى الاقتناع بالحل العسكري[3]كان ثوواس من أشرس أعداء حنبعل في قصر انطوخيوس حتى اثر على الملك وبعث فيه هاجس الخيفة من ضيفه القرطاجي[4].

ربما يعود إرسال روما للوفد الروماني عند سماعه للأخبار عن بالتعاون مع ثوواس الذي يحتمل انه مكلف من روما، وهنا يجب الإشارة إلى القائد حنبعل الذي لم يكن ببعيد عن صدى تواجد الوفد الروماني المفاوض كما أن القنصل الروماني الأسبق بوبليوس ويليوس توفليوس خلال فترة التفاوض كان يجري محادثات مع حنبعل وهذا يثير الفضول لطرح التساؤلات التالية: ما الذي يمكن أن يتفاوض فيه شخصين من ألد الخصوم فالطرف الروماني متشبع بالثقافة الرومانية ومشحوذ بعدائه لحنبعل وحنبعل

1-سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز،المرجع السابق،ص279.

2-**ثوواس thouaos**: قائد الكتلة الايتولية في عهد الملك انطوخيوس الثالث الذي تبوأ عرش المملكة السلوقية من سنة 223-187ق.م كان ثوواس ممن يدسون لحنبعل لدى الملك حتى يحتاط منه ويبعده ولا يعتبر آراءه ،وكان ثوواس يشجع الملك السلوقي على غزو بلاد الإغريق ومحاربة الرومان حتى كانت هزيمته في189ق.م.انظر:محمد حسين فنطر،المرجع السابق،ص661.

3-سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز،المرجع السابق،ص280.

4-محمد حسين فنطر،المرجع السابق،ص550.

الذي يعد اكبر خصوما لروما؟فما الذي يمكن تداوله بين هذين الشخصين؟ أراد القنصل بهذه الخطوة توريط الضيف القرطاجي في اللقاءات السياسية المشبوهة ليتخلص منه الملك السلوقي وتواترت أخبارإلى الملك مفادها لقاء حنبعل مع روما[1]،وبان القنصل الأسبق بوبليوس وهو احد أعضاء الوفد الروماني كان يتردد على حنبعل ولعله كان يريد اختراقه أملا في الحصول على معلومات تخص مشاريع الملك وكان يسعى لتوريط حنبعل مما يثير الشكوك حوله فيبعده الملك أو يتخلص منه بطريقة أوبأخرى وتكون على يديه نهاية القائد القرطاجي[2].

الأكيد أن لروما يد في هذه الفتنة التي أرادت من خلال نشوب الفتن بين حنبعل والملك وهذا ما يضطر الملك السلوقي لنفيه، وحاولت روما تنفير حنبعل من أي شخص يمكن أن يقدم له المساعدة، وهو الأمر الذي أدى إلى تنامي الشكوك وحدوث الفجوات والجفاف بين الملك انطوخيوس وحنبعل[3].

4-تقرب الرومان من ماسينيسا:

كانت روما تجد في ماسينيسا حليفاً قوياً تشجعه على التوغل في الأراضي القرطاجية للحيلولة دون ازدهار قرطاجة وبناء قوتها وهذا ما خشته روما[4]. استغل ماسينيسا حليف روما الشرط الجائر وبدا في تنفيذ خطته ضد قرطاجة والتي تهدف إلى الاستيلاء على ممتلكاتها وممتلكات أسلافه حسب ما تقتضيه المعاهدة فرفعت قرطاجة تشكو إلى روما، وكان رد مجلس الشيوخ الروماني على الشكوى اقل إيجابية ويرجع السبب في ذلك أن روما كانت خلال هذه الفترة لا ترغب في التورط في حرب جديدة في إفريقيا قد تعرضها للهزيمة[5]،والظاهر أن روما لم تستجب لنداء قرطاجة وذلك خشية ولتجنب فتح جبهة قتال جديدة وإنما اكتفت بأمورها مع المملكة السلوقية.

1-سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز،المرجع السابق،ص280.
2-محمد حسين فنطر،المرجع السابق،ص552.
3-سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز،المرجع السابق، ص280.
4-شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص237.
5-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي،المرجعالسابق،ص 62.

ظل ماسينيسا يمارس ضغوطا متزايدة لانتزاع الأراضي قرطاجية وربما أن أماله كانت الحصول على قرطاجة نفسها بموافقة الرومان مع استمرار تعاطفها مع ماسينيسا، في الوقت الذي لم تكن قرطاجة تملك فيه غير الشكوى لمجلس الشيوخ في روما وكانت روما كالعادة ترد بإرسال الوفد من مجلس الشيوخ للتحقيق في الأمر[1].

وكانت روما ترسل وفدا شكليا من اجل تهدئة الأوضاع وتوضح لقرطاجة بأنها استجابت لدعوتها لكنها في كل مرة تقف لصالح ماسينيسا، وكان رد فعل الرومان المتوقع هو أن يرسلوا بعثات تعددية تتحرى الأوضاع وتكتب تقريرا وتنحاز فيه إلى صف حليفها ماسينيسا أو تترك الأمر معلقا، وفي إحدى الخلافات الكثيرة بين قرطاجة وماسينيسا عام 153ق.م ترأس كاتو الأكبر الرقيب[2] بعثة التحقيق الرومانية وأفزعه الثراء والرفاهية الواضحة في قرطاجة وخشي من نهضتها من جديدكما حدث في الحرب البونية الثانية لذلك ومن بعد هذه الزيارة أطلق كاتو الأكبر صيحة شهيرة التي تحمل كل هذا الكم من الهواجس والشكوك المتراكمة في نفسه اتجاه قرطاجة وهي "لابد من تدمير قرطاجة[3].

أبدى البعض عددا من الآراء في أسباب الصراع الأخير، هل كانت روما تخشى من امتداد الثورة الديمقراطية التي كانت تندلع في قرطاجة؟ بحيث كان صوت الشعب راجحاإليها بعد عمليات التشاور أمأنها خافت من طموحات ماسينيسا عليها الذي سار ليسترجع أراضيه وربما قد يتمكن من الاستيلاء على قرطاجة ذاتها وبسط سيطرته بذلك على المنطقة التي تمتد من شواطئ السرت(Syrte)إلى وادي الملوية وبذلك إذ حدث هذا الأمر سيشكل خطرا على روما أكثر من خطر قرطاجة[4].

1-محمد بيومي مهران،المرجع السابق،ص281،282.

2-**كاتو (Caton)**: كاتو الأكبر ويقال كاتو الرقيب،مواطن روماني من أصل ريفي تسلق سلم الشرف عند الرومان فكان من الضباط المساعدين أثناء الحرب البونية الثانية، وشغل منصب قاضي 198ق.م، وقنصل 195ق.م وسمي حاكما في اسبانيا، وألف موسوعة في علوم الزراعة مستأنسا بموسوعة ماجون القرطاجي، تزعم التيار الذي كان ينادي بتدمير قرطاجة وكان يختم خطبه من أعلى منصة مجلس الشيوخ بمقولته اللعينة "لا بد من تدمير قرطاجة" توفي سنة 149ق.م أي في السنة التي اندلعت فيها الحرب البونية الثالثة.انظر: محمد حسين فنطر،المرجع السابق، ص680.

3-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص475.

4- فرانسوا دوكريه، (قرطاجة إمبراطورية البحر)، المرجع السابق،ص218.

5-الجوسسة خلال 152ق.م:

استمر النزاع بين قرطاجة ونوميديا طيلة سنة 152ق.م وذلك نتيجة توسع ماسينيسا على حساب أراضي قرطاجة بحيث قام بالاستيلاء على المناطق الواسعة التي كانت تحت سيطرة قرطاجة وسار وصولا إلى شرق ماكتار(مدينة تونسية)رفعت قرطاجة الأمر إلى روما لكن دون جدوى وبداية عام 152ق.م هرب الحزب القرطاجي الموالي لماسينيسا وحرض على إعلان الحرب على قرطاجة فانتهز ماسينيسا الفرصة واستمر النزاع حتى استنجاد قرطاجة بسكيبيو الايميلي[1]الذي كان متواجد بنوميديا خلال هذه الفترة للحصول على الفيلة الإفريقية من ماسينيسا، نتساءل هل يا ترى هدف سكيبيو هو الحصول على الفيلة، أم انه مبعوث رسمي من روما لمراقبة أوضاع حلفائها وقرطاجة وكيف بدت العلاقة بينهما، ذلك ينبئ بعمل جوسسي غير غريب على روما التي ظلت ترتقب تطور الأوضاع بين الجيران.

تمكن سكيبيو من فض النزاع بين الطرفين وفرض على قرطاجة غرامة مالية قدرها 700تالنت من الفضة، وضرورة تسليم قرطاجة للأرض المتنازع عليها وغادر سكيبيو المنطقة متجها لإسبانيا لمحاربة الكلت[2]،وكان سكيبيو الايميلي قد شاهد جزاء الحرب عن قرب،وحاول التدخل إلا انه فشل فعاد متوجها لاسبانيا[3].

وهنا يمكن القول أن سكيبيو ايميليانوس فشل في فض النزاع بين الطرفين، ربما انه حاول إشعال فتيل الحرب بينهما وغذاها، كما أن تدخله وإنهائه للحرب بفرض غرامة مالية على قرطاجة يزيد من عداء القرطاجيين لماسينيسا واعتداءاته التي لا مبرر لها، وهذا ما سعت إليه روما وهي تغذي الفتنة

1-**سكيبيو ايميليانوس(Scipio Emilien)**: يلقب أحيانا بسكيبيو الإفريقي الثاني، عاش فيما بين 185ق.م وسنة 129ق.م أنجبه القائد الروماني الشهير بول ايميل الذي غزا المملكة المقدونية وسقط في ساحة الوغى إبان معركة كاناي، تبناه سكيبيو الإفريقي المنتصر في زاما وكان التبني 168ق.م، وسمي بسكيبيو نسبة إلى سكيبيو الإفريقي الذي تبناه وهو اميليانوس نسبة لأبيه الذي أنجبه بول ايميل.انظر: محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 675.

2-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي،المرجع السابق، ص 64،65.

3-محمد الصغير غانم، (المملكة النوميدية والحضارة البونية)،المرجع السابق، ص67.

وتشعل فتيل الحرب بينهم وهذا لكيلا يتحد الطرفين وبالتالي مساعدة ماسينيسا الذي يعتبر عين من عيون روما في المنطقة ويخبرها بما يحدث وهذا يسهل عليه عملية المراقبة.

6-الجوسسة خلال 151ق.م وذريعة الحرب:

اقتربت نهاية سنوات دفع الغرامة المالية المستحقة لروما على قرطاجة الطرف المنهزم في الحرب البونية الثانية، وبالتالي ما إن حلت سنة 151ق.م حتى اشتد التنافس كي لا يتيح لقرطاجة الحرية وتنتهي من دفع الأموال المفروضة، وبالتالي تهتم بتطور اقتصادها واستثمار عائداتها في تطوير اقتصادها الزراعي كل هذه الحوادث والاعتبارات شكّلت هاجسا لروما ولعبت دورا في اتخاذها قرارا بشأن مصير الحرب ، وبأن ذريعة الحرب العادلة كما ادعت جاء في وقتها[1].

وقد وجد الرومان ذريعة قوية لإعلان الحرب على قرطاجة، وذلك نتيجة التصادم العسكري بين ماسينيسا حليف روما و قرطاجة في حدود 150ق.م، عندما تم طرد الشخصيات السياسية من قرطاجة فلجأت إلى ملك نوميديا[2] كان من المطرودين أولاد ماسينيسا (ميكيبسا[3]، وغلوسا[4]) اللذان كانا قد أرسلهما بهدف التوسط لإعادة أنصاره الذين طردتهم من ديارها،وترتب عن تعرض القرطاجيين لابن ماسينيسا الذي استعمل القوة وهاجم مدينة ارسكوبا [5]القرطاجية.

1-فرانسوا دوكريه، (قرطاجة امبراطورية البحر)، المرجع السابق، ص218،219.

2-فتيحة غديري وسعيد الشلالقة،"قانون الحرب العادلة وحروب روما التوسعية –الحرب البونية 264-146ق.م أنموذجا-"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 13، العدد1، 2022،ص321.

3-**ميكيبسا "مكوسن" (Micipsa)**: هو الابن الأكبر لماسينيسا تقاسم مع أخويه غلوسا و مصطنبعل الحكم بعد وفاة والدهم 148ق.م، حكم إلى غاية 118ق.م حافظ عليها وقام بتشييد العديد من المنشآت العمرانية والثقافية...انظر: محمد الصغير غانم، (سيرتا النوميدية)،**المرجع السابق** ،ص123.

4-**غلوسا-غلوسن (Glossa)**: الابن الثاني لماسينيسا، أرسل كسفير إلى روما في سنة 172-171ق.م ثم إلى قرطاج في 150ق.م بعد وفاة أبيه ماسينيسا سنة 148ق.م تقاسم العرش مع أخويه مكيبسا و مصطنبعل، وكلف بقيادة الجيش حسب تقسيم أشرف عليه القائد الروماني سكيبيو ايميليانوس ترك ابنه يدعى ماسيفا وقتله يوغرطة في روما 112ق.م.انظر: نفسه، ص114.

5-**أورسكوبا** : مدينة يجهل موقعها بالضبط غير أنها حسب غانم نقلا عن إشارات لأبيان تقع المنطقة التي تفصل بين السهول الكبرى ومنطقة توسكا وبذلك لا يستبعد أن تكون في موقع ما منمنطقة الخمير .انظر : محمد الصغير غانم ، (المملكة النوميدية والحضارة البونية)، المرجع السابق، ص 67.

وكان رد القرطاجيين بالمثل وبهذا أشعلت فتيل الحرب بين الطرفين، كان تخمين روما من وراء ذلك أكيد انه وضع حد لقرطاجة ستعتبر نوميديا بذلك كما انه إذا أعلنت روما الحرب على قرطاجة ستكون نوميديا مسرحا وطرفا في الصراع وهكذا تحد من توسعات وتنهمك في استعداد للحرب بجانب روما.

يجب الإشارة والتنويه بأن قرطاجة استطاعت أن تتجنب دخول روما في النزاع القائم بينها وبين ماسينيسا[1] وبادرت بإصدار حكم بالإعدام على الذين تسببوا في الحرب ضد ماسينيسا، ونفذت عليهم الحكم ما عدا اصدربعل الهارب وربما تم تهريبه بإعانة من الحكومة، وأوفدت لقرطاجة رسلا لروما لتعلن براءتها من الحرب وتعلم بأن المسئولين الذين أشعلوا نارها قد نالوا جزاءهم ولكن سال أعضاء المجلس قالوا للرسل : "لماذا حكمتم عليهم بالإعدام بعدما انهزمتم وخسرتم المعركة ولم تحكموا عليهم في بداية الأعمال العدائية"فلم يجد الرسل جوابا وصوت المجلس في جانب الرأي القائل بان بيانات المبعوثين كانت أعذارا ملفقة لا يمكن قبولها ولا تسمح بالعفو عن جريمة قرطاجة[2].

وكان رد الرومان انه لابد من إرضاء الشعب الروماني دون أن يحدد كيفية ذلك[3] ورفضت روما التصريح بالحكم إلى اليوم الذي يكون فيه القرطاجيون عاجزين كل العجز عن إبداءأية مقاومة[4] وفي خلال ذلك الاستعطاف الذليل والإملاء المتجبر المهين كانت روما قد أنمت استعادتها للغزو المدبر والذي لن تحول دونه أعذارأو مبررات وأعلنت الحرب[5]، يتضح من تصرف روما أنها لم تعلن الحرب عند حضور الوفد القرطاجي وإنماأجلت ذلك التصريح قصد استعطاف واستدراج القرطاجيين وجعلتهم في حيرة من أمرهم وهذا ما يربكهم ويحول دون استعدادهم للحرب وعندما رأت الوقت المناسب أعلنت الحرب وتذرعت بخرق قرطاجة لبنود معاهدة زاما 201ق.م .

1-محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص282.

2-احمد صفر، المرجع السابق، ص 242.

3-محمد السيد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 477.

5-احمد صفر ، المرجع السابق ، ص243.

5-محمد السيد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص477،478.

و يرجح أن السبب المباشر في إعلان روما للحرب على قرطاجة في هذا الوقت يرجع لعدم ثقتها التامة في ماسينيسا رغم تحيزها الواضح له، فقد خافت روما من ازدياد نفوذ مملكة نوميديا وبذلك تظهر قوة جديدة في شمال إفريقيا تحل محل قرطاجة وتهدد روما، فضلا عن ذلك أن قرطاجة قد تحررت منذ عام 151ق.م من قيود الغرامة الحربية، وعلى اثر ذلك قررت روما ضرب قرطاجة قبل أن يكون لديها الوقت الكافي للنهوض مرة أخرى وخاصة إذا قرر الرومان تدمير قرطاجة نهائيا[1].

7-الجوسسة خلال ربيع 149ق.م:

مع حلول عام ربيع 149ق.م جهزت روما جيشا يتألف من 80الف رجل من المشاة وحوالي 4000فارس و150سفينة حربية منها 50سفينة خماسية ماعدى المراكب التي كانت مشحونة بالعدة والأثقال وسيرت ذلك إلى اوتيكا[2] بقيادة القنصل ماركوس مانيليوس كونورينوس الذي تولى القيادة البحرية[3]، وكان سكبيو الايميلي القائد الأعلى لأركان الحرب وعمره إذ ذاك 36سنة، وكان يرافقه المؤرخ المشهور بوليب[4].

وفي الوقت الذي كانت فيه الحملة العسكرية تبحر باتجاه الساحل الإفريقي وصلت إلى روما بعثة قرطاجية على أمل توقيف الحرب، في حين قد فاتها الأوان إلا أن أعضاء مجلس الشيوخ اجبروا البعثة القرطاجية انه بوسعهم أن يحتفظوا بحريتهم وقوانينهم وحدودهم وممتلكاتهم العامة والخاصة بشرط أن يسلموا 300 من رجال الارستقراطية القرطاجية للرومان كرهائن ضمانا لحسن النية وان يطيعوا الأوامر التي ستفرض عليهم من قبل القناصل[5]، لكن القنصل لم يكفه ذلك بل طلب أن تسلم إليه جميع الأسلحة والعدد الحربية وأدوات القتال، وتأكد بذلك أن قرطاجة باتت مستعدة لقبول كل الشروط

1-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي ، المرجع السابق ، ص65.
2-احمد صفر ، المرجع السابق ، ص243.
3-محمد الهادي حارش ، (التاريخ المغاربي القديم)، المرجع السابق ، ص 243.
4-احمد صفر ، المرجع السابق ، ص243.
5-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص478.

والخضوع لجميع الأوامر، وبذلك اضطرت قرطاجةلتسليم 200الف من الأسلحة الخفيفة و2000من الأسلحة الثقيلة ، وجميع ما عندها من السفن فوقع نقل ذلك إلى اوتيكا[1]وقاموا بتسليمها دون مناقشة[2].

بعدما تمت هذه الأعمال التمهيدية تحقق القنصل من أن قرطاجة أصبحت كجسد بدون روح عزلاء من كل سلاح وعاجزة كل العجز عن إبداء أي مقاومة صرح بحكمه القاسي الذي بقي مكتوما[3] وأصدرت الأوامر من قبل القناصل بإخلاء المدينة القرطاجية، و أعلنوا أن مجلس الشيوخ قرر هدمها وان السكان يمكنهم الإقامة في أي مكان يريدونه بشرط أن يكون على بعد 15كم من البحر،وبذلك أظهرت النوايا الحقيقية للرومان ولم يكن في وسع القرطاجيين الخضوع لمطالب الرومان[4]، ويقول نصحي: بعد إصدارها للقرار كان معنى ذلك عمليا الحكم بالفناء على دولة كانت التجارة البحرية المصدر الرئيسي لثروتها، وهنا تملك قرطاجة الغضب ورفضت الطلب وصممت على تحدي الرومان، وبذلك تكون قرطاجة قد أعطت حجة وفرصة أخرى لروما وهي حجة عدم احترامها للوعد الذي قطعته على نفسها بالتسليم دون قيد أو شرط وعدم احترامها معاهدة الصلح[5]، نستنتج أن روما حاولت جاهدة خلق ذرائعللحرب فقامت وكانت الفصل الأخير للقرطاجة.

8-الجوسسة خلال صيف 149ق.م:

بعد الصبر والانتظار تحرك القنصلان مانيلوس وكينسورينوس، بقواتهما البرية والبحرية ضد قرطاجة لكنهم وجدوا أمر اقتحام المدينةأصعبأكثر من تصورهم نظرا لأسوارها الحصينة فأقام مانيلوس معسكره في موقع يقع إلى الشمال من البرزخ الذي يربط قرطاجة بريفها، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال ما هدف مانيلوس من إقامة المعسكر في مثل هذا الموقع؟ لنجيب أن الهدف من ذلك هو منع وصول الإمدادات للقرطاجيين، وفي نفس الوقت رابط زميله كينسورينوس بأسطوله قبالة الشاطئ الجنوبي للمدينة عند بحيرة

1-احمد صفر، المرجع السابق، ص244.
2-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص478.
3-احمد صفر، المرجع السابق، ص244.
4-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق،ص 66.
5-إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص339.

تونس، لكن لم تنجح المهمة وعاد القنصل لروما لإجراء انتخابات قنصلية للعام التالي، وهجم معسكر مانيلوس ثم تدارك الموقف من خلال مهارة الضابط سكيبيو ايميليانوس الذي اظهر تميزه وقدراته في عدد من المواقف خلال فصل الشتاء[1]، وكانت القوات الرومانية تستعمل المجانيق[2]والكباش[3] لتهديم الأسوار، ولم يكفهم ذلك بل تجاسروا مرة أخرى على الخروج وإشعال النار في تلك الآلات الهدامة وعدلوا عن التحدي في الهجومات واقتنعوا بإقامة حصار طويل كله مشقة وتعب[4].

9-الجوسسة خلال خريف 149ق.م:

حاول القرطاجيون في إحدى الليالي الهجوم على معسكر الأعداء لكن محاولتهم باءت بالفشل وذلك لشعور الرومان بالخطر من هذه المباغتة، لكن سكيبيو خرج من الباب المقابل للجهة التي وقع عليها الهجوم وحمل على القرطاجيين ففرقهم وبدد شملهم، وذلك دفع بالقنصل الروماني الى بناء جداران متينة وأقام حصنا صغيرا على البحر لحماية عمليات إنزال المؤن التي كانت تأتيهم بها المراكب بعد الانتهاء من العملية اخذ القنصل 10000 من المشاة و2000من الفرسان، وشرع في غزو البلاد لجمع الحطب والمؤونة،ودارت معركة بين الجيشين بقيادة اصدربعل للجيش القرطاجي وروما بقيادة سكيبيو، و التحمت الجيوش وزاد الأمر خطورة فقام سكيبيو بتقسيم كتابه لقسمين وأمرهم بالهجوم على العدو بالتعاقب، بمعنى أن مجرد ما تعود الفصيلة بعد قذف حرابها ومزاريقها تهجم الفصيلة الأخرى، وهذا التعاقب المطرد لا يترك للعدو مهلة فيضطر إلى كف الأذى عن الفرق الأخرى وتمكن سكيبيو من إنقاذ الموقف[5]و من النجاح بفضل مناوراته العجيبة على اصدربعل وجيوشه وأوهمه بتطويقه حتى فر

1-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص480.

2-**المجانيق** :آلة حربية ثقيلة تستعمل لقذف الحجارة أو لرمي النبال وكانت هذه الآلةترمى بقذائفها التي يبلغ وزنها أحيانا 80كلغ إلى مسافات بعيدة نحو 500او 1000متر ، وكانت الآلة مستعملة عند الإغريق والمقدونيين والرومان والقرطاجيين . انظر احمد صفر ، المرجع السابق ، ص 257.

3-**الكباش أوالكبش** :آلة من آلات الحرب الثقيلة كانت تستعمل في الحصار ، وتقذف على الجدران الحصون ، فكأنها كبش ينطح وكانت تتركب من خشبة طويلة وضخمة لتنتهي بكتلة حديدية في شكل رأس كبش وتستعمل إما معلقة في جهاز كدبابة – أو محمولة بأيدي الجنود. انظر : نفسه، ص257.

4-نفسه ، ص 246.

5-احمد صفر ، المرجع السابق ، ص247.

اصدربعل هاربا رفقة جنوده، وبذلك نجت الجيوش الرومانية من الهلاك وهذا ما اكسبه الإجلال والإكرام وتوج بالأكاليل وكان العنوان الشرف عند روما لا يمنح إلا للأبطال ممن امتازوا بالمآثر والمفاخر ووصلت الأخبار لروما ما زاد إعجابهم بسكيبيو وشجاعته وذكائه رغم حداثة سنه[1].

10-الجوسسة خلال 148ق.م:

مرض ماسينيسا مرضا خطيراً وكان حينها في عاصمته سيرتا استدعى سكيبيو ايمليانوس ليجعله وصيا على أولاده ويقسم بينهم المملكة [2] فأسرع سكيبيو إليه لكن وصل بعد موته بيومين وقسم السلطة على أبنائه الثلاثة ميكيبسا (السلطة الإدارية)، غلوسا (قيادة الجيش)، مصطنبعل[3](السلطة القضائية)[4].

وهذا ما جعل روما تتدخل في شؤون إفريقيا فكيف بملك محلي الاستغاثة بقنصل روماني لتقسيم شؤون مملكته، وربما هذا ما يعزز مكانة روما ويجعلها تفخر وتشعر وكأن لها وصاية على إفريقيا كونها بعد أن باتت تتدخل في شؤونها السياسية وسلطتها ويعد هذا من السيادة، فرأى الإفريقيين ما أصبح فيه سكيبيو من شدة وقوة وبأس اخذوا ينظمون إلى صفوفه بعد ما كانوا يخلصون الود لقرطاجة، وأغار مانيلوس على بلدة تازاقة فأوقع بها وأشبعها سلبا ونهبا ، ربما أن استيلاء سكيبيو على بلدة سيفيده في إتمام مهماته وربما قد يجعل بها حامية ويركز فيها قواته علاوة على ذلك أن سارعت المدن بالإنضمام إليه عندما رأت تفوقه وبنهاية 148ق.م تحولت الظروف ضد قرطاجة واستسلمت المدن الفينيقية الساحلية التابعة لقرطاجة لروما مثل: لبتيس الصغرى، ويوزيلا إلى جانب اوتيكا التي كانت قد انضمت

1-احمد صفر، المرجع السابق ، ص148.

2-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق، ص67.

3-**مصطنبعل**: هو أحد أبناء الملك ماسينيسا، كانت ثقافته إغريقية انتصر في سباق بأثينا فيما بين سنواته 168-164ق.م، بعد وفاة أبيه 148ق.م انقسم العرش مع أخويهوأسندت له مهمة القضاء والعدالة، إلا انه لم يعش طويلا فقد توفي 139ق.م وترك ابنين "يوغرطة وغودا ". انظر: محمد الصغير غانم، (سيرتا النوميدية)، المرجع السابق، ص114.

4-احمد صفر، المرجع السابق، ص248.

لروما منذ البداية واعترفت روما بحريتها وعاملتها معاملة المدن الحليفة،أما بقية المدن فقد وقعت في قبضة روما واحدة تلو الأخرى وأصبحت نواة للأراضي العامة في إفريقيا[1].

أما بالنسبة لقرطاجة فقد استمر الحصار خلال فترة 149-148ق.م ولم يتمكن الرومان من إحراز تقدم ضد قرطاجة ويرجع السبب إلىتباطؤالقادة الرومان رأى مجلس الشيوخ الروماني الأمر بأنه لابد من تجديد القيادة لإنهاء الحرب في إفريقيا وتم انتخاب سكيبيو ايمليانوس الابن بالتبني لسكيبيو الإفريقي المنتصر في الحرب الثانية قنصلا رغم عدم بلوغه السن القانوني[2]، وكلف بقيادة الحملة ضد قرطاجة بعد أن ضربوا بالقانون عرض الحائط في هذا الموقف الاستثنائي وأمام هذا البطل الذي شعر بتفرده وتميزه وحدث معه تماما كما حدث مع جده بالتبني سكيبيو الإفريقي الكبير قاهر حنبعل، ولم يكن قد بلغ السن القانوني للترشيح (42عام).

11-الجوسسة خلال 147ق.م :

رجع سكيبيو الايميلي لإفريقيا بصفته قنصلا[3] وقائدا للحملة، وقد قرر أن يحكم حصاره على المدينة ولا يترك لها ثغرة للاتصال بالعالم الخارجي حتى تستسلم وهنا أخذت الحوادث شكلا جديدا وأمر جنوده بان يستروا الحائط من جهة حي مجارة وهي ضاحية قرطاجة يقيم فيها الطبقة الثرية المترفة وساعده على تنفيذ خطته وجود برج قديم مهجور ملاصق لصور احتله الرومان وتسللوا منه إلى السور ونزلوا بالحي وأسرعوا إلى الأبواب وفتحوها على مصراعيها واندفع سكبيو على رأس (شن هجوم ليليا على الجانب الشمالي الغربي من أسوار قرطاجة)[4]وتوغل على رأس 4الاف مقاتل واستقروا بتلك الناحية من المدينة وفر القرطاجيون وأضرم سكيبيو النار في المعسكر الذي هجره القرطاجيون وحاول اقتحام الأسوار فقرر العزم على مواصلة الحصار، وعاد سكيبيو لمكانه الأول بعنق شبه الجزيرة وأمر بحفر خندق يبلغ طوله حوالي 4500متر على بعد غلوة (أي رأس سهم) من الأسوار، وعند دراستنا لخطط سكيبيو

1- عبد العزيز عبد الفتاح حجازي ، المرجع السابق ، ص68.

2-نفسه ، ص68،69.

3-احمد صفر، المرجع السابق، ص250.

4-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص481،482.

راودني سؤال وهو ما هدف سكيبيو من حفر الخنادق وبالضبط على المسافة المذكورة؟ حفر خندق مماثل له من ناحية البر و خندقين بالعرض على حاشية البحر وبحيرة جنوبا واخذ العمل في مجموعة شكل حفرة مستطيلة مترامية الأطراف وأحاطها سكيبيو بالأوتاد وأقام أسوجة على ثلاث جهات، أما الجهة 4 المواجهة لقرطاجة بني بها حائطا بسمك 6 أقدام وارتفاع 12 قدما وبني أبراجا على مسافات متساوية ومتقاربة وجعل في الوسط برجا مرتفعا تعلوه بناية خشبية فكان على شكل مرصد يرى منه كل ما يقع في المدينة[1]، ربما كان على شكل حامية وبرج لمراقبة تحركات العدو وبالتالي الاستعداد للمواجهة، والترصد تحركات العدو والتجسس عليه.

وتم العمل خلال 20يوما[2]وكان الرومان يشتغلون ويحاربون وينامون بالتناوب ربما يعود الفضل لهذا التنظيم والتخطيط المحكم لسكيبوايمليانوس، وكما هو متعارف عليه بأنه حفيد سكيبيو الإفريقي لهذا يكون قد تعلم منه وعلم ما كان يخطط له ضد القرطاجيين، لهذا قد يكون استفاد منه ومن خبرته في الصراع ووظفه ضد القرطاجيين.

أقام الجيش بالخارج على طريق البر وكان سكيبيو يريد منع المدد وحرمانهم من الغذاء الذي كان يصلهم من ناحية البر إلى أن يستسلموا ويهلكوا جوعا، ولاحظ سكيبيو وصول المؤنة عن طريق البحر، ومن المؤكد أن لسكيبيو جواسيس يمدونه بالمعلومات ضد القرطاجيين فلولاهم لما لاحظ وصول المدد عن طريق البحر فصمم أن يسد في وجوهم ذلك الباب الذي لا زال مفتوحا وقطع الإمدادات بحرا، تمكن سكيبيو من الاستيلاء على محطة بحرية جديدة وأراد أن يجعلها قاعدة عملياته الموجهة ضد المرسى وهجم بالآلات الحربية وباستعمال الكباش فوقعت كامل المحطة في قبضته[3].

1-احمد صفر، المرجع السابق، ص249،250.
2-نفسه ، ص252.
3-احمد صفر ، المرجع السابق ، ص251،252.

12-الجوسسة خلال شتاء 146ق.م:

استمر ضرب الحصار على قرطاجة وما إن حل عام 146ق.م حتى كانت البداية لنهاية الإمبراطورية القرطاجية التي ظلت تحكم شمال إفريقيا قرابة سبعة قرون وكانت الجيوش القرطاجية خارج المدينة وهذا ما يشكل خطرا على المعسكر الروماني[1]، لذلك عزم سكيبيو على تطهير البلاد من تلك العشوش الفاسدة وأرسل فرقا تجتاب البلاد طولا وعرضا، وزحف على المعسكر وضرب الحصار عليه وكلف قائد لايليوس والملك غلوسا بتشديد الخناق عليه،أما سكيبيو فقد كان ينتقل بسرعة بين قرطاجة ونفريس(ضيعة بتونس) ذهابا وإيابا ليسير الأعمال ويشرف بنفسه عليها ودام الحصار مدة 22يوما وهذا يدل على جهد وعمل سكيبيو، كما أن نجاح روما في تلك الحملة الموفقة على نفريس ساعد كثيرا على سقوط قرطاجة وضعضع أحوالها من كل جانب وانقطع عنها المدد والغذاء كليا وسادها الهلاك والجوع[2].

13-الجوسسة خلال ربيع 146ق.م:

في شهر مارس من عام 146ق.م اصدر سكيبيو الايميلي أمر بالهجوم على قرطاجة واقتحم الميناء العسكري وهاجم جند بعل حمون[3]،واقتلعوا منه التمثال الذهبي إيذانا بإزالة المدينة من الوجود وإضرام النيران في المدينة وسويت مبانيها وأسوارها بالأرض[4] واقتحموا المنازل وقتلوا السكان في البيوت والشوارع على السطوح واستولوا على البيوت بعد مقاومة عنيفة وقتال شديد، وكانت لا تسمع في كل مكان إلا الأنين والعويل والصياح، وأمر سكبيو بإضرام النار في ذلك الحي وتقدم بجيوشه نحو قلعة

1-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق، ص70.

2-احمد صفر، المرجع السابق، ص252،253.

3-**بعل حمون**: يعتبر بعل حمون من أهم المعبودات الوثنية التي اعتقد بها سكان نوميديا لفترة زمنية طويلة خاصة وان جذوره ضاربة في حقبة ما قبل التاريخ، علما أن التسمية تغيرت مع مرور الوقت ليستقر عند بعل حمون وهو نتاج التمازج الذي حدث بين الفينيقيين والنوميديين كما يعتبر المعبود الأكثر انتشارا من حيث الرقعة الجغرافية وتجاوز حدد نوميديا. انظر: احمد سايح مرزوق، "الاعتقاد ببعل حمون في نوميديا خلال فترة ما بين (146ق.م-429م)"، مجلة الفكر، مج6، العدد 2، ديسمبر 2022، ص311.

4-محمد البشير شنيتي، (دراسات في التاريخ والآثار القديمة)،المرجع السابق، ص167.

بيرصا[1]وأخذها عنوة[2] وأصبحت تلك الحاضرة التي أسالت لعاب الكثير تحت ألسنة اللهب[3]، وسمح سكيبيو لرجاله بنهب المدينة فانهمكوا في ذلك لفترة وسلم ما كان في المكتبات لنوميديا ثم إنزال اللعنات على مدينة قرطاجة وأمر بتهديمها فخربوا بنيانها وقوضوا أركانها وتركوها قاعا صفصفا[4].

وكررت زوجة اصدربعل المشهد المأسوي الذي حدث مع مؤسسة قرطاجة الأميرة اليسا وارتمت في الجمر بعد أن ألقت بابنها فيه[5]، ويشير المؤرخون الرومان أن اصدربعل قد استسلم للقائد سكيبيو الذي عرضه أمام المقاتلين القرطاجيين وبينهم امرأته وأبناءه فلعنته زوجته قبل أن تموت وأشعلت النار في المعبد وصاح بسكيبيو:

" إياك أن تنسى مجازاة هذا الجبان الخائن لوطنه وآلهته وزوجته وأولاده ثم قتلت ولديها وألقتهما وألقت نفسها في النار"[6].كما فعلت أليسا من قبلها رغم أن سكيبيو قد وعدها بإنقاذ حياتها و قيل أن سكيبيو حينما رأى قرطاجة وقد دمرت تماما بكى متأملا للحظات وهو يحكم أن المدن والأمم والإمبراطوريات هي جميعها مثل الناس وتزول بقوة الآلهة ، وظلت النيران مشتعلة في أطلال قرطاجة وحتى لا تقوم لها قائمة من بعد ذلك حرثت أرضها بالمحراث وألقى الرومان بالملح في أخاديدها وتليت تعاويذ بان تحل اللعنة بمن يحاول بعث الحياة فيها من جديد[7] وتمكنوا من الاستيلاء على المدينة التي حكم عليها بالإعدام عقب الحرب البونية الثانية[8]وهدمت جميع المدن التي كانت مؤازرة ومناصرة لقرطاجة (بنزرت، قليبية ونابل)، أما المدن التي كانت في صف روما نذكر على سبيل المثال: اوتيكا، سوسة،

1-**بيرصا** (**Byrsa**): اسم قلعة قرطاجة تقع على تل يشرف على المرفأ والمدينة لهذه القلعة سور يحيط بقاعدة التل تدعمه في بعض أجزائه حواجز شيدت حول معبد أشمون. انظر: هنري س.عبودي، المرجع السابق، ص255.

2-احمد صفر، الرجع السابق، ص253.

3-محمد البشير شنيتي، (دراسات في التاريخ والآثار القديمة)،المرجع السابق،ص168.

4-احمد صفر، المرجع السابق، ص254.

5-محمد البشير شنيتي، (دراسات في التاريخ والآثار القديمة)،المرجع السابق،ص168.

6-علي عكاشة وآخرون، المرجع السابق، ص181،182.

7-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص483.

8-محمد الهادي حارش، (التاريخ المغاربي القديم)، المرجع السابق، ص 71.

لمطة، فقد منحتها روما حريتها وصارت تعرف باسم"المدن الحرة"[1]، ونظمت روما الاحتفالات العظيمة بعد الانتصار على قرطاجة، وشكل مجلس الشيوخ لجنة لتحويل الأراضي البونية إلى إقليم تابع[2].

وانتهت المدينة الفينيقية التي ظهرت في شمال إفريقيا كقوى من بين القوى الكبرى المحلية على الصعيد السياسي والعسكري والاقتصادي لم يسبق لها مثيل على يد روما من اجل إبعاد منافس تجاري عن طريقها ولتصبح سيدة بلا منازع على حوض البحر الأبيض المتوسط[3]،وانطلقت روما في أرجاء البحر المتوسط على مدى القرن 2ق.م غربا وشرقا وقد راقت لهم نزعة التوسع والعدوان بغير ضابط وبغير أي وازع أخلاقي، مما كانوا يفاخرون به في توسعاتهم المبكرة في العصر الجمهوري لتحقيق هذا الهدف استخدم الرومان أسلوب القوة الباطنية مع خصومهم وفي حال لم تنجح لجاؤا إلى وسائل أخرى مثل نقض العهود و المواثيق والتنكيل بالخصوم واللجوء إلى الغدر والخديعة[4].

II-الجوسسة القرطاجية :

منذ هزيمة قرطاجة في معركة زاما راح القرطاجيون يعملون بجهد لاستعادة سلطانهم ولم يمض نصف القرن حتى بدأت تستعيد مجدها التجاري وازدهرت الحياة فيها وأصبحت تهدد بالفعل المصالح الرومانية[5]، وخلال الفترة الممتدة بين نهاية الحرب البونية الثانية وحتى قيام الحرب البونية الثالثة حاولت قرطاج بكل الوسائل إصلاح أحوالها الداخلة رغم ثقل الأعباء المالية والاقتصادية الملقاة على عاتقها نتيجة شروط معاهدة 201ق.م وانتخب حنبعل قاضيا في عام 196ق.م حاول أن يأخذ بيد الدولة على طريق الحكم الديمقراطي السليم وذلك عن طريق عدة وسائل منها: تنظيم دخل الدولة[6]،وتنظيم

1-احمد صفر، المرجع السابق، ص254.

2- فرانسوا دوكريه، (قرطاجة إمبراطورية البحر)، المرجع السابق، ص 221.

3-ليث خليل السلماني، المرجع السابق، ص463.

4-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص488.

5-ليث خليل السليماني، المرجع السابق، ص461.

6-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي،المرجع السابق، ص55.

الصادرات و الوردات وقام بمراقبة شديدة على الضرائب واقتصد في المصاريف وافتك الأموال ممن أحرزوها بطرق غير مشروعة وهذا ما سهل عملية دفع الغرامة الحربية المفروضة[1].

1-مصير حنبعل:

حاول حنبعل من جهته أن يرسم طريقا جديدا أو سبيلا يحاول من خلاله إخراج قرطاجة من أزمتها، وما إن انتخب حتى باشر بتطبيق برنامج واسع للإصلاح والتطهير، وأول ما سعى إليه تنظيف الهيئة السياسية والإدارية التي تفشى فيها الفساد والضعف منذ أمد بعيد، فطلب القاضي من حنبعل أن يدير الأموال العامة كشفا بالحسابات وحين رفض تم تقديمه إلى المجلس الشعبي الذي خلعه من منصبه وكشفت التحقيقات عن الخطط والامتيازات التي كانت تستعملها الأقلية وعن تضخيم ثرواتها، وباشر حنبعل بإصلاح أعلى هيئة قضائية وهي مجلس 104 [2].

وكان من غير المجدي فرض ضرائب جديدة وكانت هذه الخطوات بالنسبة للمتضررين من أصحاب المصالح شيئا خطيرا، وقاموا بإبلاغ روما بالمكائد المقلقة التي يقوم بها المتمرد فاجبر حنبعل على الابتعاد وهو يحاول إنقاذ وطنه[3]، ومع انتهاء فترة شفطية حنبعل في منصبه ومعها زوال الحصانة التي يمنحها المنصب له، ومع الأخبار التي وصلت حنبعل من مؤيديه مفادها أن المتآمرين ينوون القبض عليه أو اغتياله، ودفعا لذلك أوصى حنبعل يوم مغادرته بعيد وصول الوفد الروماني بتوفير أحصنة عند البوابة ومن ثم التوجه إلى الساحة العامة التي فيها المواطنون والسياسيون، ولكن لماذا توجه حنبعل إلى الساحة طالما انه كان يحضر لمغادرة المدينة؟

ربما حتى يوهم العدو بأنه متواجد في المدينة وكما هو معروف على حنبعل انه يقوم بالتمويه وحتى أقرب الناس إليه لا يعلم بمخططاته.

1-احمد صفر، المرجع السابق، ص235.

2- سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز،المرجع السابق ،ص277.

3-فرانسوا دوكريه،(قرطاجة إمبراطورية البحر)،المرجع السابق،ص214،215.

انطلق مع مرافقين له صوب المزاق واستقر بمزرعة آل برقة قرب تبسوس، ومنها أبحر رفقة سفينة تجارية اتجاه جزيرة سرسينة cercina(من كبر جزر قرقنة)عام 195ق.م باتجاه الشرق[1] وأعلن للمتصلين بأن الحكومة قد انتدبته سفيرا في مدينة صور ومن هناك أبحر إلى آسيا الصغرى[2]، وعند وصوله لصور استقبله أعيان المدينة بترحاب وبادر بزيارة معبد ملقارت، واختلف حول مدة مكوثه بمدينة صور ومن ثم انطلق متوجها إلى أنطاكيا من اجل لقاء الملك ابن انطوخيوس الثالث [3] واستمر في مقاومة الرومان بجميع الوسائل[4] ونزل صيفا إلى بلاط الملك انطوخيوس الثالث السلوقي أولا غير انه انتقل إلى بلاط بروسياس (Prusias)[5]ملك بيثينيا[6]بعد توقيع صلح أفاميا (Apamee)، وكان يحاول في كل مناسبة أحياء تحالف ضد العدو الروماني الذي يهيمن على البحر المتوسط وفي عام 183ق.م وبعد أن شعر بخيانة صديقه الذي أراد تسليمه لروما فضل حنبعل تجرع السم على أن يقع في أيدي أعدائه[7]. وهنا نستنتج أن هناك أنباء وصلت لحنبعل مفادها بدسائس تقام ضده ففضل تجرع السم على أن يقع في يد أعدائه .

بيد أن حنبعل كان يحمل السم اللازم له منذ أمد طويل في خاتمه وبه قضى على نفسه في 183ق.م[8]، والأمر المريب هو أن عدوه سكيبيو الإفريقي الذي انتصر عليه وقهره مات في نفس السنة مغضوبا عليه من حكومة روما ومطرودا من بلاده ولم تعترف له بالجميل حتى أمر قبل موته أن يكتب على قبره "أيها الوطن الناكر للجميل لن تنال عظامي"[9]وذكر فرانسوا دوكريه نقلا عن بوليب في لوحة

1-سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز،المرجع السابق ،ص277.

2-احمد صفر،المرجع السابق،ص235.

3-سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز، المرجع السابق،ص 278،279.

4-احمد صفر،المرجع السابق،ص235.

5-**بروسياس الأول (Prusias I):** من بيثينيا من مواليد 300ق.م مات سنة 181ق.م وتقلد منصب ملك .انظر: https://www.marefa.org/ (2024/06/14 على الساعة 19:52).

6-**بيثينيا(Bithynia)**:كانت بلدة قديمة في آسيا الصغرى، تمتد على طول الساحل الجنوبي للبحر الأسود. جاء شعب بِثينيا أصلاً من تراقيا فيما يعرف الآن بأوروبا الشرقية. انظر: https://www.marefa.org/ (2024/26/14على الساعة 20:00).

7-فرانسوا دوكريه،(قرطاجة إمبراطورية البحر)،المرجع السابق،ص215.

8-محمد بيومي مهران،المرجع السابق،ص279.

9-احمد صفر،المرجع السابق،ص235.

معبرة توجز حرب حنبعل في إيطاليا في خضم هذه الأحداث التي تؤلم الجميع من رومان والقرطاجيين كان سببها شخص واحد وفكرة واحدة هي حنبعل[1] .

وقام بتغييرات جذرية في مجلس القضاة وغير صيغة انتخاب أعضائه بحيث كانوا يعينون لمدى الحياة ، ونظرا لفساد هذا المجلس قرر تغيير صيغة التعيين أين أصبح أعضاء يعينون عن طريق الانتخاب ولمدة عام واحد فقط، واقر بقانون جديد يهدف لتقديم الحصيلة وتقارير الخزينة العامة للقضاء على عملية الاختلاس للمال العام وتفويض بفرض الضرائب على عامة الشعب ، يتضح من خلال الإصلاحات حرص حنبعل على الدفاع على الطبقة المحرومة المتمثلة في الشعب المغلوب عن أمره[2]، كما انه شجع على غراسة الزيتون لتكوين موارد ومداخيل جديدة للبلاد فانتعشت الأمة وتحسنت أحوالها لكن هذا التغيير الذي قام به حنبعل على كافة الأصعدة لم يرق لخصومه من الأغنياء فبدأ بالمناورات والمكائد لإثارة روما عليه[3].

وهذا النجاح الباهر الذي أحرزه حنبعل أثار حفيظة وحقد مناوئيه من ساسة قرطاجة وابلغ هؤلاء روما بشكوى مفادها أن حنبعل يحيك المؤامرات ضد روما بالتعاون مع انطوخيوس الثالث وأثار جدلا في روما وقامت بإرسال لقرطاجة[4] وتزامن إرسال الوفد مع فترة انتهاء منصب حنبعل وزوال الحصانة وصلت أخبار لحنبعل عن مؤيديه و جواسيسه المنتشرة في كل مكان أن المتآمرين ينوون القبض عليه أو اغتياله [5]وأدرك حنبعل الغرض الحقيقي للمبعوثين وقرر الفرار من قرطاجة[6] ودفعا بذلك أوصى حنبعل بأنه يوم مغادرته بعيد وصول الوفد الروماني بتوفير أحصنة عند بوابة المزاق ومن ثم التوجه إلىالساحة العامة التي يجتمع فيها المواطنون والسياسيون لإيهام الخصوم بتواجده في المدينة[7]وفر من

1-فرانسوا دوكريه،(قرطاجة إمبراطورية البحر)،المرجع السابق،ص215.
2-احمد سايح مرزوق ونور الدين شعباني، المرجع السابق، ص294.
3-احمد صفر، المرجع السابق، ص235.
4-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص483.
5-سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز، المرجع السابق، ص277.
6-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص484.
7-سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز، المرجع السابق،ص277.

قرطاجة في جنح الليل ولجأ في نهاية المطاف إلى بلاط الملك السلوقي[1] ووصل حنبعل لصور فور وصوله خبر مقدمه استقبله أعيان المدينة بترحاب وبادر بزيارة مبعد ملقارت وهو الإله الذي تسمى به والده واتخذه القرطاجيون وآل برقة العسكريون حاميا لهم في حروبهم وتذكر زيارة حنبعل لمعبد بأن قرطاجة كان تراسل وفادة سنوية إلى صور مخصصة لتكريم الإله ملقارت عبر تقديم هدايا ثمينة لمعابده وعند وصوله للقصر السلوقي استقبل كضيف مبجلا وطامعا في الاستفادة من عبقريته العسكرية وجعل منه سندا في الحرب القادمة أمام تدخلات الرومان في الشرق.

وأشار حنبعل على انطوخيوس وقدم مشروع عسكري متكامل من اجل الإعداد للحرب المحتملة، ربما أراد حنبعل إقحام روما في حرب ضروس كي لا تقم لها قائمة بعد ذلك وبالتالي يرجع لوطنه ويستعد لتجهيز الاستعداد للحرب ضدها مرة أخرى، وأكد للملك أن روما لا تقهر إلا في أراضيها وطلب من الملك تزويده ب100سفينة عليها 10الاف جندي من المشاة وألف فارس ليتوجه بها إلى إفريقيا حتى يدفع القرطاجيين للحرب وفي حالة فشل في إقناعهم ينعطف إلى إيطاليا من الغرب في حين انه على انطوخيوس توجه إلى بلاد الإغريق ويتركز فيها دون القدوم لإيطاليا من اجل إرباك الرومان ولإتمام مشروعه على أن يتصل بأتباعه في قرطاجة لإعلامهم بنواياه لكن كيف ذلك؟[2]

لما تمعن انطوخيوس في المشروع استطابه وبات حنبعل يفكر في طريقة يتصل بالقرطاجيين أملا في إقناعهم وكسب موافقتهم ولم يجرؤ على مراسلتهم خوفا من سقوط رسائله في يد العدو قبل وصوله إلى أصحابها فلجا إلى تاجر خبيث من مدينة صور يدعى اريستون[3] التقى به في افسس وكان اختياره بعد توكيل حنبعل لهذا التاجر بعض المسائل البسيطة فثبتت لديه كفاءة الرجل فظل يستدرجه بالهدايا

1-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص 484.

2- سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز، المرجع السابق، ص278،279.

3-**اريستون(Ariston)**: تاجر من صور التقى به حنبعل في مدينة افسس ، وطلب منه الاتصال بأنصاره في قرطاجة فقبل .وحل بها في غضون 193ق.م انظر : محمد حسين فنطر ،المرجع السابق ، ص 640.

وقدم له حنبعل أسماء الذين يتوجب عليه الاتصال بهم فور دخوله لقرطاج ومده بالمارات لا تترك له مجال للشك فيهم[1].

إن وثوق حنبعل باريستون أكيد أن لهذا التاجر مهارة وبراعة لهذا اختاره حنبعل وكلفه بمثل هذه المهمة الصعبة إلا وهي نقل الأخبار إلى قرطاجة.

ولكن زعيم كتلة المدن الايولية المسمى ثوواس عمل على تشويه صورة حنبعل واصفا إياه بالمتعصب واثر تلك الأحداث طلب حنبعل لقاء خاصا مع الملك من اجل الدفاع عن نفسه وتبرير ذمته مما نسب إليه وذكر الكاتب لقاءا ملخصا نقلا عن بوليب : "وبعد أن طلب حنبعل لقاء الملك بشكل انفرادي عمل ليقنعه بكل الأساليب على براءته وأمام تعنت الملك أفشى له حنبعل بسر قديم كان يخفيه منذ صغره ومفاده انه وفي سن 9من عمره ولما كان والده هاميلكار منطلقا إلى اسبانيا وفي جو ديني اقسم له أمام مذبح الآلهة ويده على الذبيحة ألا يكون أبدا صديقا للرومان ورجحت عدة دراسات أن شكوك الملك تلاشت بعد هذا اللقاء وما يؤكد الموقف انه رافق الملك في حملته التي انطلقت مبحرة عام 192ق.م صوب مدينة ديمتريس"[2].

وبالرغم من خروج حنبعل إلا أن إصلاحاته أحدثت تغييرا كبيرا فبحلول 151-150ق.م استوفت قرطاجة ما عليها من التزامات مالية بعد نصف القرن من توقيع الصلح الذي حرصت خلاله على الظهور بمظهر وفي [3]، وكانت فيما سبق قد عرضت قرطاجة على روما إذا سمحت شروط المعاهدة الواقعة أن تدفع أقساط الغرامة الحربية على 40عام وعرضت عليها أن تعينها بأسطول بحري إذا سمحت لها بإعداده وتجهيزه لكن روما قبضت المال ورفضت بناء الأسطول واهتم البونيين بإحياء الأراضي والنشاط الفلاحي أكثر من كل شيء أخر وهو الطريق الذي مهده حنبعل لهم وأرشدهم إليه في مدة

1-محمد حسين فنطر ،المرجع السابق ، ص 546.

2-سمير العيداني وعبد الحميد بودرواز، المرجع السابق، ص280.

3-محمد البشير شنيتي، (دراسات في التاريخ والآثار القديمة)، المرجع السابق، ص167.

وجيزة أما عن التجار فقدعادوا شيئا فشيئا إلى نشاطهم التجاري واخذوا يجوبون البحر ويفتحون أسواقا جديدة خصوصا نحو الشرق[1] .

2-الصراع مع ماسينيسا:

كان ماسينيسا ملكا طموحا قويا وحليفا لروما شجعته على التوسع على حساب قرطاجة وخصوصا أن معاهدة زاما كانت تمنعها من الدفاع عن نفسها بدون إذن روما[2]وأرغمت قرطاجة على إعادة الأراضي بإيداع الشكاوى لدى مجلس الشيوخ الروماني ضد ماسينيسا ولكن هذا المجلس لم يحرك ساكنا[3]، وكانت قرطاج تشتكي لروما في كل مرة تستغيث ولا تغاث[4]، ربما أن قرطاجة كانت ضد ماسينيسا عند تقديم الشكاوي لروما ، فكانت تقوم بإرسال الوفد وهذا الوفد يكون على هيئة استطلاعية هدفها مراقبة أوضاع روما وهل هي على استعداد للحرب أم لا؟ كما أن السبب المباشر لنشوب الحرب بين قرطاجة وماسينيسا وهو الاعتداء الذي تعرض له ابني ماسينيسا (ميكيبسا،غلوسا) في بعثة قرطاجة للاحتجاج على طرد أنصار الحزب المساند لماسينيسا[5].

وبعد المعاملة عومل بها أبناء ماسينيسا خرج ماسينيسا رغم كبر سنه وسار لحصار مدينة اورسكوبا [6]فأقرت قرطاجة على عزمها وقتالها وردت بالدفاع عن طريق جمع قوة عسكرية تتألف من 25الف من المشاة، و400فارس، اختار مجلس الشيوخ القائد صدربعل لقيادة الحرب ودامت 152-150ق.م[7]، وانتهت بمفاوضات بموافقة القرطاجيين على شروط التفاوض رغم أن قرطاجة كانت تدافع عن نفسها أمام استفزاز كبير لكن المبررات لم تشفع لقرطاجة أما شيوخ روما ولا سيما الحزب المتحفز لها من روما بزعامة كاتو الذي رفع شعار لابد من تدمير قرطاجة، أدرك القرطاجيون صدق عزم الرومان

1-احمد صفر، المرجع السابق، ص237.
2-نفسه ، ص237،238.
3-احمد سايح مرزوق ونور الدين شعباني، المرجع السابق، ص295.
4-احمد صفر، المرجع السابق، ص238.
5-احمد سايح مرزوق ونور الدين شعباني، المرجع السابق، ص295،296.
6-احمد صفر، المرجع السابق، ص239.
7-احمد سايح مرزوق ونور الدين شعباني، المرجع السابق، ص296.

على شن الحرب عليهم فسارعوا بإدانة قادتهم العسكريين الذين تسببوا في خرق المعاهدة،وحاولت قرطاجة من هذا التصرف تبرئة نفسها وإلقاء التهمة على القادة فأنزلت بهم عقابا شديدا، وحكمت عليهم بالإعدام وقامت بإرسال بعثة إلى روما تشكو من عدوان ماسينيسا وتلقي باللوم والتهم على القادة الذين اعدموا في فقدان القرطاجيين لأعصابهم والاشتباك معه. سال احد أعضاء المجلس الشيوخ المبعوثين القرطاجيين لماذا لم تدينوا هؤلاء القادة قبل الحرب؟فلم يجيبوا[1].

ربما لأن قرطاجة كانت لها يد في ذلك، ولكن عند اشتداد الظروف وتأزم الأوضاع ألقت قرطاجة باللوم على القادة لتبرئة نفسها أمام روما ويبقى مجرد افتراض.

3-الجوسسة خلال آخر ربيع 149ق.م:

بعد إعلان روما لشروط التفاوض قبلت قرطاج البعض منها لكن روما بالغت في فرض شروط أخرى إلا أن صرحت لهم بالخروج من المدينة نهائيا التي تقرر تهديمها وان يقيموا في أي مكان آخر يروق لهم على شرط أن يكون بعيدا عن البحر بـ 80استادا ما يعادل 15كلم تقريبا، والمعروف أن القرطاجيين امة بحرية حكم عليها بالموت وهاهي تريد أن يدفع العدو ثمن حياتها غاليا فأغلقت الأبواب وصمدت في وجه القوات الرومانية طيلة 3سنوات بقوة لم تكن متوقعة من طرف مجلس الشيوخ الروماني، ولم يقرا لها حساب وبعزيمة ثابتة وإرادة فكان دفاعها دفاعا هائلا[2]، وقد تسلم قيادة الجيوش اصدربعل القائد الفار من قرطاجة عقب خرق المعاهدة مع الرومان بالتعاون مع اصدربعل حفيد ماسينيسا ويظن انه حفيده من بناته وقدم القرطاجيين طلب مفاده هدنة لمدة شهر[3].

فكيف بقرطاجة أن تفاوض روما حول هدنة ولمدة شهر وخصوصا في مثل هذه الظروف؟ الأكيد أن طلب قرطاجة لمدة شهر لم تطرح هباء فطلبها لمدة شهر أكيد لاستعداد وتجهيز لدخول في حرب أخرى، وعلى اثر ذلك انقلبت قرطاجة لخلية نحل تعج بالنشاط على مدى 24ساعة كل يوم

1-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص476،477.
2-احمد صفر، المرجع السابق، ص244،245.
3-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، 479.

وتحولت حتى المعابد لمصانع وورش لصنع الأسلحة والذخائر من جديد وقام القرطاجيون بتقوية أسوار المدينة وقام القائد اصدربعل الذي يسيطر أنصاره على ريف قرطاجة بإمداد المدينة بما تحتاج إليه من المؤن[1] وتبرعت النساء جميعا بما يملكن من الذهب والحلي[2].

4-الجوسسة خلال صيف 149ق.م:

ظهر مع حلول فصل الصيف القنصلان مانيلوس وكوسيرنوس أمام أسوار المدينة بجيشهما وأسطولهما، وكانا يظنان أن المسألة هينة ويكفي نصب السلالم وتسلق الأسوار بكل سهولة لكنهما شاهدا وأندهشا ولم يتوقعوا ما حدث فاضطروا إلى الرجوع إلى الوراء وتدبير خطة الحصار تدبيرا جديا، واظهر القائد القرطاجي حماسة ومن أبرزهم وأشدهم بأسا فامياس خيملكن قائد كتائب الفرسان البونية الذي هجم مرة على الرومان وهم يقطعون الأشجار وقتل منهم ما يزيد عن 500رجل وكان الرومان يهدمون الأسوار في النهار ويتم بناؤها في الليل من قبل القرطاجيين، وهذا يدل على براعة وخفة القرطاجيين[3]،حيث كانوا يرمونها لحمايتها من الرومان.

5-الجوسسة خلال خريف 149ق.م:

بادر القنصل الروماني ببناء جدار وإقامة الحصون الصغيرة لحماية انزل وبعد الانتهاء من أعمال اخذ معه 10الاف من المشاة و600من الفرسان، وشرع في غزو البلاد لجمع الحطب وكان فامياس خيملكن يترصد في كل مكان ويهجم بغتة على الجنود كلما أتيحت له الفرصة وغفل الأعداء، ويلحق بهم أضرار جسيمة ويفتك بهم فتكا ذريعا ويختفي بسرعة[4]، نستنتج بأن الفضل كان لفامياس الذي تميز بخفته وتمكن من التنكيل بجنود العدو وكان يختفي ويظهر متى يشاء ويتوارى عن الأنظار خشية رؤية العدو.

1- محمد عبد السيد عبد الغني ، المرجع السابق ،ص479.

2-سترابون ، المرجع السابق،ص114.

3-احمد صفر ، المرجع السابق ،ص 246.

4-نفسه ، ص246،247.

وأقام اصدربعل بمعسكره قرب نفريس فوق هضبة منيعة تطل غربا على خنقه الحجاج تمر اقرب طريق تربط بين قرطاج وخليج الحمامات واشرف صدربعل على المواصلات برا مع الساحل الشرقي الذي توجد به مدينة نابل المحافظة على إخلاصها وولائها للبونيين ، اختيار اصدربعل لإقامة معسكره كان لحكمة ما ولهدف أولا انه كان فوق هضبة منيعة بحيث يكون في مأمن العدو حتى ينفي شره، كما انه موقع استراتيجي نظرا لإشرافه على إيصال المدد برا، وبذلك تكون الهضبة المنيعةكبرج مراقبة يراقب من خلاله العدو ويتحصن به.

حاول الرومان الزحف نحو معسكر اصدربعل ووصلوا أمام مجرى وادي كان من المفروض النزول فيه ومنه الخروج إلى جهته المقابلة وأدرك سكيبيو خطورة العملية وأشار بالرجوع للوراء وهذا ما سخر زملاؤه منه فقطع مانيلوس عزمه على السير إليه ودارت معركة بين قرطاجة وروما ولما أرادوا الرجوع اختل نظامهم فهجم اصدربعل، فقد استغل الفرص، مراقبة فرص للإيقاع بالعدو في أي وقت فنجد اصدربعل المتمرس استغل الفرصة وهجم عليهم وفتك بهم واستمر في تقتيلهم والتنكيل بهم[1].

6-الجوسسة خلال صيف 148ق.م:

حاول الرومان مهاجمة المدن التي لم تنعزل عن قرطاج وعلى سبيل المثال نذكر قليبية ونابل وبنزرت، فلم تستسلم منها إلا مدينة نابل حاول الهجوم على قليبية لكن بدون جدوى، ربما أنها محصنة وهذا جعلها تصمد في وجه العدو،أما بنزرت فقد فرض عليها حصارا طويلا استمر إلى أخر الخريف ولكنها صمدت في وجه الرومان وقاومتهم وأحرقت الآلات الحربية فارتحل عنها في أخر الأمر لقضاء الشتاء بأوتيكا، وفي تلك الأثناء كان القرطاجيون يسعون بجميع الوسائل وحاولوا جاهدين لإيجاد حلفاء من الموريطانيين بالمغرب أو من النوميديين وكانوا يقولون لهم بان روما ستنقلب ضدهم وتستولي عليهم وتبذل كل جهدها في إخضاعهم واستعمارهم إذا خرجت منتصرة من حرب قرطاجة[2].

1-احمد صفر، المرجع السابق، ص247

2-نفسه ، ص250

وبذلك اذكر ان قرطاجة حاولت جاهدة البحث عن حليف وسربت لذلك أخبارا لجيرانها تقضي بأن الرومان وان حالفواجيرانها، وحاولوا تأليبهم ضد الرومان المخادعين وتشويه صورتهم وأنها خير دليل على ماحدث طيلة فترة الحروب، وما استعملت معها من غدر وخديعة وتنكيل وخلف للمواثيق والمعاهدات.

7-الجوسسة خلال ربيع 147ق.م:

كانت المؤن تصل لقرطاجة عن طريق البحر، ربما أن القرطاجيين بما أنهم بحارة بامتياز طلبوا وصول إمداداتهم عن طريق البحر عوضا عن البر وكان القرطاجيون يستغلون رجالا ونساءا أناء الليل وأطراف النهار لصنع أسطول جديد ولفتح ترعة تكون مدخلا جديدا للمرسى الحربي، وكانت الأعمال تجري بسرية، ونطرح التساؤل كيف استطاعوا إخفاء أعمالهم عن روما بالرغم من أنهم كانوا محاصرين ومراقبين من طرف روما؟ وهذا يعد من براعة القرطاجيين في التمويه، وكذا نظرا لجهازهم الاستخباراتي الذي كان يراقب الرومان وتحركاتهم ويتحرك على أساس المعلومات [1].

8-الجوسسة خلال شتاء 146ق.م:

كانت الجيوش القرطاجية كثيرة خارج المدينة وتسعى في الإيصال بعض المؤونة لقرطاجة بطرق ملتوية[2]، حاول القرطاجيون وصمدوا إلى أن لقوا حتفهم، وتحملوا الحصار الطويل وبذلوا مجهودات كبيرة لإنقاذ المدينة من الدمار، وما إن حلت سنة 146ق.م حتى كانت نهاية قرطاجة التي عمرت قرابة سبعة قرون[3].

III-الجوسسة النوميدية:

1-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي ،المرجع السابق،ص 70،69

2-احمد صفر، المرجع السابق، ص256.

3-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق، ص70.

بعد هزيمة القرطاجيين في زاما ومعاهدتها المجحفة والمفروضة عليها ظهرت نوميديا كقوة لا يستهان بها في حوض البحر الأبيض المتوسط[1]، وكان لها دورا هاما بفضل جيشها الذي تفوق في الأساليب العسكرية ما جعل روما تنظم للنوميد و تحالفهم خاصة وان عدوهم مشترك، وبذلك استغلتهم روما لصالحها وكان لهم بالمقابل نصيب من المعاهدة المفروضة على القرطاجيين سنة 201ق.م، وبذلك كان لهم دورا أساسيا في الصراع العسكري الذي دار في المنطقة بين جارتهم قرطاجة وبين الرومان. وكان ماسينيسا العدو المباشر الذي واجه قرطاجة في إفريقيا وحكم مملكة نوميديا ما يقارب 60عاما، وله الكلمة العليا في كل شؤون القبائل التي قادها ولعبت مملكته دورا مؤثرا في الأحداث لمدة 50 عاما، وظهرت كقوة تحت زعامة رجل مقتدر استطاع فرض سيطرته على جزء كبير من مملكة نوميديا[2]، وعمل على تشجيع الفلاحة وتلقين القبائل انجح الأساليب الفلاحية حتى يصبح الإفريقي محبا للأرض ومنتجها ويعبر عن حبه لها بالحراثة والزراعة وغرس الأشجار، ومجد المؤرخون سياسته في المجال الزراعي، وتنوعت المحاصيل الزراعية لدى النوميد كذا تصديرها وأحدثت وفرة في الإنتاج خاصة الحبوب (القمح ،الشعير) غطت بها الاستهلاك الداخلي وكذا تصديرها، وقام ماسينيسا بإرسال ألف صاع من القمح لجيوش روما المحاربة في مقدونيا خلال 200ق.م وبعد سنة أرسل حوالي مليون صاع للجيش الروماني بمقدونيا دعما للجيوش الرومانية[3].

كما شكّلت المدن الزراعية الكبرى أسواقاً داخلية يجتمع فيها التجار في فصل الصيف بعد موسم الحصاد الذي يكون فيه المحصول جاهزا للتسويق، وكانت مدينة باجة سوقا كبيرا للحبوب وكانت سيرتا من أهم الأسواق التجارية التي وفد إليها التجار من مختلف مناطق المملكة، واسترجع ماسينيسا معظم المدن الساحلية التي أصبحت بوابات له على عالم البحر المتوسط وكسر الاحتكار الذي فرضته قرطاجة في المنطقة منذ أمد طويل وهذا ما ساهم في إنتعاش الحركة التجارية للمدن النوميدية[4]، فقد

1-زكرياء جودي، المرجع السابق، ص17.

2-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق، ص57.

3- يوسف زواري احمد وزينب بالعابد، "ماسينيسا ودوره بناء دعائم التطور الحضاري للمجتمع النوميدي"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 6، العدد 2، أكتوبر 2022، ص1313.

4-نفسه ،ص ص1313- 1315.

عرفت نوميديا نشاطا تجاريا واسعا تجاوز أسوار روما ليشمل العديد من البلدان المتوسطية، وكانت صادرات المملكة من أهم السلعة المصدرة.

في الأخير يمكن القول أن قيمة الدعم الذي قدمه ماسينيسا للرومان خلال حملاتهم العسكرية من حبوب وحيوانات الفيلة تظهر مدى الثراء الاقتصادي الذي عرفته المملكة في فترة حكم ماسينيسا جراء سياسته الراشدة التي أفضت إلى تنظيم الحياة الاقتصادية الزراعية والتجارية، فقوة العلاقات التجارية تبرز مكانة المملكة بين الدول المجاورة وتعزز الاستقرار السياسي داخل المملكة النوميدية[1].

فضلا عن الدعم العسكري والفرسان والجيوش التي ساندت روما خلال حروبها، فقد كانت روما ترقب عن كثب ما يجري في نوميديا وحدثت موجة من التنظيمات داخل مملكة نوميديا على عهد ماسينيسا وتطورت المملكة إلى حد كبير وتركت فرصة لماسينيسا حتى يضعف قرطاجة وأتاحت له جني ثمار جهودها ويضم أجزاء من قرطاجة لمملكته[2].

1-الجوسسة خلال 193ق.م:

قام ماسينيسا في حوالي 193ق.م بسلسلة من الغارات على جارته قرطاجة تنفيذالرغبة روما، واستولى على جزء من الأراضي القرطاجية، وهذا ما أدى بالقرطاجيين لرفع دعوى تشكو فيها ماسينيسا بمجلس الشيوخ وكان سكيبيو صديقا لماسينيسا ولم يجد مبررا لغارات الملك النوميدي على قرطاجة وما كان بوسعه، إلا أن حكمه جاء في صالح ماسينيسا وربما ذلك بتوجيه من مجلس الشيوخ[3].

وبذلك استغل ماسينيسا بند من بنود المعاهدة المفروضة على القرطاجيين وسار متوسعا على أراضيها وبحماية من المجلس الشيوخ.

2-الجوسسة خلال 182ق.م:

1-يوسف زواري احمد وزينب بالعابد، المرجع السابق ، ص1315.

2-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق، ص59.

3-نفسه ، ص60.

كانت أطماع ماسينيسا تصب في توحيد المنطقة تحت راية واحدة من خليج السرت إلى الملوية، وكان يرى في استمرار قرطاجة دولة ذات سيادة مهما كان نشاطها بمثابة عقبة تحول دون تحقيق هذا الغرض وعمل بكل الوسائل وجاهدا لمنع التقارب بين روما وقرطاجة ولتحقيق ذلك بذر الشك في قلب روما باتجاه القرطاجيين مدعيا أن قرطاجة زودت خلال 182ق.م أسطول لمساعدة المقدونيين في حربهم ضد روما، خاصة بعد أن هدأت الأوضاع بعض الوقت ماسينيسا لتنظيم شؤون مملكته في حين تمتعت قرطاجة بالرخاء والسلم، ما احزن الملك ماسينيسا فعاد وجدّد النزاع حول الأرض المعروفة بالسهول الكبرى 174ق.م، وعندما فشل في الاستيلاء عليها اتهم القرطاجيين باستقبالهم لبعثة مقدونية في السر للتفاوض حول تقديم المساعدات ضد روما[1].

حاول ماسينيسا كل ما بوسعه لتوريط قرطاجة واتهامها بالفساد إحاكة المؤامرات ضد روما وذلك لإعلان هذه الأخيرة الحرب عليها ولا تقم لها قائمة بعد ذلك، فاستحوذ على الأرض بجهة الحدود الغربية كان قد أفتكها أبوه غايا من القرطاجيين في حين تم استعادتها وأرجعها سيفاكس لهم[2].

3-الجوسسة خلال 174ق.م:

استولى ماسينيسا على 70 مدينة أو قلعة بونية[3]، وذلك ليس بالأمر الهين أكيد أن ماسينيسا سيستفيد من المدن التي استولى عليها وربما يحولها لقلع عسكرية وأبراج ومنها يتجسس على قرطاجة، وينطلق من أخرى لمواصلة توسعاته على حساب الأملاك القرطاجية، غير أن المصادر لم تذكر أسماء المدن، ورفعت قرطاجة مرة أخرى الشكوى ويرجع السبب في أن روما لا ترغب في التورط في حرب جديدة وخصوصا في مثل هذه الظروف لأن هذا قد يعرضها للهزيمة[4]، لذلك تركت الفرصة لماسينيسا ليكمل توسعاته التي تهدف إلىإضعاف قرطاجة وهو ما تهدف إليه روما.

1-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي ، المرجع السابق ، ص60،61.

2-احمد صفر، المرجع السابق، ص238.

3-نفسه،ص238.

4-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق، ص62.

4-الجوسسة خلال 162-161ق.م:

كان ماسينيسا ينظر لمنطقة الامبوريا في إقليم طرابلس بليبيا الحالية وتضم المنطقة العديد من المدن والمحطات التجارية ومن أبرزها صبراتة وطرابلس الحالية،فضلا عن كونها وسيطا تجاريا بين الساحل والمنطقة الخلفية منها[1]،وبهروب احد المتمردين من ماسينيسا اسمه افتير إلى طرابلس قام بمطالبة قرطاجة به لكنها رفضت فقام ماسينيسا بالهجوم على إقليم الامبوريا في السرت الصغرى التابع لقرطاجة وهو الإقليم الأكثر ثراء[2]، وبعد أنضم ماسينيسا إقليم الامبوريا أصبحت حدود مملكة نوميديا تمتد من سيغا في الغرب إلى حدود قورينائية في الشرق[3].نستنتج من هنا أن ماسينيسا كان يحاول إيجاد عذر أو سبب لقرطاجة لينفض عليها فتعذر برفضها لطلبها وبالتالي دخل أراضيها وربما أراد من ذلك مراقبة أوضاع قرطاجة وتحركاتها ووضعها تحت نصب عينيه.

5-الجوسسة خلال 154ق.م:

ضم ماسينيسا بعض الأراضي ومنها دوقة وعلى جهة دوقة[4]، ونخلص في الأخير إلى أن سياسة ماسينيسا اتجاه قرطاجة لم تقف على التحرشات العسكرية فقط بل بث العيون والتنظيمات المعادية لها في مدينة قرطاجة نفسها سواء أكان ذلك من القرطاجيين أنفسهم الذين يمثلون المعارضة أو من النوميديين الذين كانوا يوهمون القرطاجيين ويخفون عليهم الأغراض التي من اجلها يقيمون في مدينة قرطاجة[5]، حاول النوميد البقاء في قرطاجة والمكوث فيها لفترة وذلك لمراقبتها، وبالتالي أخبار ماسينيسا بما يحدث كي لا تغفل عنه أحوالهموأخبارهم وبالتالي هذا لصالحهم ولصالح روما.

6-نشوب الحرب بين ماسينيسا وقرطاجة 151-150ق.م:

1-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي ،المرجع السابق ، ص62.

2-زكرياء جودي، المرجع السابق، ص17.

3- عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق،ص62.

4-احمد صفر، المرجع السابق، ص238.

5-محمد الصغير غانم،(المملكة النوميدية والحضارة)، المرجع السابق، ص66.

استمر ماسينيسا في اعتداءاته وتهجماته وأسرف في عدوانه وأفرط في احتقاره لقرطاجة واستخف بها، وكوّن ماسينيسا داخل قرطاجة نفسها حزبا يؤازره وأنصارا يؤيدونه ولا يوافقون على مقاومته وإشهاره للحرب[1]، ففي عامي 150-151ق.م حدث خلاف سياسي داخلي في قرطاجة ونجح الحزب الشعبي في نفي زعماء الحزب الموالي لماسينيسا في قرطاجة الذين يرغبون في التواصل معه للاتفاق وأصر الملك على عودة هؤلاء المنفيين في تدخل صارخ في الشؤون الداخلية لقرطاجة ما جعل صبر قرطاجة ينفذ ويعلنوا الحرب على ماسينيسا غير عابئين ببنود وقيود اتفاقية السلام مع روما التي عقدت بعد زاما، وحدث التحام عنيف وانتهى بنصر متواضع للنوميد وترتب عنه موافقة القرطاجيين على التفاوض، ونجح ماسينيسا في قطع المؤن والإمدادات عن خصومه، واستسلم القرطاجيون ووافقوا على إخلاء الحدود المتنازع عليها ودفع تعويض مالي مقدر ب 50الف تالنت على مدى 50عاما وأثناء انسحاب القرطاجيين انقض عليهم (غلوسا ابن ماسينيسا) وقضى على معظمهم وفرت قلة منهم لقرطاجة وهكذا أسفر الموقف عن توسع جديد لماسينيسا، الأمر لذي كانت روما تحاول تحجيمه حتى لا يخل ميزان القوى داخل شمال إفريقيا، وبالتالي يهدد المصالح الرومانية رغم تحالف ماسينيسا مع روما[2].

وقام ماسينيسا بإرسال ابنيه ميكيبسا وغلوسا إلى قرطاجة مطالبا بإرجاع أتباعه لديارهم، ولكن البطريق قرتلون منع الأميرين من دخول المدينة وعند سماع ماسينيسا بالخبر خرج على رأس قوات نوميدية وجمع جيشا رغم كبر سنه وهاجم اورسكوبا واستمر الأمر حتى تفشت الأمراض الوبائية في الجيش القرطاجي ، وانقاد القرطاجيون صاغرين لشروط الملك النوميدي المجحفة وإعادة الفارين من جيشه، وذلك حتى ينزل بهم اشد العذاب،أن احتمال انتشار الأوبئة في صفوف الجيش القرطاجي ربما قد يكون مفتعل من ماسينيسا وذلك لإضعاف الجيش بعد ما رآه استعاد قوته فعمل على دحره والانقضاض عليه كما أن إصرار ماسينيسا على استرجاع الفارين من جيشه قصد الاستفادة منهم وما رأوه خلال الحملات من تنظيم الجيش والتكتيكات الحربية ربما لهذا أراد استرجاعهم للاستفادة وعند انتهاء من ذلك يقوم بمعاقبتهم .

1-احمد صفر، المرجع السابق، ص238،239.

2-محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص476،477.

وخلاصة القول أن توسعات ماسينيسا اتخذت صيغة تاريخية معتبرة وحد على أثرها المملكة بصفة نهائية وأرغمت قرطاجة على قبول الأمر الواقع الذي أصبح يتمثل في وجود مملكة نوميديا مترامية الأطراف محاذية لدولة قرطاجة كما أن وحدة نوميديا قد أثارت لدى بعض الأوساط الرومانية من الغيرة الممتزجة بين الطمع والكراهية، وبهذا تغيرت مشاعر ماسينيسا اتجاه روما حيث كان في قمة الغضب عندما رأى الرومان قد جاءوا ليجنوا ثمرة جهده الطويل ونصره الأخير على قرطاجة، وأدرك بأنه ما كان إلا أداة استغلتها روما لإضعاف قوة قرطاجة، ووسيلة لإعلان الحرب عليها وتغيرت نظرتهم لروما، كما أن أبناء ماسينيسا غلوسا – مصطنبعل قد اظهروا بعض الفتور في مساعدة الرومان[1].

ومع شتاء 148ق.م مرض ماسينيسا مرضا عضالا وأحس بدنو اجله[2]، دون أن يشهد سقوط قرطاجة في أيدي الرومان[3]،وقسمت السلطة بين أبنائه الثلاث وكان معروف على الملك غلوسا بأنه خبير في حرب المناوشات والهجوم على الكمائن[4].

تعتبر حرب الكمائن من ابرز الاستراتيجيات العسكرية المطبقة خلال العصر القديم ويعتبر فن الكمائن من الفنون العسكرية التي عرفها وطبقها الجيش النوميدي، وذكر بأنه خلال حكم ميكيبسا حين تولى أخوه غلوسا وزارة الدفاع، وقد تلقى منه القائد الروماني سكبيو ايمليانوس مساعدة عسكرية تتمثل في فرقة من الفرسان الشجعان بقيادة فامياس المشهور بإدارة الكمائن وبخيوله السريعة والصبورة للجوع والعطش واختار هذا القائد الأدغال والوديان الضيقة أو أي مكان آخر صالح للاختباء، ومن ثم الخروج من مخبئه والانقضاض على الخصم، وبمجرد استرجاع هذا الخصم نظامه ويجمع قواته ينسحب بسرعة دون أن يلحق بقواته أي أذى هكذا كانت الحرب البونية الثالثة (149-146ق.م) دامت ثلاث سنوات انتقل خلالها ماسينيسا إلى عالم الأموات 148ق.م، بعد أزيد من نصف القرن من

1-محمد الصغير غانم، (المملكة النوميدية والحضارة البونية)، المرجع السابق، ص67.

2-احمد صفر، المرجع السابق، ص248.

3-احمد سايح مرزوق ونور الدين شعباني،المرجع السابق، ص298.

4- احمد صفر، المرجع السابق، ص248.

الكفاح والبناء تمكن من خلاله تغيير وجه الخريطة السياسية لنوميديا التي أصبحت تمتد من نهر الملوية إلى سرت الكبير.

ختمت الحرب البونية بنهاية قرطاجة ووفاة الملك ماسينيسا الذي لطالما طمح لتوحيد إفريقيا وجعلها قوة يحسب لها ألف حساب والتزم ماسينيسا بخطة بعد تدخل الرومان وقدومهم لشمال إفريقيا بالحياد ولم يعنَ الرومان لأن جوار قرطاجة السلمية الضعيفة خير له ولجيشه من جوار الرومان العسكريين ويؤكد الكاتب نقلا عن البيرومي عن فرنال: "أن ماسينيسا لم يعين الرومان إلا بقصد إسقاط قرطاجة عدوته القريبة ولو قدر له أن يعيش أكثر مما عاش لحارب الرومان أيضا مثل ما فعل حفيده يوغرطة"[1].

1-زكرياء جودي ، المرجع السابق ، ص 18.

الخاتمة

من خلال دراسة ومعالجة موضوع الجوسسة ودورها في تغيير موازين القوى خلال الحروب البونية (264-146ق.م) توصلت إلى مجموعة من النتائج سأوجزها فيما يلي:

-أسس الفينيقيون العديد من المستوطنات في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وتزعمت هذه المستوطنات مدينة قرطاجة، ونظرا للسياسة الاقتصادية لهذه الأخيرة وسيطرتها على الكثير من المنافذ البحرية في هذا الحوض حتم عليها أن تصطدم بالرومان.

- تأسستمدينة روما داخل شبه الجزيرة الإيطالية وبفضل العنصر الروماني، انتقلت من المرحلة الملكية إلى المرحلة الجمهورية، حيث انتهجت السياسة التوسعية ووجهت أنظارها صوب الحوض الغربي للمتوسط، بهدف منافسة على الاقتصاد والسيطرة على المنافذ البحرية، وهذا ما حتم عليها الصراع مع قرطاجة.

-كان التنافس الاقتصادي بين قرطاجة وروما أحد أهم أسباب الصدام،مما أدى إلى قيام ثلاث حروب عرفت تاريخيا بالحروب البونية الثلاث (264-146ق.م)، ومس هذا الصراع المملكة النوميدية بشقيها الشرقي والغربي، وهذه الأخيرة كانت تشكل طرفا ثالث له وزنه في المعادلة الحربية.

- برع أطراف الصراع الثلاث خاصة قرطاجة ورما في توظيف الجوسسة خلال هذه الحروب (264-146ق.م)، واستغلوا توظيف المعلومات بغاية الفوز بالحرب، كما يجب الإشارة إلى أن التجسس في العهد القديم مختلف عن مفهومه الآني من ناحية الوسائل المستعملة في نقل الأخبار.

- كان للتجسس دورا هاما خلال الحرب البونية الأولى (264-241ق.م)، ويمكن ملاحظة ذلك خلال حصار مسينا 263ق.م، حيث استثمرت روما في مواقف الملك هيرون الذي تحالف معها بعد الإنقلاب على قرطاجة وزودها بالكثير من المعلومات، خاصة وهو على علم بنقاط القوة والضعف عند قرطاجة.

-تجسس الرومان على قرطاجة صناعيا من خلال تقليد النموذج القرطاجي في بناء السفن الخماسية أثناء معركة ميليس 261ق.م. مما مكنهم من فرض أسلوبهم الحربي.

– لعب القنصل الروماني ريغولوس دورا كبيرا في سنة 256ق.م، حيث نزل بقواته في سواحل قرطاجة، واستعان بالكثير من النوميد وهذا العمل يندرج تحت مفهوم التجسس على القوات القرطاجية، والسيطرة على أهم المواقع الاستراتيجية.

– اندلعت ثورة الجند بعد نهاية الحرب البونية الأولى سنة 241ق.م، وفيهاسمحت روما لقرطاجة بتجنيد المرتزقة من إيطاليا كمجندين في الجيش القرطاجي وربما استغلتهم روما كجواسيس على الأوضاع القرطاجية بعد هذه الثورة هذا من جهة، ومن جهة أخرى للتجسس على مدى استعدادات القوات القرطاجية، في حال قيام الحرب من جديد.

– كانت الجوسسة القرطاجية على يقظة تامة خلال هذه الحرب، حيث ساعدها موقعها الجغرافي ونشاطها البحري على استسغاء أخبار الإغريق والرومان، وكان الهدف الأول من سيطرتها على مضيق مسينا بحامية عسكرية سوى التجسس على تحركات الرومان وحلفائهم.

– استفادت قرطاجة من أسر القنصل ريغولوس 256ق.م، وربما خلال أسره استسغت منه الكثير من الأخبار والخبرات، وكل هذا يندرج تحت مفهوم التجسس على روما وعلى مدى استعدادها لإكمال الحرب، كما تحالفت مع القائد النوميدي نارافاس خلال ثورة الجند، ومن خلال هذا التحالف تجسست على أحوال تنظيم هذه الثورة، مما ساهم في اخمادها.

– ساهمت الجوسسة في تغيير الكثير من موازين القوى خلال الحرب البونية الثانية، وهذا بداية من السفارات التي كانت ترسلها روما أثناء حصار حنبعل لمدينة ساغنتوم، فكانت أعمال هذه البعثات الحوار مع حنبعل من جهة ومن جهة أخرى التجسس على القوات المحاصرة لهذه المدينة.

– قام حنبعل بعدة معارك في روما منها معركة تيسنوس، تريبيا، وكان نجاحه **بناءاً** فيها على تقارير الجواسيس التي كانت تصله من معسكرات الجيش الروماني.

– ساهم الملوك النوميد بقدر كبير في الحرب البونية الثانية، كما لعبت تحالفاتهم دورا مهما في قلب ميزان القوى، لكون تلك التحالفات استعملت كجوسسة وجوسسة مضادة بين القوى المتصارعة قرطاجة وروما، وأبرز مثال في ذلك الملك سيفاكس حينما تحالف مع الرومان وبقي عنده ضباط يدربون له

الجيش من جهة ويتجسسون على مملكته من جهة أخرى، أما عندما حالف قرطاجة وتزوج الأميرة سوفنزيبة فيمكن القول أن القرطاجيين قد أستعملوها كجاسوسة على هذا الملك، أما ماسينيسا فمنذ أن تحالف مع روما قدم لها مساعدة بجواسيسه خاصة خلال عودته إلى نوميديا وذلك من خلال مراقبته لأوضاع وتحركات قرطاجة.

– أرسلت قرطاجة وفدا بعد نهاية معركة السهول الكبرى سنة 203ق.م من أجل التفاوض مع القنصل سكيبيو حول أهم القرارات التي اتخذها اتجاه سكان قرطاجة، وعمل هذا الوفد يدخل في مفهوم التجسس القرطاجي على معسكر سكيبيو.

– لعب الجواسيس دورا هاما في نجاح سكيبيو خلال معركة زاما 202ق.م، عندما أدركوا نقطة ضعف أقوى سلاح يمتلكه حنبعل ألا وهو الفيلة، كما ساهم إطلاق سراح الجواسيس القرطاجيين من طرف سكيبيو في انهيار نفسية جيش حنبعل.

– كانت الجوسسة على أشدها بعد الحرب البونية الثانية خاصة عندما نصب حنبعل شفط في قرطاجة، فكانت البعثات الرومانية في ظاهرها تبحث عن الصلح بين ماسينيسا و قرطاجة وفي جوهرها تبحث عن اغتيال حنبعل هذا الأخير هرب باتجاه الشرق بعدما علم من جواسيسه ما يحاك ضده.

– اخترق ماسينيسا قرطاجة بالعديد من الجواسيس وحاول توريطها مع الرومان سنة 182ق.م حينما أبلغ روما أن قرطاجة أرسلت أسطولا حربيا لمساعدة المقدونيين.

– تجسس القنصل سكيبيو الإيميلي على مدى جاهزية قرطاجة قبل الحرب البونية الثالثة أي منذ أن كانت الإشكالية بين قرطاجة و ماسينييسا سنة 151ق.م

– ساهم الجواسيس الرومان في تسهيل عملية الحصار قرطاجة، منذ أن اتجه إليها القنصل كاتو الذي رفع شعار "يجب أن تدمر قرطاج" على رأس بعثة تبحث تطورات الصراع القرطاجي النوميدي.

– حاصر سكيبيو الإيميلي قرطاجة بداية من السنة 148ق.م، وبفضل تقارير الجواسيس توصل إلى أن الحصار يجب أن يدعم بقطع الإمدادات عن قرطاجة من جهة البر وليس البحر فقط، مما أدى إلى سقوطها سنة 146ق.م

– ساهمت الجوسسة في قلب موازين القوى خلال الحروب البونية الثلاث، خاصة الحرب البونية الثانية، حيث كانت نقطة فاصلة في تاريخ قرطاجة مما أدى إلى إفراغ هذه الأخيرة من روحها حتى القضاء عليها نهائيا في الحرب البونية الثالثة.

الملاحق

الملحق رقم 01: موقع قرطاجة والميناء المزدوج



المصدر: بشير عطية كيحل، (قرطاجة والممالك النوميدية)،المرجع السابق، ص75.

الملحق رقم02: خريطة توضح مواقع التوتر الإقليمي بين الأطراف المتجاورة على المضايق الحيوية بين حوضي المتوسط الشرقي والغربي



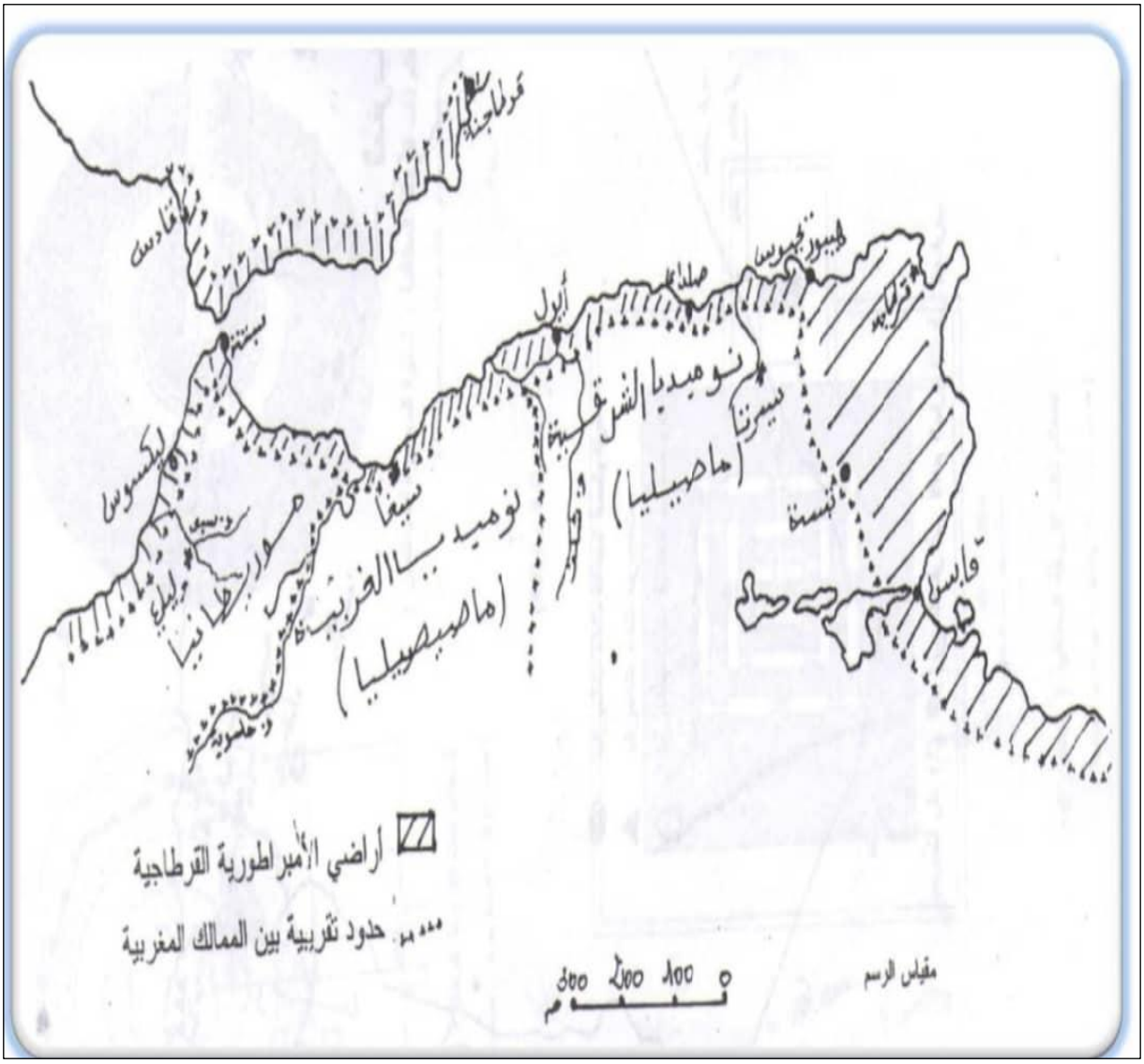
المصدر: محمد بشير شنيتي، (دراسات في التاريخ والآثار)، المرجع السابق، ص149

الملحق رقم 03:جزيرة صقلية



المصدر: سميحة لعويسي، الصراع القرطاجي من منتصف القرن 6 ق.م- 3 ق.م، مذكرة ماستر، جامعة 08 ماي 1945، الجزائر، 2015-2016، ص41.

الملحق رقم 04: مملكة نوميديا قبل التوحيد



المصدر: بشير عطية كيحل، (قرطاجة والممالك النوميدية)، المرجع السابق،ص66.

الملحق رقم:05 مملكة نوميديا الموحدة



المصدر: بشير عطية كيحل، (قرطاجة والممالك النوميدية)، المرجع السابق،ص67.

الملحق رقم 06 : صورة توضح صورة سيفاكس



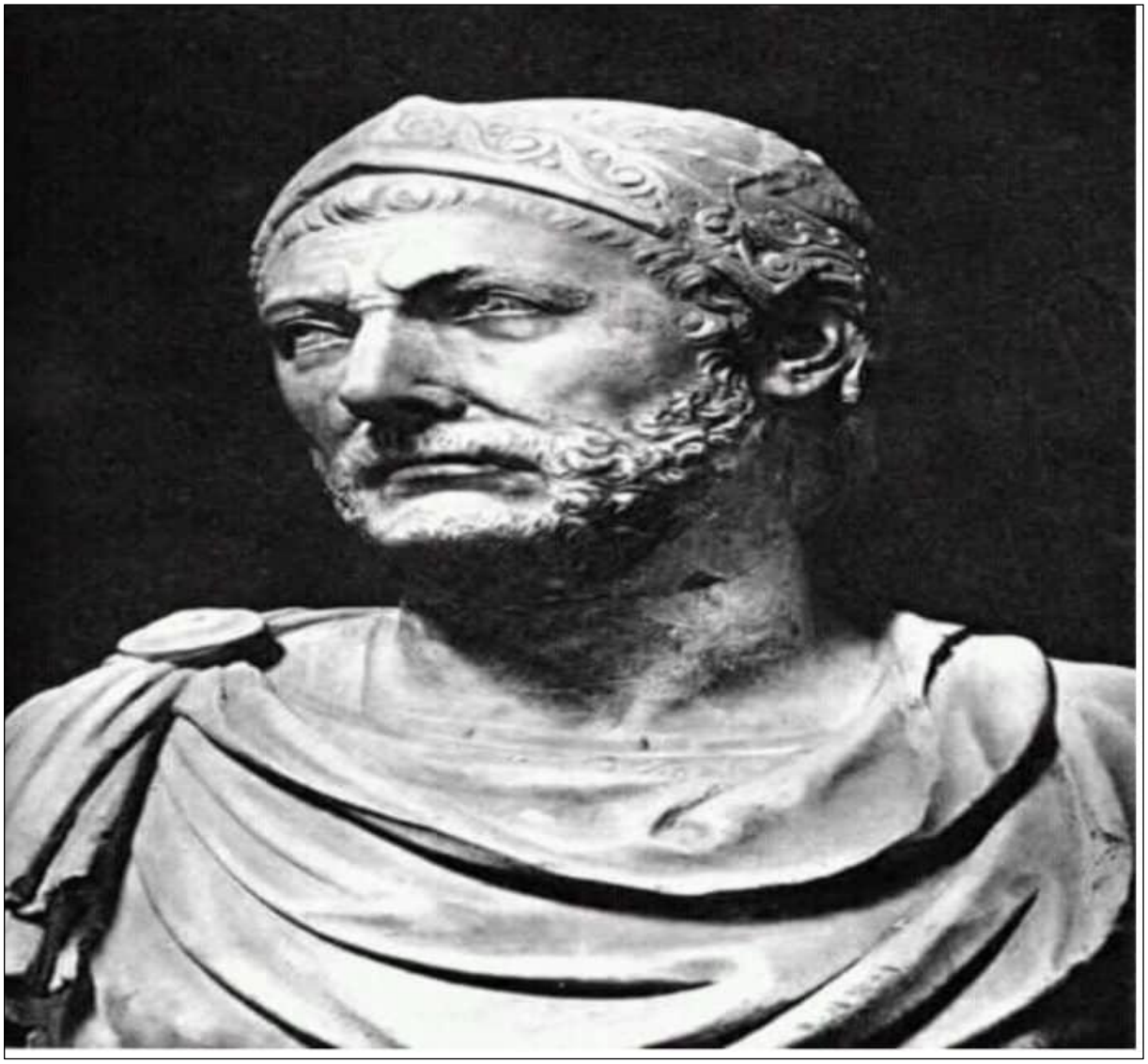
المصدر: بشير عطية كيحل، (قرطاجة والممالك النوميدية)، المرجع السابق،ص67

الملحق رقم 07: صورة معركة ترازامين



المصدر: عبد العزيز بلخوجة، المرجع السابق، ص230، 231.

الملحق رقم08: صورة حنبعل



المصدر: سفيان بوخاري، المرجع السابق، ص100.

قائمة المصادر والمراجع

I- المصادر بالعربية:

1-سترابون، **جغرافية سترابون** (وصف ليبيا وافريقيا)،تر:محمد المبروك دويب، الكتاب 17،جامعة قاريونس،ليبيا،2003.

2-سالوست ، الحرب اليوغرطية ، تر:محمد المبروك الدويب ،منشورات جامعة بنغازي ،ليبيا ،2007.

3- هيرودوت،**تاريخ هيرودوت**،تر:عبد الإله ملاح، المجمع الثقافي،أبو ظبي،2001.

4-هيرودوت ، تاريخ هيرودوت ،تر:حبيب بسترس ،الدرا العالمية للكتب والنشر والتوزيع ،مصر ،2015.

II- المصادر بالأجنبية :

1-Tite Live،Hestoire Romanine de tite live.

2-Polybius, **the histories**, W.r.Paton, HarvardUniversityPress, London, 1922.

III- المراجع بالعربية :

1-الأحمد سامي سعيد ،**تاريخ الرومان**، مكتبة المهتدين،(د.م.ن)،(د.ت).

2-اكصيل اصطفيان ،**تاريخ شمال إفريقيا القديم**،تر:محمد التازي سعود، ج3، ج5، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية،المغرب،2007.

3-البركي مفتاح محمد السعد،**الصراع القرطاجي الإغريقي** من القرن 6ق.م حتى منتصف القرن 3ق.م وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة،مجلس الثقافة العام، ليبيا، 2008.

4-بيومي محمد مهران ،**المغرب القديم**،دار المعرفة الجامعية،إسكندرية،1990.

5-حارش محمد الهادي ، **مملكة نوميديا** دراسة حضارية منذ أواخر القرن 9ق.م إلى منتصف القرن 1ق.م، دار هومه، الجزائر، 2013.

6-_____ ،**التاريخ المغاربي القديم** السياسي والحضاري منذ بداية فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي،المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر،1992.

7-حجازي عبد العزيز عبد الفتاح ،**روما وإفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية الى عصر الامبراطور أغسطس** ،مكتبة انجلو المصرية ،مصر ،2007.

8-دوكريه فرانسوا ،**قرطاجة أو إمبراطورية البحر**،تر:عز الدين احمد ،الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،1996.

9-_____،**قرطاجة الحضارة وتاريخ**، تر: يوسف شلب الشام، مكتبة الإسكندرية، (د.م.ن)، 1998.

10- دونالد ر دودلي،**حضارة روما**، تر: فاروق فروید وجميل يواقيم الذهبي، (د.ن)، (د.م.ن)، (د.ت).

11- رزق الله أيوب إبراهيم،**التاريخالروماني**،الشركة العالمية للكتاب،لبنان،1996.

12- السعدني محمود إبراهيم، **حضارة الرومان** منذ نشأتها وحتى نهاية القرن 1ق.م،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،مصر،1998.

13- سون اتزو،**فن الحرب**،تر: أحمد ناصيف، دار الكتاب العربي،دمشق،2010.

14- الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر،**قرطاج البونية تاريخ حضارة**،مركز النشر الجامعي،مصر،1999.

15- شارل أندري جوليان،**تاريخ إفريقيا الشمالية** تونس، الجزائر،المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م،تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة،تاوالت الثقافية،(د.م.ن)،2011.

16- شنيتي محمد البشير، **الاحتلال الروماني لبلاد المغرب** (سياسة الرومنة 146ق.م-40م)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

17- _____، **دراسات في التاريخ والآثار القديمة** بالجزائر وبلاد المغرب، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.

18- _____،**أضواء على تاريخ الجزائر القديم** بحوث ودراسات،دار الحكمة،الجزائر،2003.

19- الصفا العقيد محمد،**الحرب**،دار النفائس،لبنان،1980.

20- صفر احمد،**مدنية المغرب العربي في التاريخ** 20قرنا من تاريخ افريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى أخر عهد البيزنطي،ج1،دار بوسلامة،تونس،(د.ت).

21- الطويل توفيق، **قصة الكفاح بين روما وقرطاجة**،دار النشر الحديث،القاهرة،(د.ت).

22- عبد الطيف احمد علي، **التاريخ الروماني**، دار النهضة العربية،لبنان،1996.

23- عبد العزيز بلخوجة،**حنبعل التاريخ الحقيقي واكذوبة زاما**،تر:ضياء الدين بوفحجة،دار ابولونيا للنشر،2019

24- عبد الغني محمد السيد محمد،**التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية** منذ نشأة روما حتى عام 133ق.م،ج1،المكتب الجامعي الحديث،مصر، 2006.

25- عكاشة علي وآخرون، **اليونان والرومان**،دار الأمل للنشر والتوزيع،(د.م.ن)،1998.

26- غابريال كامبس،**في أصول بلاد البربر ماسينيسا وبدايات التاريخ**،تر:العربي عقون،المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر،2009.

27- غانم محمد الصغير ، **سيرتا النوميدية النشأة والتطور**، دار الهدى، الجزائر، 2008.

28- _____ ، **مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2005.

29- _____ ،**المملكة النوميدية والحضارة البونية**،دار الهدى،الجزائر،2006.

30- _____، **التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1979

31- فرحاتيفتيحة،**نوميديا** من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213-46ق.م،منشورات أبيك،الجزائر،2007.

32- فنطر محمد حسين، **حنبعل بطل قرطاج والمتوسط**،كلمة للنشر والتوزيع،تونس، 2022.

33- فهمي علي عبد الستار،**تبسيط الإستراتيجية**،دار الفكر العربي،مصر،1959.

34- مادلين هورس ميادان،**تاريخقرطاج**،تر:إبراهيمبالش، منشورات عويدات،1981.

35- المنقوش وريدة محمد علي، **التاريخ السياسي لقرطاجة** من التأسيس حتى نهاية الحرب البونية الثالثة (814-146ق.م)،دار الوفاء لدنيا الطباعة،والنشر،مصر،2017.

36- مونتسكيو، **تأملات في تاريخ الرومان** أسباب النهوض والانحطاط،تر:عبد الله العروي،المركز الثقافي العربي،المغرب،2011.

37- هارولد لام،**هانيبال**، تر: رشدي السيسي، دار الفكر العربي، (د.م.ن)، 1962.

VI- المراجع بالأجنبية :

1- Allen E.Curtis**, Hannibal** and the PunicsWars, Warhammer historcal, United kingdom, 2005

2-Philip freeman, **Hannibal**Rome'sGreatestenemy, Pegasus Books, New York and London, 2022 .

V-المعاجم:

1- عبودي هنري س. ، **معجم الحضارات السامية**،ط2،جروس بروس،لبنان،1991

IV- الدوريات:

1- بشاري محمد الحبيب،"صفاقس والصراع القرطاجي الروماني"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية،مج10،العدد 1، 2022.

2- بلعيبود بدر الدين، "الفارس النوميدي من خلال المصادر الأثرية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،مجلد8،العدد2،جوان 2022.

3-بن التومي تواتي وأوكيل صبيحة،"ماسينيسا وسياسة التحالفات خلال الحرب البونية الثانية (218ق.م -201ق.م)"،مجلة دراسات تاريخية،مج 10،العدد 1، 2022.

4- بن عبد المومن محمد ،"حنبعل ومعركة كاناي 2اوت 216ق.م"،مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، المجلد 2،العدد1، 2015.

5-تلي محمد العيد جراية ومحمد رشدي،"جند قرطاج المأجور:نظام عسكري لعرقيات مختلفة (550-202ق.م)"،مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج13،العدد1،جانفي 2021.

6-التلي محمد العيد ومحمد رشدي، "هاميلكار برقة:دوره العسكري والسياسي والاقتصادي (247-229ق.م)"،عصور الجديدة،المجلد10،العدد 4،ديسمبر 2020.

7- جودي زكرياء،"النوميديون والحرب البونية (264-146ق.م)"،مجلة الدراسات التاريخية العسكرية،مج2،العدد1،جانفي 2020.

8-حارش محمد الهادي وورنوغي نور الهدى،"سياسة آل برقة مابين الحرب البونيقيةالأولى والثانية (241-219ق.م)"،مجلة العلوم الإسلامية والحضارة،العدد8،جوان 2018.

9-حسين أية يحي احمد،"ثورة المرتزقة في قرطاجة (241-238ق.م)"،مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم،الإنسانيات والعلوم الاجتماعية،مج 14،العدد 1،يناير 2022.

10- حصة تركي هذال،"المراكز والمستوطنات التجارية الفينيقية في غرب البحر المتوسط قبل تأسيس قرطاجة"،مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 41، جويلية 2016.

11- زواري يوسف احمد وبالعابد زينب، "ماسينيسا ودوره بناء دعائم التطور الحضاري للمجتمع النوميدي"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج6، العدد 2، أكتوبر 2022.

12- سعيدي سليم ، "الفيلة ودورها في الحروب البونية (265-202ق.م)"،مجلة الدراسات التاريخية،مج21،العدد 1، 2020.

13- السلماني ليث خليل خلف،«الصراع الروماني –الفينيقي عبر البحر المتوسط (264-146ق.م)»،مجلة البحوث،العدد4، ج1، 2016.

14- شيشرون ماركوس توليوس،"كاتو الأكبر عن الشيخوخة"،أوراقكلاسيكية،العدد 19، 2022.

15- عقون محمد العربي، "فصول من الحرب البونية الأولى (264-241ق.م)معركة ميليس البحرية (261ق.م)،وحملةريغولوس على قرطاج (256ق.م)"،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،العدد3،ديسمبر2009،الجزائر.

16- _____، "من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج ثورة جندها المأجور (241-237ق.م)"، مجلة العلوم الإنسانية،العدد21،جوان2004.

17- العيداني سمير وبودرواز عبد الحميد،"حنبعل في سنواته الأخيرة من مكائد السياسة إلى المطاردة في الشرق (195-183ق.م)"،مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية،مج 7،العدد1،جوان 2022.

18- غديري فتيحة والشلالقةسعيد،"قانون الحرب العادلة وحروب روما التوسعية –الحرب البونية 264-146ق.م أنموذجا-"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانيةوالاجتماعية، المجلد 13، العدد1، 2022.

19- كيحل البشير عطية،"قرطاجةوالممالك النوميدية دراسة في أصول التاريخية من (القرن 12ق.م-إلى146ق.م)"،مجلة الدراسات التاريخية،مج 21،العدد 1، 2020.

20- لعياضي حفيظة،"قراءة في مؤتمر سيغا الدولي 206ق.م وانعكاساته على صراع حنبعلوروما"،مجلة البحوث التاريخية، مج5،العدد2،ديسمبر 2021.

21- لفته إيمان حسين، "مملكة ليديا (287-546ق.م)تاريخها وحضارتها"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية،مج 4، العدد 3،(د.ت).

22- مرزوق احمد السايح وشعباني نور الدين، "معاهدة زاما بداية لنهاية قرطاجة 201-146ق.م"،الحوار المتوسطي، مج10،العدد 2،جوان 2019.

23- مرزوق احمد السايح، "التحالفات العسكرية لملوك نوميديا خلال المرحلة الأخيرة للحرب الرومانية القرطاجية الثانية (206-201ق.م)"،مجلة الدراسات التاريخية العسكرية،مج 4،العدد1،جانفي2022.

24- _____ ، "الاعتقاد ببعل حمون في نوميديا خلال فترة ما بين (146ق.م-429م)"، مجلة الفكر، مج6، العدد 2، ديسمبر 2022.

25- _____، "الاعتقاد ببعل حمون في نوميديا خلال فترة ما بين (146ق.م-429م)"، مجلة الفكر، مج 6، العدد 2، ديسمبر 2022.

26- _____،"**شمال إفريقيا الفصل الأخير من الحرب البونية (204-202ق.م)**".

27- _____، "الإستراتيجية العسكرية والحنكة السياسية للقائد حنبعل برقة في مواجهة روما (247-283ق.م)"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج6، العدد 2، 2022.

28- _____ ، "حنبعل وانتصاراته الأربعة في إيطاليا (218-216ق.م)خلال الحرب البونية 2"،مجلة الحكمة للدراسات التاريخية،مج 5،العدد12،ديسمبر 2017.

29- مغاري نوال،"قراءة في تطور العلاقات السلمية بين قرطاجة والليبيين خلال 480-146ق.م"،مجلة الحكمة للدراسات التاريخية،مج 3،العدد 5،جانفي 2015.

30- المغربي عبد المجيد صالح، "انحسار نفوذ القرطاجيين في غرب البحر الأبيض المتوسط منذ أواخر القرن 6ق.م"،الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية،العدد6،جويلية 2014.

31- مفتاح محمد سعد،"الملكية في قرطاجة"،عصورجديدة،العدد 21، ماي 2016

32- نفاري مولود وكاكي ومحمد،"الفرسان النوميديون ودورهم العسكري في حملة حنبعل على إيطاليا"،مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية،مج5،العدد2، 2021.

33- ورنوغي نور الهدى ،«المعاهدات القرطاجية الرومانية مابين الحرب البونيقية1و2(241-218ق.م)»،مجلة الحكمة للدراسات التاريخية،مج 5،العدد10،(جوان 2017).

34- يوسف زواري احمد وزينب بالعابد، "ماسينيسا ودوره بناء دعائم التطور الحضاري للمجتمع النوميدي"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 6، العدد 2، أكتوبر 2022.

VII- الاطروحات الجامعية:

1- نعيمي سعاد وعواد وفاء،**سياسة قرطاج الافريقية (480-146ق.م)**،مذكرة ماستر،جامعة حمه لخضر الوادي –الجزائر،2020/2019.

2-ورنوغي نور الهدى ، **الحرب البونيقية الثانية وتداعياتها على بلدان جنوب غرب المتوسط (قرطاجة،نوميديا،موريطانيا)**،أطروحةدكتوراه،جامعة أبو القاسم سعد الله 2،الجزائر،2019/2018.

3-شهرة خالد،"**التشريع الروماني في العصر الجمهوري**"،مذكرةماجيستر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة الجزائر، 2015/2014.

4- سي الهادي ذهبية، "**المماليك النوميدية بين قرطاجة وروما من نهاية القرن 3 ق.م الى القرن 1ق.م (دراسة سياسية وعسكرية)**"، مذكرة ماجيستر،جامعة الجزائر 2، 2012/212.

5- بن قيلة أحلام، **ماسينيسا والكيان السياسي النوميدي 238-148ق.م**، مذكرة ليسانس، جامعة فرحات عباس، الجزائر،2011/2010.

6- لرابي حليمة،**العلاقات بين قرطاجة وروما من خلال المعاهدات (509-146ق.م)**، مذكرة ماجيستر،جامعة الجزائر 2-ابوالقاسم سعد الله،الجزائر،2016/2015.

7- بولخلوخ محمد،**التنظيم العسكري لمملكة نوميديا من 202ق**.م،مذكرة ماجيستر،جامعة حمه لخضر،الجزائر،2021/2020.

8- كيحل البشير عطية،**الحضور الديني البوني في نوميديا (814-74ق.م)**،مذكرة ماجيستر،جامعةالجزائر-بوزريعة،الجزائر، 2010/ 2011.

9- باحمان حسيبة،**سكان بلاد المغرب القديم في العهد القرطاجي (814-146ق.م)**،مذكرة ماجيستر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية،جامعة العقيد احمد دراية–الجزائر 2015/2016.

10- مغاري نوال،**قرطاجة والليبيون (480-146ق.م)**،مذكرة ماجيستر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة الجزائر 4،لجزائر،2013.

11- علية يوسف وصحراوي عبد الحكيم،**التجارة في الحضارة القرطاجية (814-146ق.م)**،مذكرة ماستر،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،جامعة الشهيد حمه لخضر –الجزائر،2022/2021.

12- بختي أميرة،**كهنوت الآلهة المحلية في مدن الجنوب النوميدي خلال الفترة القديمة**،مذكرةماستر،جامعة 8ماي 1945قالمة -الجزائر،2022/2021.

13- بلعيد حسن ،**حنبعل والحرب البونية الثانية(218-201ق.م)**،مذكرة ماجيستر،جامعة الجزائر -الجزائر،2013/2012.

VIII- المواقع الالكترونية:

1-https://arz.wikipedia.org/wiki.14/06/2024.

2-https://www.marefa.org/.14/06/2024.

3-https://www.tunisiepatrimoine.tn/ar.24/25/2024.

فهرس المحتوى

- الإهداء
- الشكر
- مقدمة

الفصل التمهيدي:لمحة عن أطراف الصراع

I-قرطاجة	10
1-تأسيس المدينة	10
2-الموقع الجغرافي	11
3-زمن التأسيس	12
أ—الرأي الأول	12
ب-الرأي الثاني	13
چ-الرأي الثالث	13
4-قرطاجة سيدة البحر المتوسط	13
II-روما	14
1-أسطورة التأسيس	15
2-أصل التسمية	16
3-الموقع الجغرافي	16
4-أصل السكان	
أ-اللاتين	17
ب-السامنيون	17
چ-الليغوريون	18
د-الاتروسكيون	18
ه-الكلتيون	19
و-الإغريق	19
III-نوميديا	21

1-أصل التسمية	21
2-الإطار التاريخي	22
3-نوميديا الشرقية "ماسيليا "Massyles	23
4-نوميديا الغربية "ماسيسيليا "Masselyes	25
الفصل الأول :الجوسسة خلال الحروب البونية (264-241ق.م)	
I- الجوسسة الرومانية	31
1-حصار مسينا 263ق.م	33
2-حصار اجريجنتوم 262ق.م	34
3-معركة ميليس البحرية 261ق.م	35
4-معركة اكنوموس	38
5-معركة وذنة	40
6-حصار بانورموس	41
7-الفصل الأخير من الحرب الأولى	44
8-حرب المرتزقة	45
II-الجوسسة القرطاجية	47
1-حصار اجريجنتوم 262ق.م	48
2-الجوسسة لصالح حنبعل خلال ربيع 262ق.م	50
3-جزر ليباري	50
4-الجوسسة لصالح هاميلكار	51
5-حملة ريغولوس	51
6-كسانتيبوس وريغولوس	52
7-معركة دريبانا 249ق.م	54
8-استعادة مدينة ايريكس وهيركتي 247ق.م	55
9-حرب المرتزقة	56
III-الجوسسة لصالح السكان المحليين	58

1-تعاون النوميد مع ريغولوس	60
2-ثورة المرتزقة (241-237ق.م)	60
الفصل الثاني:الجوسسة خلال الحرب البونية الثانية (218-201ق.م)	
I-الجوسسة الرومانية	66
1-حصار ساغنتوم	66
2-انطلاق الحرب البونيقية الثانية218ق.م	68
3-معركة تيكينوس 218ق.م	69
4-معركة تربيبا 218ق.م	69
5-معركة ترازامين 217ق.م	70
6-تحالف سيفاكس مع روما 213ق.م	70
7-استرجاع سراقوسة	72
8-سيطرة الرومان على كابوا	73
9-معركة بايكولا 208ق.م	74
10-معركة ميتور 208ق.م	75
11-حملة سكبيو على إفريقيا	76
12-معركة زاما 202ق.م	78
II-الجوسسةالقرطاجية	79
1-معركة تاجة	79
2-حصار ساغنتوم	80
3-حنبعل في طريقه إلى إيطاليا	81
4-اجتياز جبال الألب	82
5-معركة كاناي 2اوت 216ق.م	84
6-حصار كابوا	87

7-معرك موندا 214ق.م	88
8-تحالف قرطاجة مع ملوك النوميد	89
9-معركة أليبيا 206ق.م	91
10-قرطاجة بعد السهول الكبرى	91
11-معركة زاما 202ق.م	92
III-الجوسسة النوميدية	93
1-الجيش النوميدي	94
أ-المشاة	94
ب-الفرسان	95
چ-السواس (مدرب الفيلة)	96
2-مساهمة النوميد العسكرية في الحرب البونية الثانية	97
أ-معركة تيكينوس 218ق.م	97
ب-معركة تريبيا 218ق.م	98
چ-معركة ترازامين 217ق.م	98
د-معركة كاناي 216ق.م	99
3-التحالفات النوميدية	99
أ-مؤتمر سيغا الدولي 206ق.م	100
ب-تحالف ماسينيسا مع روما	101
4-دور النوميد في جبهة إفريقيا	102
أ-معركة زاما	103
الفصل الثالث :الجوسسة خلال الحرب البونية الثالثة (149-146ق.م)	
-Iالجوسسة الرومانية	106
1-سبب الحرب البونية الثالثة	107

2-السفارة الرومانية في قرطاجة	108
3-سفارة رومانية في الشرق	109
4-تقرب الرومان من ماسينيسا	111
5-الجوسسة خلال 152ق.م	113
6-الجوسسة خلال 151ق.م وذريعة الحرب	114
7-الجوسسة خلال ربيع 149ق.م	117
8-الجوسسة خلال صيف 149ق.م	117
9-الجوسسة خلال خريف 149ق.م	118
10-الجوسسة خلال 148ق.م	119
11-الجوسسة خلال 147ق.م.	120
12-الجوسسة خلال شتاء 146ق.م	122
13-الجوسسة خلال ربيع 146ق.م	122
II-الجوسسة القرطاجية	124
1-مصير حنبعل	125
2-الصراع مع ماسينيسا	130
3-الجوسسة خلال اخر ربيع 149ق.م	132
4-الجوسسة خلال صيف 149ق.م	132
5-الجوسسة خلال خريف 149ق.م	132
6-الجوسسة خلال صيف 148.م	133
7-الجوسسة خلال ربيع 147ق.م	134
8-الجوسسة خلال شتاء 146ق.م	134
III-الجوسسة النوميدية	134
1-الجوسسة خلال 193ق.م	136
2-الجوسسة خلال 182ق.م	136
3-الجوسسة خلال 174ق.م	137

4-الجوسسة خلال 162-161ق.م	137
5-الجوسسة خلال 154ق.م	138
6-نشوب الحرب بين ماسينيسا وقرطاجة 151-150ق.م	138
- الخاتمة	143
- الملاحق	148
- قائمة المصادر والمراجع	157
- فهرس المحتوى	